سلسلة مقارنة الأديان

(الكتاب الثالث)

خصائص الدعوة الإسلامية

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

أ.د/ أحمد عبد الهادي شاهين

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر

وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة.

من نور القرآن الكريم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ سورة المائدة الآية (٤٨).

خصائص الدعوة الإسلامية

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

رقم الايداع ١٣٧٦٧/ ٢٠٠٠م. بدار الكتب المصرية.

الطبعة الأولى/ سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

هذا الكتاب هو الجزء الثلاث من رسالة (الدكتوراة).

مقدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾[1] ومن مظاهر قيوميته كماله وتمامه، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[2].

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ البشير النذير، والسراج المنير، خاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، سيد الدعاة، وإمام المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـد...

فإن الدعوة إلى الله ﷻ من أشرف العلوم وأصلح الأعمال، وذلك لجلال منزلها ﷻ ولشرف موضوعها، ونفع ثمرتها، فليس هناك أجل وأعلى من علم غايته معرفة الله ﷻ ودلالة الناس عليه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3].

لذلك اختار الله لها أشرف الناس، فالدعوة وظيفة الأنبياء والمرسلين، ورسالة المصلحين، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾[4].

كما جعل الله ﷻ وظيفتهم الدعوة إلى توحيده ﷻ وعبادته

---

(١) سورة الكهف الآيتان (١-٢).
(٢) سورة المائدة الآية (٣).
(٣) سورة فصلت الآية (٣٣).
(٤) سورة الحج الآية (٧٥).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾[1].

ولقد أنزل الله عليهم الكتب التي تنظم شئون الناس وحياتهم، فلم يتركهم لعقولهم حتى لا يضلوا الطريق، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[2].

ثم تحمل العلماء والمصلحون من بعدهم مسؤولية البلاغ؛ لتذكير الناس بواجبهم نحو الله ﷻ فواصلوا المسيرة، وأدوا الأمانة، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[3].

ولقد صحبت البشرية على امتداد تاريخها الطويل رسالات إلهية سابقة، كانت جميعها قائمة على التوحيد الخالص لله ﷻ وعلى دعوة الناس إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[5] غير أن هذه الرسالات كانت إقليمية ومرحلية، فراعت مصالح الناس واحتياجاتهم في العصر الذي يعيشون فيه، فجاءت ملائمة لفترة معينة من الزمن، إلا أنها تعرضت لأمواج هائجة، ورياح عاتية غيرت معالمها، وأبعدتها عن نقائها، وصفائها الرباني الذي كانت عليه، إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة من وحى الله ﷻ لتتمم ما سبق، وتصلح ما

---

(1) سورة النحل الآية (٣٦).
(2) سورة الحديد الآية (٢٥).
(3) سورة آل عمران الآية (١٠٣).
(4) سورة الأنبياء الآية (٢٥).
(5) سورة آل عمران الآية (١٩).

فسد، وتصحح ما انحرف، فأعادت بناء ما انهدم، وكان البناء عاليا، أصله ثابت، وفرعه في السماء.

نعم لقد جاءت الرسالة الخاتمة بكتابها الرباني المعجز، ليصدق الصحيح الذي سلم من التحريف، ويهيمن على ما فيها من أحكام وتشريعات، ويقوم ما حرفته الأيدي الآثمة من تغيير وتبديل، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[1] وهو بهذا المعنى صادق مصدِّق، مفصل لما أجمل، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2] فعلاقة القرآن الكريم بالكتب السابقة في صورتها الأولى علاقة تصديق وتأييد، وأما علاقته بها بعد تحريفها فهي علاقة تصديق لما بقى صحيحا منها، وتقويم لما طرأ عليها من الإضافات الغريبة عنها، ومن ثم جاء القرآن الكريم كالغيث للأرض الجدباء، ينزل عليها فتهتز وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج.

إذا فالله ﷻ قد أعطى المسلمين دينا يشتمل على كل ما جاء به الأنبياء السابقون، فهو يحوى منها أحسن ما فيها، ويضيف إلى ذلك ما فيه خير للإنسانية في الدنيا والآخرة.

ومن ثم فهو المنهج الأوحد الصالح لجميع الأزمنة والأمكنة والأشخاص، بل والمصلح لهم جميعا، ولكل ما تعانى منه الإنسانية من أدواء وأمراض، فهو يسع الناس جميعا على

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٢) سورة يونس الآية (٣٧).

اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وعلى امتداد أوطانهم، وهو يبسط نوره على الناس جميعا كما تغمر الشمس بضوئها الجبال والسهول والنجود والأغوار.

ولكن من ذا الذي يفتح عينيه على نور الحقيقة؛ ليراها واضحة جلية؟ فمهما ابتغت البشرية الهدى والاستقرار بعيدا عن هذا المنهج الرباني، الواضح في شموله وتوازنه، وواقعيته، وإنسانيته فإنها لن تحقق آمالها، ولن تصل إلى مبتغاها.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1].

إن العاقل من الناس هو الذي يجتهد في البحث عن الحق والصواب في تجرد تام، طلبا للدين الصحيح الذي يقبله العقل، وتطمئن إليه النفس، ويرتاح له القلب.

وهذه الدراسة موجهة لكل إنسان يبحث عن الحق بنفسه، بعيدا عن موروثات الآباء والأجداد، والتقاليد والأعراف، لتكون نورا يهدى الباحثين -من أهل الكتاب وغيرهم- إلى الحق، وتشرح صدورهم إلى الإيمان بالله الواحد القهار، قال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2].

❁❁❁

(1) سورة طه الآيات (١٢٣-١٢٦).

(2) سورة يونس الآية (٣٢).

أبرز الدراسات السابقة:

لقد كُتِبَتْ حول موضوع خصائص الدعوة الإسلامية مؤلفات وبحوث وكتب، ولعل أول من كتب في هذا الموضوع من المعاصرين هو الأستاذ/ سيد قطب -رحمه الله- فقد ألف كتابه (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته) وعرض فيه لأهم خصائص الدين الإسلامي الحنيف، مُوليا اهتمامه لجانب التصور والاعتقاد، موضحا الفكرة الكلية للإسلام عن الله، والكون، والحياة، والإنسان، وقد تناول فيه سبع خصائص، وهى: الربانية، والثبات، والشمول، والتوازن، والإيجابية، والواقعية، والتوحيد.

ثم كتب الدكتور/ يوسف القرضاوي كتابه (الخصائص العامة للإسلام) وهذا الكتاب يوضح خصائص المنهج الإسلامي من ناحية العقيدة، والشريعة، والعبادة، والأخلاق، وفيه بعض المقارنات اليسيرة المتعلقة بالديانة اليهودية، والنصرانية، والنظم الوضعية، وتأتى في صورة إشارات سريعة، أثناء عرضه لكل خصيصة من خصائص الدعوة الإسلامية، ويعد هذا الكتاب مكملا للكتاب السابق، كما ذكر مؤلفه، وقد عرض فيه لسبع خصائص من خصائص الدعوة الإسلامية وهى: الربانية، والإنسانية، والشمول، والوسطية، والواقعية، والوضوح، والجمع بين الثبات والمرونة، وقد أشار المؤلف إلى أن هذه ليست كل الخصائص، بل من الممكن أن يزاد عليها، لكنها بمثابة الأصول التي يتفرع منها غيرها.

كما كتب حول هذا الموضوع فصول من كتب، مثل ما كتبه الدكتور/ عبد الكريم زيدان في كتابه (أصول الدعوة) حيث عقد فصلا عن خصائص الإسلام، تناول فيه خمس خصائص، وهى: أنه من عند الله، الشمول، العموم، الجزاء في الإسلام، المثالية والواقعية. ثم توالت البحوث والدراسات تباعا حول خصائص الدعوة الإسلامية.

وأثناء كتابتي لهذه الدراسة وجدت رسالة ماجستير مطبوعة بعنوان (خصائص الدعوة الإسلامية)[١]. أجيزت من الجامعة الإسلامية بالسعودية، وقد تناول الباحث فيها ثلاث خصائص فقط للدعوة الإسلامية، واعتبرها أصولا لباقي الخصائص، تكلم في الباب الأول عن ثبات مصادر الدعوة الإسلامية، وتحريف مصادر أهل الكتاب، والباب الثاني تحدث عن عالمية الدعوة الإسلامية وإقليمية الدعوات السابقة، والباب الثالث تناول فيه شمولية الدعوة الإسلامية.

وبعد... فهذا البحث -شأن كل عمل بشرى- لا يخلو من بعض القصور، ولا يسلم من بعض الخلل غير المقصود بالطبع، فلا كمال إلا لله وحده، ولا عصمة إلا لرسل الله -صلوات الله عليهم أجمعين- إنه القصور والضعف البشرى، اللازمان لكل عمل إنساني.

وأتمثل قول ابن قيم الجوزية إذ يقول: (والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته، وسيئاته لحسناته، فهذه سنة الله في عباده جزاءً وثوابا، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديدا، وعمله كله صوابا؟ وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحى يوحى)[٢].

وهذا العمل قدر جهدي واستطاعتي، فإن كنت قد أصبت فالفضل لله أولا وآخرا، وإن كانت الأخرى، فأسأل الله أن يغفر لي ما شط به الفكر، أو زل به القلم، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[٣].

❁❁❁

(١) للباحث محمد أمين حسن ط/ مكتبة المنار بالأردن ط/ الأولى سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية، صـ٢٢ ط/ مكتبة دار التراث/ بدون تاريخ.

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

تمهيد

التعريف بعنوان ومصطلحات البحث

إن دراسة أي موضوع تقتضى التعريف بعنوانه، ولا تتأتى هذه المعرفة إلا بالرجوع إلى معاجم وقواميس اللغة العربية؛ للتعرف على مفردات العنوان ودلالتها، ومن ثم فمفردات عنوان هذا البحث هي الكلمات الآتية: (خصائص الدعوة، العهدان القديم والجديد، القرآن الكريم، دراسة مقارنة).

التعريف بكلمة خصائص:

كلمة خصائص: جمع لكلمة خَصيْصَةْ، والخَصِيصَةُ: هي الصفة التي تميز الشيء وتحدده. جاء في لسان العرب (خَصَّهُ بالشيء يخصّه خَصًّا وخُصُوصا وخَصُوصِيَّة، واختصَّه: أفرده به دون غيره، ويقال: اختصَّ فلانا بالأمر وتخصَّصَ له إذا انفرد)[1].

وفى القاموس المحيط: (خَصّه بالشيء خَصّا وخَصُوصا وخَصُوصية أي: فضله وخصه بالود)[2] وفى المصباح المنير: (خصصته بكذا أخصه خصوصا: من باب قعد إذا جعلته له دون غيره)[3] فاشتقاقات هذه الكلمة تدل على: تفرد الشيء وتفضيله بما لا يشاركه فيه غيره.

---

(1) لسان العرب/ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ٨٤١/١، ط/ بيروت لبنان، بدون تاريخ.

(2) القاموس المحيط/ محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، ٣١٢/٢ ط/ مصطفى البابى الحلبي ط/ الثانية سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

(3) المصباح المنير/ أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي صـ١٧١ ط/ المكتبة العلمية بيروت لبنان، وانظر مختار الصحاح محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازي صـ١٧٧، عنى بترتيبه محمود خاطر ط/ دار الحديث بدون تاريخ، والمعجم الوسيط ٢٤٧/١ مجمع اللغة العربية ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

ومن هنا يتبين أن كلمة خصائص تعنى: ما تفرد به الشيء من مزايا تحدد معالمه، وتميزه عن كل ما سواه، وتفضله على غيره بما لا يشاركه فيه.

❁❁❁

تعريف الدعوة في اللغة:

كلمة الدعوة في اللغة تطلق ويراد بها عدة معان، وذلك كما جاء في لغة القرآن الكريم، ومعاجم اللغة منها:

١- الرغبة إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[١] (فالفعل: دعا، ومصدره: الدعاء والدعاوة، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وواحدهم داع، ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة، أو دين، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي ﷺ داع إلى الله تعالى، وكذلك المؤذن، وذكر ابن منظور عن الأزهري في التهذيب: المؤذن داعٍ إلى الله، والنبي ﷺ: داع الأمة إلى توحيد الله وطاعته)[٢].

٢- وتأتى الدعوة بمعنى الدعاء والسؤال: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ ﴾[٤] جاء في المصباح المنير: (دعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير)[٥].

---

(١) سورة يوسف الآية (١٠٨).

(٢) لسان العرب لابن منظور ٩٨٧/١.

(٣) سورة البقرة الآية (١٨٦).

(٤) سورة آل عمران الآية (٣٨).

(٥) المصباح المنير للفيومي ١٩٤/١، ١٩٥.

٣- وتأتى الدعوة بمعنى النداء والاستغاثة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾[١] جاء في لسان العرب: (والدعاء بمعنى الاستغاثة، كقولك للرجل: إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين، ومعناه: استغث بالمسلمين)[٢] وفى المصباح المنير تقول: (دعوت زيدا: ناديته وطلبت إقباله)[٣].

٤ - وتأتى الدعوة بمعنى العبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾[٤].

٥ - وتأتى الدعوة بمعنى المرة الواحدة من الدعاء، ومنه الحديث: (**فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**) أي: تحوطهم وتكنفهم و تحفظهم[٥] وقال ابن فارس: (الدعوة: المرة)[٦].

٦ - وتأتى الدعوة بمعنى طلب الناس إلى الطعام، ففي المصباح المنير: (الدعوة بالفتح في الطعام: اسم من دعوت الناس إذا طلبتهم ليأكلوا عندك)[٧].

٧ - وتأتى الدعوة بمعنى: طلب الاستجابة للتوحيد، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٨].

---

(١) سورة الزمر الآية (٨).

(٢) لسان العرب لابن منظور ٩٨٦/١.

(٣) المصباح المنير للفيومي ١٩٤/١.

(٤) سورة مريم الآية (٤٨).

(٥) لسان العرب ٩٨٦/١، وانظر مادة دعوة، جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى البصري جـ٢/ ٢٨٣، ط/ دار صادر، الأولى سنة ١٣٤٥هـ، والحديث رواه ابن ماجة في كتاب المناسك ٢/ ١٠١٥، ١٠١٦ (٣٠٥٦).

(٦) المصباح المنير ١٩٥/١.

(٧) المصباح المنير ١٩٥/١.

(٨) سورة الأنفال الآية (٢٤).

جاء في لسان العرب: (ومن معاني الدعوة: الدعوة إلى التوحيد) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

ودعوة الإسلام إلى التوحيد هي دعوة الحق، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[2] فالدعوة إلى الله تعنى: الدعوة إلى دينه وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[3].

ولا ريب أن معنى طلب الاستجابة للتوحيد، هو أبرز المعاني المرتبطة بكلمة الدعوة، إلا أن التعيين لا يتم إلا إذا كانت هناك قرينة من الحال أو المقال، والسياق أو المقام هو الذي يحدد المقصود من الدعوة، إن كانت إلى هدى أم إلى ضلال، أو كانت إلى سنة أم إلى بدعة، أو كانت إلى طعام أم إلى قتال، لأن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة بين معان كثيرة في اللغة.

ويتضح من إجمال المعنى اللغوي أن مادة دعا لابد فيها من المحاولات القولية لطلب من يراد دعوته باستمالته بالقول لفعل ما يراد منه، ولا شك أن الأقوال لها ثقلها وصعوبتها، لأن فيها المناداة والطلب والإلحاح، وفيها الجهد والبذل.

❁❁❁

تعريف الدعوة في الاصطلاح:

أما تعريف الدعوة في الاصطلاح فقد عرفت بتعريفات شتى، وذلك لأن الكلمة من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح أيضا، حيث تأتى بمعنى: الدين، وتأتى بمعنى: النشر والتبليغ. فمن تعريفاتها بمعنى الدين قول الإمام ابن تيمية:

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٩٨٦/١، والآية من سورة الأحزاب (٤٦).

(٢) سورة الرعد الآية (١٤).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٩).

١-الدعوة إلى الله: (هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا)[١].

٢-كما عرفها الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- بقوله: (برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)[٢].

٣-وأيضا عرفها الشيخ الصواف بقوله: الدعوة هي: (رسالة السماء إلى الأرض، وهى هدية الخالق إلى المخلوق، وهى دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريقة الموصلة إليه سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٣] ثم اختارها لعباده وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلا عنها ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[٤])[٥].

فهذه التعاريف تدل على أن الدعوة يقصد بها الإسلام بجميع تعاليمه وأحكامه.

أما الدعوة بمعنى: النشر والتبليغ فلها تعريف آخر، فمن ذلك تعريفها بأنها:-

١ - (قيام العلماء والمستنيرين في الدين، بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة)[٦]

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيميه ١٥٧،١٥٨/١٥ / ط/ الأولى مطابع الريان.

(٢) مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الغزالي، صـ ١٤، نشر /دار الكتب الإسلامية ط/ السادسة سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٣) سورة آل عمران الآية (١٩).

(٤) سورة آل عمران الآية (٨٥).

(٥) من القرآن إلى القرآن للشيخ/ محمد محمود الصواف صـ ٢ ط/ مؤسسة الرسالة بيروت ط/ الأولى سنة ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨م.

(٦) الدعوة إلى الإسلام د/ أبو بكر ذكرى صـ٨ ط/ دار المعرفة مصر-بدون تاريخ.

وهذا التعريف يقصر الدعوة على جمهور العامة، ويحصرها في نطاق المسلمين وحدهم، رغم أن الدعوة للعامة والخاصة، وللعلماء والجهال، وللمسلمين وغيرهم.

٢-وقيل: (حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)[١].

٣-كما عرفت بأنها: (العلم الذي به تعرف كافة المجالات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق)[٢].

ومما سبق يتبين أن المراد بالدعوة على المعنى الأول: الدعوة إلى الإسلام أي: كل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ولها ركنان أساسيان، هما العقيدة والشريعة، وهى تشمل دعوة الأنبياء جميعا، إذ أنهم جميعا يدعون إلى الله ﷻ ويرغبون في الإسلام، فنوح، وإبراهيم، ويعقوب، ويوسف، وداود، وسليمان، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ دعاة إلى الإسلام.

ويراد بالدعوة على المعنى الثاني: عملية نشر وتبليغ الدعوة للناس، وأركان هذه الدعوة أربعة: الداعي، والمدعو، ومادة الدعوة، ومنهج الدعوة.

وبين المعنيين علاقة وطيدة ورباط وثيق، فالدعوة بالمعنى الثاني نابعة من الدعوة بالمعنى الأول، فالمعنى الأول عام، والمعنى الثاني خاص، لأن من مبادئ الإسلام أن يقوم بعض

---

(١) هداية المرشدين/ الشيخ على محفوظ صـ ١٧ ط/دار الاعتصام ط/ التاسعة ١٩٧٩م.

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها د/ أحمد غلوش صـ١٠ ط/ دار الكتاب المصري ط/ الثانية ١٤٠٧هـ، وانظر لمزيد من البيان حول تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح (العلاقة بين الفقه والدعوة) أ/ مفيد خالد عيد صـ ٢٥ وما بعدها، ط/ مكتبة دار البيان الكويت، ط/ الأولى سنة ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م.

المسلمين بنشر وتبليغ الدعوة إلى الله، فإذا قيل هذا رجل من رجال الدعوة: كان معنى الدعوة هنا: محاولات النشر والتبليغ، وإذا قيل اتبعوا دعوة الله: كان المراد بها دين الإسلام.

ومن هنا لُوحظ اختلاف العلماء في تعريفهم للدعوة في الاصطلاح؛ وذلك لاختلافهم في تحديد معنى الدعوة، هل المقصود بها الإسلام كدين بجميع تعاليمه وأحكامه، أو المقصود عملية النشر والتبليغ بصفته علما من العلوم، له موضوعه، وأهدافه، وثمرته.

والمقصود بكلمة الدعوة في هذه الدراسة: الدعوة بمعناها العام وهو (الدين) أما الدعوة بمعنى (النشر والتبليغ) فليست هدفا في هذه الدراسة، إذ أن هناك من الباحثين من يقوم بدراسة هذا الموضوع.

معنى كلمة خصائص الدعوة: ومما سبق يتبين أن كلمة خصائص الدعوة تعنى: الصفات التي تميز أي دعوة من الدعوات، وتحدد معالمها، وتميزها عما سواها، فالديانة اليهودية، والنصرانية لهما خصائصهما من الإقليمية والعنصرية والمرحلية وغير ذلك.

أما الدعوة الإسلامية فلها خصائصها التي تميزها عن هذه الدعوات السابقة، من بقائها على أصولها الربانية واتصافها بالتوحيد والعالمية والشمولية والوسطية والواقعية والإنسانية وغير ذلك.

❁❁❁

التعريف بالقرآن الكريم:

القرآن في اللغة: (مصدر قرأ، قراءة، وقرآن، على وزن فعلان، كغفران، وكفران، وشكران، ورجحان فهو مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ ثم نقل من هذا المعنى المصدري، وجعل اسما للكلام المعجز الذي نزل على النبي محمد ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله)[1].

والقرآن يطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع الكتاب، وعلى كل قطعة منه، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول: إنه يقرأ القرآن قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾)[2].

❁❁❁

تعريف القرآن الكريم في الاصطلاح:

القرآن الكريم أشهر من أن يعرف؛ لمعرفة جميع الناس به، ولكن العلماء المعنيين بالدراسات القرآنية يضعوا له تعريفات متعددة، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

١ – القرآن الكريم هو: (كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله محمد ﷺ بألفاظ عربية، ومعانيه الحق؛ ليكون حجة للرسول على أنه رسول الله، ودستورا للناس

---

(١) انظر المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية ٢/ ٧٥٠، ومناهل العرفان للزرقانى ٧/١، والآيتان من سورة القيامة (١٧–١٨).

(٢) انظر النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، هامش صـ١٢، دار القلم الكويت، ط/ الرابعة، سنة ١٣٩٧ هـ–١٩٧٧م، والآية من سورة الأعراف (٢٠١).

يهتدون بهداه، وقربة يتعبدون بتلاوته، وهو المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة، جيلا عن جيل، محفوظا من أي تغيير أو تبديل)[١].

٢- وعرف أيضا بأنه (هو الكتاب المنزل على رسول الله محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول إلينا عنه نقلا متواترا بلا شبهة)[٢].

وهناك عدة تعريفات أخرى للقرآن الكريم، تلتقي جميعا وتتفق في وصف القرآن الكريم بما يأتي:

١ - أنه كلام الله ﷻ.

٢ - أنه معجز بلفظه ومعناه.

٣ - أنه منزل من الله تعالى على رسوله محمد ﷺ.

٤ - أنه مدون في المصاحف ومنقول بالتواتر.

٥ - أنه متعبد بتلاوته.

٦ - أن له خصائص ليست لغيره من الكتب السابقة.

❁❁❁

(١) علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف، صـ ١٣، دار القلم بيروت، ط/ الثانية عشر، سـ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(٢) الوجيز في أصول الفقه د/ عبد الكريم زيدان صـ ١٥٥ دار التوزيع والنشر الإسلامية سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

مصادر الدعوة الإسلامية

(أ) القرآن الكريم (ب) السنة النبوية

المطلب الأول: القرآن الكريم

للقرآن الكريم أسماء كثيرة ومتعددة، ذكر الإمام السيوطي منها خمسة وخمسين اسما[١].

ولعل السبب في كثرة هذه الأسماء عند العلماء، أنهم جمعوا أسماء القرآن وأوصافه معا، وعدوا أوصافه من الأسماء.

وأشهر أسماء القرآن الكريم: القرآن، والفرقان، هذا ولم يسم ولم يوصف من الكتب الإلهية السابقة بـ "القرآن" غير هذا الكتاب المنزل على رسول الله محمد ﷺ.

وقال بعض العلماء: (إن تسمية هذا الكتاب قرءانا من بين كتب الله؛ لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه لثمرة جميع العلوم)[٢].

ويقول د/ محمد عبد الله دراز (روعي في كونه قرآنا كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا، كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه)[٣].

وسمي القرآن الكريم بالفرقان: باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو مفرق بعضه على بعض في النزول، أوفى السور والآيات، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[٤].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٦٧/١، ط / عالم المعرفة، بدون تاريخ.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ٦٠٦، ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة سنة ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

(٣) النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، صـ ١٢ دار القلم الكويت ط/ الرابعة سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٤) سورة الفرقان الآية (١).

وهناك ثلاثة أسماء أخرى تلي هذين الاسمين في الشهرة، وهى الكتاب والذكر والتنزيل يقول الشيخ الزرقاني: (ويلي هذين الاسمين هذه الأسماء الثلاثة، الكتاب، الذكر، التنزيل)[١].

عدد سور القرآن الكريم وآياته:

أما عدد سور القرآن الكريم (فمائة و أربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به، وقيل ثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة)[٢]. يقول الإمام الزمخشري: (الآيات علم توقيفي لامجال للبحث فيه، ولذلك عدو ﴿ الٓمٓ ﴾ آية حيث وقعت و﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ولم يعدوا ﴿ الٓمٓرٰۚ ، الٓرٰۚ ﴾ وعدوا ﴿ حٰمٓ ﴾ آية في سورها و﴿ طٰهٰ ﴾ و﴿ يٰسٓ ﴾ ولم يعدوا ﴿ طٰسٓۚ ﴾.

ويقول الإمام السيوطي: عن ابن عباس قال: (جميع آيات القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية)[٣].

لغة القرآن الكريم:

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فلم يخرج عن معهود العرب في لغتهم، حتى يسهل عليهم فهمه وتبليغه، قال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٦].

---

(١) مناهل العرفان للشيخ الزرقاني صـ١٥، ط/ دار إحياء التراث العربي/ بدون تاريخ.

(٢) الإتقان للسيوطي ٨٦/١، مصدر سابق.

(٣) الإتقان للسيوطي ١/ ٨٨.

(٤) سورة الشعراء الآية (١٩٥).

(٥) سورة الزمر الآية (٢٨).

(٦) سورة فصلت الآية (٣).

تاريخ نزول القرآن الكريم ومدته:

لقد بدأ نزول القرآن الكريم (بمكة) في (غار حراء) قبل الهجرة بثلاثة عشر عاما، والنبي ﷺ على رأس الأربعين من عمره.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو (بغار حراء) فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في(غار حراء) فجاءه الملك وقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فضمني حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾[1] فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده...)[2]. واستمر نزول القرآن، وتوالى في مكة، وبعد الهجرة في المدينة حتى وفاته ﷺ قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦ ﴾[3].

وكان نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[5].

---

(1) سورة العلق الآيات (١-٣).

(2) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب بدء الوحي ١/٣٠(٣) انظر صحيح البخاري من فتح الباري.

(3) سورة الإسراء الآية (١٠٦).

(4) سورة القدر الآية (١).

(5) سورة البقرة الآية (١٨٥).

المكي والمدني من سور القرآن الكريم:

يرى الجمهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن نزل في غير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن نزل في غير المدينة.

وهناك أقوال في تعيين السور المكية والمدنية قال فيها الزرقاني: (من أوفقها ما ذكره أبو الحسن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ إذ يقول: "المدني باتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتي عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي باتفاق" [١].

تقسيم سور القرآن الكريم:

التقسيم المعروف للقرآن الكريم في عهد النبي ﷺ والصحابة هو:

الطوال – المئين – المثاني – المفصل. وقد جاء ذلك فيما أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده إلى قتاده، وأبو وائلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: (**أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل**)[٢].

ومن هذا الحديث يتبين أن الرسول ﷺ قد قسم سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام وهى:-

١ – الطوال. ٢ – المئين. ٣ – المثاني. ٤ –المفصل.

موضوعات القرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب هداية، يأخذ بأيدي الناس إلى الطريق الأقوم، و إلى صراط الله المستقيم، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في مناهل العرفان للزرقاني ١/١٨٧-١٩١-١٩٢.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسند الشاميين (١٦٣٦٨) وذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/٧٥(١١٧١) وقال عنه: حسن، وعزاه إلى الطبراني والبيهقي عن واثلة.

(٣) سورة الإسراء الآية (٩).

نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وأبرز موضوعات القرآن الكريم الحديث عن العقيدة والشريعة، والحديث عن الكون، وعن قصص الأنبياء السابقين، وعن الإنسان واليوم الآخر، فهو كتاب احتوى كل ما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة من قوانين ونظم وتشريعات، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[2].

❁❁❁

المطلب الثاني: المصدر الثاني للدعوة الإسلامية: (السنة النبوية)

تعريف السنة في اللغة: كلمة السنة في اللغة لها معان كثيرة منها: الطريقة: ومنه قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[3].

وقوله ﷺ: **"من سن في الإسلام سنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها إلى يوم القيامة"**[4] وقوله أيضا: **"لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، قالوا: قلنا من يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ "**[5].

---

(١) سورة الأحقاف الآية (٢٩).

(٢) سورة النحل الآية (٨٩).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٦٢).

(٤) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب العلم ٢٠٥٩/٤ (١٥-٢٦٧٥).

(٥) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب العلم ٤/ ٢٠٥٤ (٦-٢٦٦٩).

وتأتى السنة بمعنى: (السيرة حميدة، أو ذميمة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾[1][2]. وسنة النبي ﷺ: (ما ينسب إليه من قول أو فعل أو تقرير، والجمع سنن)[3].

تعريف السنة عند المحدثين: (كل ما أُثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية، أو سيرة سواءً كان قبل البعثة أم بعدها)[4].

علاقة السنة بالقرآن:

إن علاقة السنة بالقرآن الكريم هي علاقة البيان والتفصيل، ويمكن حصرها في ثلاث نقاط رئيسة وهى:

أولا: تأكيد السنة لما جاء في القرآن الكريم: بمعنى أن يأتي ذكر الشيء في القرآن، ونفس الشيء تذكره السنة المطهرة، فذكره في السنة بمثابة تأكيد لما ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[5]

فتجد ذلك في حديث الرسول ﷺ (**إن الله ﷻ ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته**)[6] وكذلك مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[7].

---

(١) سورة الكهف الآية (٥٥).

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور، مادة (سنن) حول تعريف السنة في اللغة.

(٣) المعجم الوسيط ٤٧٣/١

(٤) السنة ومكانتها في التشريع، د/ مصطفى السباعي صـ ٤٧، ط/ المكتب الإسلامي، ط / الثانية سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

(٥) سورة هود الآية (١٠٢).

(٦) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ١٩٩٧/٤ (٦١-٢٥٨٣).

(٧) سورة الحجرات الآية (١٠).

وفى الحديث **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد"**[١].

ثانيا: تفصيل المجمل: بمعنى أن يذكر الشيء في القرآن مجملا وموجزا ويحتاج إلى بيان وإيضاح، فتتولى السنة التفصيل مثل ما جاء في القرآن الكريم عن الصلاة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٤].

فهذه الآيات أوجبت الصلاة دون أن تبين فرائضها وسننها وأوقاتها وعدد ركعاتها وشروطها و ما يتعلق بها، فجاءت السنة وفصلت هذا المجمل وعلمت الناس الصلاة، وأركان الإسلام الأساسية ومن هنا يمكن أن يقال لولا السنة ما تمكن المسلمون من إقامة أركان الإسلام، وكذلك نظام الأسرة من نكاح وطلاق ورضاعة، ونظام المعاملات من بيع و شراء، والربا والرهن والإجارة، وكذلك كل ما أجمله القرآن الكريم فصلته السنة النبوية الشريفة، ومن صور التفصيل ما يأتي:-

(أ) تقييد المطلق بمعنى أن يأتي الشيء في القرآن مطلقا وتقيده السنة مثل قوله تعالى:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[٥].

فالآية لم تحدد موضع قطع اليد فجاءت السنة وبينت أن القطع من مفصل الكف.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة ١٩٩٩/٤، ٢٠٠٠ (٦٦٠-٢٥٨٦).

(٢) سورة النساء الآية (١٠٣).

(٣) سورة المزمل الآية (٢٠).

(٤) سورة المؤمنون الآية (٩).

(٥) سورة المائدة الآية (٣٨).

(ب) تخصيص العام مثل آية الميراث في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ [١] فجاءت السنة و بينت أن الأنبياء لا يورثوا، وأن القاتل لا يرث، والكافر أيضا.

(جـ) توضيح المشكل: أي يأتي اللفظ مبهما في القرآن لا نفهم معناه فتأتى السنة لتزيل هذا الإبهام مثل آية الشرك: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[٢] فظن الصحابة الظلم على معناه العام، فقال الرسول ﷺ: **"إنما هو الشرك"**[٣].

ثالثا: الاستقلال بالتشريع في بعض الأحكام: والأصل في ذلك ما ورد في القرآن الكريم من آيات توجب على المؤمنين طاعة الرسول ﷺ مثل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾[٥].

ولقد استقلت السنة ببعض الأحكام التي لم يتعرض لها القرآن الكريم مثل: زكاة الفطر، وتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، وبينت أيضا أنه لا يقتل مسلم بكافر[٦].

---

(١) سورة النساء الآية (١١).
(٢) سورة الأنعام الآية (٨٢).
(٣) انظر صحيح البخاري من فتح الباري في كتاب الإيمان ١٠٩/١ (٣٢).
(٤) سورة آل عمران الآية (٣١).
(٥) سورة الحشر الآية (٧).
(٦) انظر صحيح البخاري من فتح الباري في كتاب الزكاة (١٥٠٣). وفى كتاب فرض الخمس (٣١٥٥). وفى كتاب الصيد والذبائح (٥٥٢٧). وفى كتاب العلم (١١١).

واتفق العلماء على العمل بالسنة فيما استقل بتأسيس حكم ولم يتعرض له القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[1].

حجية السنَّة:

السنة وحي كالقرآن الكريم، إلا أنها وحي بالمعنى، والقرآن الكريم وحي باللفظ والمعنى، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[2].

وإذا كانت السنة وحيا وتستقل ببعض أحكام التشريع، فلابد أن يكون لها من الحجية الأهمية الكبرى، في وجوب العمل والاحتجاج بها، وآيات القرآن الكريم تدل على ذلك، ومن الآيات التي تبين حجية السنة ومكانتها وضرورة التمسك بها ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3].

٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[4].

٣- قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[5] فكل رسول جاء من عند الله يجب طاعته، والأصل في ذلك أن الله لا يرسل رسولا إلا إذا كان البشر محتاجين

---

(١) سورة الحشر الآية (٧).
(٢) سورة النجم الآيتان (٣-٤).
(٣) سورة آل عمران الآيتان (٣١-٣٢).
(٤) سورة النساء الآية (٥٩).
(٥) سورة النساء الآية (٦٤).

إليه وإلى منهجه المصلح للمجتمع، فلماذا لا يطاع، وعدم الطاعة عناد وتكبر، واتهام للرسول ﷺ وكل ذلك غير جائز في حق المسلم.

٤- قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1] فالآية تدل على وجوب النزول على حكم الرسول محمد ﷺ في كل خلاف، واشترطت أن إيمان المسلم لا يتم إلا بتحكيم أمره ﷺ والرضا به، والتسليم له، وإلا يخرج المسلم من دائرة الإيمان.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى اتباع سنته حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن فقال له: **"كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟، قال: أقضى بكتاب الله، قال: فإن لم تكن في كتاب الله؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ قال: أجتهد برأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله"**[2].

والخلاصة: أن السنة النبوية لها من الحجية والقوة ما يوجب العمل بها في كل الأمور الاعتقادية والتشريعية والأخلاقية.

التثبت في رواية السنة:

لقد اعتنى السلف الصالح بالسنة النبوية الشريفة عناية كبيرة وفائقة، فوضعوا عدة قواعد وشروط لصحة الحديث النبوي وقبوله تعد من أدق القواعد التي يقوم عليها النقد قديما وحديثا، وقام منهجهم في التثبت من الصحة على التزام الصدق في الأخبار، والتحري من الرواة، والاستيثاق من سماع الروايات من الرسول ﷺ ونقد الأخبار من جهة السند والمتن.

([1]) سورة النساء الآية (٦٥).

([2]) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الأقضية ٣/٣٠٣ (٣٥٩٢).

ولقد بلغ من حرص العلماء الشديد في التثبت من السنة أنهم كانوا إذا وجدوا أقل شبهة في الراوي رفضوا الروايةُ وحكموا بضعف الحديث.

وقد ألف العلماء في ذلك مؤلفات كثيرة، منها ما ألف في الثقات، ومنها ما ألف في الضعفاء، ومنها ما جمع بين هذا وذاك، وسند الحديث هو المحور الذي يدور حوله قواعد النقد، وقد قام علماء الحديث بوضع تراجم عن كل أعلام السنة ورواتها، وقاموا بتعريف شخصياتهم وكناهم، وألقابهم، وأنسابهم، وتاريخهم وسيرتهم، وتباين أخلاقهم، وعدالتهم، وضبطهم، ثم قاموا بالحكم عليهم من غير مجاملة أو خوف، سعيا مع قواعد الجرح والتعديل، ولمعرفة صدق الراوي، كل ذلك صيانة لحديث النبي ﷺ من الخلط والوضع.

وكما اعتنى العلماء بنقد السند اعتنوا أيضا بدراسة المتون، فقسموا الحديث إلى درجات يعرف بها المقبول من المردود، والصحيح من الضعيف، وجعلوا علامات للحديث الموضوع: (بأن يكون مخالفا للعقل أو المشاهدة والحس مع عدم إمكان تأويله، أو مخالفته للقرآن والسنة الصحيحة أو التاريخ المعروف، أو يكون مخالفا للقواعد العامة في الحكم والأخلاق، أو أن يكون داعيا إلى مفسده... إلخ)[1].

وقد دون العلماء القواعد التي وضعوها لمقاومة الوضع والوضاعين، ووضعوا علم مصطلح الحديث (ذلك العلم الذي يبحث عن تقسيم الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف، وتقسيم كل من هذه الثلاثة إلى أنواع، وبيان الشروط المطلوبة في الراوي والمروى، وما يدخل

(1) السنة ومكانتها في التشريع د/ مصطفى السباعي، صـ ٩٨، وما بعدها، المكتب الإسلامي ط/ الثانية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

الأخبار من علل واضطراب وشذوذ، وما ترد به الأخبار، وبيان كيفية سماع الحديث وتحمله وضبطه)[1].

ومن هنا يتبين أن رواية السنة الشريفة حظيت بالاهتمام الكبير والدقة المتناهية من الصحابة والسلف الصالح في روايتها والتثبت منها، ونقد السند والمتن، بحيث تطمئن النفوس، وترتاح القلوب إلى كل ما ينسب إلى النبي ﷺ من أحاديث صحيحة، لها من الحجية مثل ما للقرآن الكريم من وجوب العمل بها.

❁❁❁

(١) تدريب الراوي للسيوطي، صـ٤ وما بعدها، المكتبة العلمية المدينة المنورة ط/ الثانية ١٣٩٢هـ.

المبحث الأول

ربانية القرآن الكريم

تمهيد

أول خصيصة من خصائص الدعوة الإسلامية: الربانية، وهى تعنى أن مصدر هذه الدعوة وحى الله تعالى الذي أنزل على خاتم رسله محمد ﷺ.

والإسلام بهذه الخصيصة يختلف اختلافا جوهريا عن جميع الدعوات السابقة والمعاصرة، لأنه في مصدره ومنهجه رباني مائة في المائة، ولأنه سلم من تدخل يد البشر فيه بالتحريف والتغيير والتبديل، فلقد تولى الله -تعالى- حفظ كتابه بنفسه، وشتان بين حفظ الله -تعالى- وحفظ البشر، وقد أعلن الله ذلك لنبيه ﷺ ولأمته فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

فالقرآن الكريم منذ أول آية نزلت منه حوفظ عليه أشد المحافظة، بحفظه واستيعابه في الصدور، ونقشه في السطور عقب الوحي به مباشرةً، ولم تغفل عنه عين المسلمين لحظةً واحدةً.

يقول الشيخ محمد الغزالي: (ليس في العالم الآن كتاب تصح نسبته إلى الله وتتقدم الدعوى به محفوفة بآلاف الأدلة، وتسطع حقيقته في الأذهان سطوع الضحوة الكبرى في الأبصار إلا

---

(١) سورة الحجر الآية (٩).

هذا القرآن الكريم، إنه وحده صوت السماء، ووديعة الملأ الأعلى، وكلام الله الـذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾)[1].

ثم يقول: (الحق أن الوجود الإنساني منذ الأزل لم يعرف كتابا توفرت له ضمانات الحفـظ، وتظاهرت حوله أسباب العصمة، مثل ما عرف لهذا القرآن الكـريم، إن التـواتر القـوى يشـد أسانيده من كل ناحية، جماهير كثيفة تروى عن جماهير كثيفة، وتبلغ في الاستقصـاء أن تحصى كلمات السور بل تعد حروف الهجاء الموجودة بها حرفا حرفا)[2].

ولكي أبرهن على صحة الربانية في القرآن الكريم من حيث مصدره ومنهجه أرى أنه لابد من دراسة سند القرآن الكريم من وقت نزوله وحتى يومنا هذا، ودراسة تناسقه الذاتي وعـدم اختلافه وتناقضه، وبيان إعجازه على مر العصور والأزمان، بالإضافة إلى إثبـات ربانيتـه مـن خلال نصوص الآيات المبثوثة في داخله، وكذا بعض الأدلة العقلية والتاريخية.

❁❁❁

المطلب الأول: سند القرآن الكريم

نزول القرآن الكريم:

نزول القرآن الكريم عنوان لمبحث هام في كتب علوم القرآن الكريم، والتي مـن أشـهرها البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، ومناهل العرفان للزرقاني، والقـدر المشـترك بيـنهم في هذا المبحث أن القرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة، وإنما نزل على مرتين، كل منهما تعتبر مرحلة مغايرة للأخرى.

---

(1) نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي، صـ٤٩ دار الكتب الإسلامية ط/ السادسة سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م والآية من سورة فصلت (٤٤).

(2) المصدر السابق صـ٣٤.

فالمرحلة الأولى: كانت عبارة عن نزول القرآن دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى مكان يسمى بيت العزة في السماء الدنيا، وهذا فيه من التشريف ما فيه.

والمرحلة الثانية: كانت نزوله منجما حسب الوقائع في نحو ثلاث وعشرين سنة على قلب النبي ﷺ.

وكلتا المرحلتين دلت عليهما نصوص قطعية الثبوت والدلالة، أما كونها قطعية الثبوت فلأنها من القرآن الكريم نفسه، وهو متواتر، والمتواتر ثابت ثبوتا قطعيا، وأما كونها قطعية الدلالة فلأن تلك الدلالة لا يحتمل النص ما يعارضها.

يدل للمرحلة الأولى قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] قال القاسمي: (وصف القرآن بما ذكر، للإشارة إلى أنه لاريب فيه، ولا يضره تكذيب هؤلاء، فإنه تعالى تولى حفظه وظهوره أبد الآبدين. ﴿ مَّجِيدٌ ﴾ أي سام شريف لا يماثل في أسلوبه وهدايته ﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ قرئ بالرفع صفة لقرآن، والجر صفة للوح)[3] قال ابن جرير: والمعنى على الأول محفوظ من التغيير والتبديل في لوح، وعلى الثانية محفوظ من الزيادة فيه والنقصان منه عما أثبته الله فيه[4].

---

(1) سورة القدر الآية (١).

(2) سورة البروج الآيتان (٢١-٢٢).

(3) محاسن التأويل للقاسمي، ٦١١٩/١٧، ط/الحلبي، ط/الأولى سنة ١٩٥٧.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ١٤٠/٣٠، ط/ الحلبي الثانية /بدون تاريخ.

ويدل للمرحلة الثانية قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[2].

جمع القرآن في صدر النبي ﷺ:

لأن القرآن الكريم هو آخر كتاب إلهي نزل من عند الله، كان من خصائصه الذاتية أن تتوافر له وسيلتان من وسائل الحفظ لا وسيلة واحدة.

أما الأولى فهي: الكتابة الدقيقة مع حفظ المكتوب من التغيير والتبديل، ويدل لها تسمية القرآن "بالكتاب".

وأما الثانية فهي: حفظه في القلوب والأذهان كلمة كلمة، وحرفا حرفا، ويدل لها لفظ القرآن نفسه.

ولقد لاحظ العلامة د/ محمد عبد الله دراز هاتين الوسيلتين وصورهما بقلمه البليغ إذ يقول: (روعي في تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفى تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعنى أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر)[3].

([1]) سورة الفرقان الآية (٣٢).

([2]) سورة الإسراء الآية (١٠٦).

([3]) النبأ العظيم، للدكتور/ محمد عبد الله دراز صـ١٢، دار القلم الكويت ط/الرابعة سنة١٩٧٧.

ولقد اكتملت هاتان الوسيلتان اكتمالا تاما لدى النبيﷺ ولدى تلامذته الصحابة الأخيار، أما النبي الأمين ﷺ فكان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولذلك كان إذا نزل شيء من القرآن أمر كتاب الوحي بتدوينه، فكان يمليه عليهم كلمة كلمة، ويقول ضعوا هذه الآية في مكان كذا من سورة كذا، وكان هو ﷺالحافظ الأول للقرآن الكريم، قال تعالى مصورا حرص النبي ﷺ على كلمات الذكر الحكيم: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

يقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: (أي لا تستعن في طلب الحفظ بالتكرار بل اطلبه من الله تعالى... ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ معناه علينا جمعه في صدرك وحفظك)[2].

والنبي الكريم ﷺ مع هذا الوعد الإلهي لم يتوان في الأخذ بالأسباب التي ترسخ الحفظ في الصدور، فكان ﷺيقرأه في حله وترحاله وليله ونهاره، في الفريضة والنافلة من الصلوات، وفى الخطب الجامعة، وكان له حزب يومي من القرآن الكريم لا يتركه، وكان يحب أن يسمعه من أصحابه أيضاَ، وأما الصحابة الأخيار فكانوا يحبون ما يحبه ﷺ يأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه، فكان أحبهم إلى النبي ﷺ أكثرهم أخذا للقرآن، ومن هنا تنافسوا فيه، فحفظه العشرات بل المئات شباب وشيوخا وأطفالا، وكان لبيوتهم بالليل دوى كدوى النحل وهم يترنمون بآي القرآن الكريم، وكتب السنة حافلة بأنبائهم مع القرآن، ولقد حكى لنا القرآن الكريم حال النبي ﷺ وأصحابه الأبرار فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن

([1]) سورة القيامة الآيات (١٦-١٨).

([2]) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٣٠/٢٢٣-٢٢٤، ط/دار الفكر العربي ط/الأولى سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ الآية[١].

وكان النبي ﷺ ينمى فيهم روح الحرص على القرآن بتبيانه لثواب القارئ والحافظ، وإن الكتب التي ألفت في فضائل القرآن وآداب التلاوة مليئة بتلك الأثار النبوية الشريفة، مثل كتاب فضائل القرآن للحافظ ابن كثير، وكتاب التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي.

وكان من وراء ذلك كله مدارسة فريدة من نوعها، تلك التي كانت بين جبريل عليه السلام والنبي ﷺ وفيها تقول السيدة فاطمة رضي الله عنها: (أسر إلى رسول الله ﷺ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي)[٢].

وكانت هناك عوامل كثيرة لحفظ القرآن الكريم وتثبيته وترسيخه في قلب النبي ﷺ يقول د/ إبراهيم الديب: (ومن دواعي حفظ القرآن الكريم وتثبيته وترسيخه في قلب النبي ﷺ ما يأتي:-

١-أنه ربط نفسه بالقرآن وجعله شغله الشاغل وأقبل عليه بكليته في جميع أوقاته وحالاته وهذا يجعل القرآن محفوظا في صدره منقوشا في فؤاده.

٢-أنه كان يقرئ أصحابه القرآن ويمليه على كتبة الوحي منهم، ولا شك أن من حفظ شيئا ثم أملاه على غيره كان هذا من دواعي رسوخه في صدره وثباته في عقله.

٣-أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في شهر رمضان من كل عام مرةً وعارضه في العام الأخير من حياته مرتين ولا شك أن في معارضة الرسول بالقرآن تثبيتا له في قلبه وصدره)[٣].

---

(١) سورة المزمل الآية (٢٠).
(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن، ٦٥٨/٨ (٤٩٩٧).
(٣) انظر الدر النظيم في مباحث من علوم القرآن الكريم، د/ابراهيم الديب صـ٧٣ ط/ سنة ١٩٨٦م.

فقد اجتمع لتحفيظ النبي ﷺ أمور منها أن جبريل عليه السلام يعارض الرسول بالقراءة بل بالدراسة، والدراسة ليست أمرا عارضا ففيها معاناة في الفهم والتدبر، كما أن الرسول ﷺ كان يقرأ القرآن بنفسه، ويقبل عليه بكليته ويدعو إليه أصحابه ويمليه على كتابه لدرجة أن أصبحت بيوت أصحاب الرسول ﷺ تدوي بالقرآن وأصبح حملة القرآن يقدمون على غيرهم في شتى الأمور، ومن ثم فقد سارع سواد كثير إلى حفظه وتبليغه وقراءته وإقرائه إلى يوم الناس هذا.

حفظ القرآن الكريم في صدور الصحابة:

كان الصحابة الأخيار عربا خلصا، أذهانهم سيالة، وقلوبهم واعية، يحفظون ما يسمعون في سهولة ويسر، عرف ذلك عنهم واشتهر بينهم، ولقد ساعدهم على ذلك البيئة التي عاشوا فيها، ففيها صحة البدن وسلامة العقل جميعا، أضف إلى ذلك همة عالية غرسها النبي ﷺ فيهم بقوله وفعله، وكان القرآن الكريم أغلى ما يملكون، فكان حرصهم عليه أكثر من حرصهم على أنفسهم وأموالهم، فكان منهم حفاظا كثيرون حفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (وإن النبي ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد جمع القرآن في صدر طائفة من الصحابة، قيل إن عددهم مائة أو يزيدون، ونحن نرى أنهم كانوا أكثر من ذلك عددا، فإنه قتل من القراء في إحدى مواقع الردة عدد يزيد على السبعين[1] وقيل على سبعمائة، وربما كان الأول أدق، فإذا كان ذلك العدد مقتولا فالباقي بحمد الله تعالى أكثر، وإن كان قتل سبعين قد هال المؤمن الثاقب النظر عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه وجزاه عن الإسلام خيرا- وإذا كان بعض الكاتبين ذكر أن الحفاظ للقرآن من الصحابة أربعة هم علي بن

(1) يقصد الشيخ محمد أبو زهرة موقعة اليمامة.

أبى طالب -كرم الله تعالى وجهه- ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت، فذلك ليس من قبيل الإحصاء ولا من قبيل التعيين العددي فإن العدد أكبر من ذلك)[1].

ويؤكد ما سبق أيضا الشيخ محمد الغزالي فيقول: (والغريب أن معلمي القرآن وصلوا إلى حد من الكثرة تستحق التأمل خصوصا في هذه الفترة المكافحة العصيبة. انظر كيف قتل سبعون قارئا في معركة بئر معونة، ومع هذه الخسارة الفادحة فإن معلمي القرآن في صحراء الجزيرة لم تقع بينهم أزمة بل ظلت وفودهم تنساب هنا وهناك من غير انقطاع. فإذا كانت هذه حال القرآن أيام غربته، وهو يشق طريقه بين الخصومات والعقبات، فكيف تكون حاله بعد ما رست دعائمه ووضحت معالمه وتكونت له دوله تأخذ لربها ونفسها ما تشاء)[2].

من هذا التاريخ يتضح أن حفاظ القرآن الكريم في صدر الإسلام كان عددهم كثيرا، فما قل يوما ما عن عدد التواتر، فإذا كان المسلمون قد قتل منهم في بئر معونة سبعون قارئا للقرآن الكريم فهذا دليل على أن المسلمون لم ينشغلوا في مرحلة الجهاد عن القرآن تعلما وتعليما فكيف بعد أن استقرت الدولة الإسلامية وانتشرت المساجد في أرجائها.

كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ:

كتب القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ كاملا لكنه كان مفرقا غير مجموع، ولكتابته في عهد النبي ﷺ ملابسات وأحوال تحدث عنها علماء الإسلام ممن كتبوا في علوم القرآن تحت عنوان كتابة القرآن وجمعه، أكتفي منها هنا بما كتبه فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ففيه تلخيص لتلك الأحداث: (منذ ابتدأ نزول **القرآن** الكريم على الرسول الأمين، والنبي ﷺ يحفظه، ويأمر من حوله ممن يحسنون الكتابة أن يكتبوه، وقد سمي أولئك الذين كتبوا القرآن بكتاب الوحي،

---

(1) المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة صـ٢٨ ط/ دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

(2) نظرات في القرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي صـ٣٣، ط دار الكتب الإسلامية، ط السادسة سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

ومنهم عبد الله بن مسعود، وعلى بن أبى طالب، وزيد بن ثابت، وغيرهم كثير ممن يحضرون إلى النبي ﷺ عقب نزول الوحي بالقرآن عليه، فيملى عليهم ما نزل، ويعلمهم ما حفظه فيحفظه الكثيرون من الصحابة وخصوصا من كانوا له -عليه الصلاة والسلام- ملازمين، وعلى مقربة منه ﷺ)[1].

وعن ترتيب القرآن في الكتابة التي كانت في عهد النبي ﷺ يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (وكان نزول القرآن على غير الترتيب الذي نقرأه الآن في السور الكريمة، بل كان ذلك الترتيب من بعد النزول بعمل النبي ﷺ بوحي من الله تعالى، فكان يقول -عليه الصلاة والسلام- ضعوا آية كذا في موضع كذا من سورة كذا، فتكون بجوارها متسقة متلاحقة المعنى مترابطة... ولذلك كان ترتيب القرآن الكريم في كل سورة بتنزيل من الله تعالى)[2].

ويجيب الشيخ عن تساؤل قد يخطر بالأذهان فيقول -رحمه الله-: (وقد يسأل سائل، لماذا كان الجامعون له في الصدور كثيرين، وقد حفظوه كاملا غير منقوص، ولم يوجد من جمعه في السطور جمعا كاملا، ونجيب عن ذلك بجوابين -أحدهما- من واقع حياة العرب، فقد كانوا أميين، والمجيد منهم للكتابة قليل، وأدوات الكتابة غير موفورة، وما يكتب عليه غير معد لها، فكانوا يكتبون على الأديم، وعلى لخاف الأشجار، وعلى العسف... كان الغريب أن تكون كتابة فضلا عن أن تكون كتابة كاملة للقرآن عند الواحد من الصحابة، وكتابته كاملة عند الجميع كانت بتوفيق الله تعالى ومن عنايته بكتابه الكريم.

والجواب الثاني: أن ذلك من عمل الله تعالى، لأن الله تعالى العليم الحكيم جعل حفظ القرآن الكريم في الصدور ابتداءا وانتهاءا، وفى السطور احتياطا، ولتكون كتابته من بعد ذلك

([1]) المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة صـ٢٧.
([2]) المصدر السابق صـ٢٧.

صحيحة من كل وجوهها، لا يعتريها تصحيف، ولا تحريف، وإن تواتر القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ يكون كما تلقاه عن ربه العليم الحكيم، والتواتر يكون بالتلقي في الصدور لا في السطور، ولا يكون تواترا في مكتوب إلا إذا قرئ المكتوب على من أخذه عنه وأجازه، فالمكتوب يحتاج في نقله إلى الإجازة القولية، والإجازة القولية لا تحتاج إلى كتابة إلا بمقدار تسجيل الإجازة)[1].

ومما سبق يتبين أن القرآن الكريم كان يكتبه كتاب الوحي عقب نزوله على قلب النبي ﷺ بأمر منه، فضلا عن أنهم كانوا يحفظونه في صدورهم، من كتب منهم ومن لم يكتب، وهذا يدل على أن القرآن الكريم حظي بالعناية الكبرى من النبي ﷺ وأصحابه الكرام -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-.

جمع القرآن في عهد أبى بكر الصديق:

انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه بعد أن بلغ وأدى كأحسن وأتم ما يكون التبليغ والأداء، وجاء من بعده صاحبه الأول وخليفته أبو بكر الصديق ﷺ وكان حريصا كل الحرص على الاتباع، ولما كان النبي ﷺ-لم يأمر بجمع القرآن في كتاب واحد تردد أبو بكر الصديق في اقتراح تقدم به عمر ﷺ بهذا الشأن، وكان الدافع لاقترح الفاروق بجمع القرآن الكريم هو تسابق حفاظ القرآن على ميادين الجهاد في سبيل الله، فاستشهد الكثيرون منهم حتى كانت موقعة اليمامة، والتي قتل فيها سبعون من خيرة حفاظ القرآن الكريم، فأشار عمر الذي أجرى الله الحق على قلبه ولسانه بجمع القرآن الكريم، وبعد محاورة ومجاوبة اقتنع الصديق ﷺ وانشرح صدره لهذه الفكرة العمرية، ولم يبق إلا التنفيذ فكان اختيارهما لشاب مؤمن ذكي

(1) المصدر السابق صـ٢٨.

فطن من أنصار النبي ﷺ ومن أبرز كتاب الوحي، إنه زيد بن ثابت ﷺ والذي تهيب الأمر وناقش الصديق والفاروق، ثم اقتنع فتحمس وشمر عن ساعد الجد، ورعاية الله تحوطه، ومن حوله أصحاب خير البرية ﷺ وبعد أن تم الجمع وضعت الصحف عند الصديق، فلم مات ﷺ وضعت عند أم المؤمنين حفصة ﷺ وكانت تلك الصحف هي المعتمد الأول فيجمع عثمان بن عفان ﷺ بعد ذلك، وقد جاءت هذه الوقائع السابقة مدونة في أصح وثائق التاريخ، بل أصح الكتب بعد القرآن الكريم ألا وهو صحيح الإمام البخاري.

فقد روى بسنده عن زيد بن ثابت ﷺ قال: (أرسل إليَّ أبوبكر بعد مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالقراء بالمواطن، فذهب كثير من القراء وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني، حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبوبكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبى بكر وعمر -رضي الله عنهما- فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾[1].

([1]) سورة التوبة الآية (١٢٨).

حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر -رضي الله عنهما-)[1].

يقول الشيخ محمد الغزالي-رحمه الله-: (لماذا دار هذا الحوار الوجل بين أبى بكر ووزيره أو بينهما وبين زيد بن ثابت، يقول لفيف من العلماء: إنه الحرص الدقيق على إبقاء الأوضاع كما كانت أيام رسول الله ﷺ والحذر من الإتيان بجديد لم يسبق إليه النبي الكريم ولو كان هذا الجديد جمع القرآن في مصحف واحد؟ وقد يكون ذلك سبب ما حدث من أخذ ورد، وعندي أن الموقف يعود إلى استعظام أولئك الرجال لكلام الله وإكبارهم لمهمة جمعه بأنفسهم وهم يرون أشخاصهم على جلالتها دون هذا العمل. فمثار التردد يعود إلى غمطهم لأنفسهم، لا إلى مشروعية هذا العمل ولذلك مضوا فيه دون تردد لما بدا لهم من جوانب الخير التي لا يجوز إهمالها)[2].

فانظر إلى تورع الصحابة من فعل أمر لم يفعله الرسول ﷺ وخشيتهم من مغبة هذا الفعل فذلك يوضح تعظيمهم له، واهتمامهم به وغمطهم لأنفسهم، ولما تبين لهم ما فيه من خير وبر أقبلوا عليه ونشطوا فيه، وكانت لهم سياستهم الدقيقة، وخططهم الموفقة، لنجاحهم في جمع القرآن الكريم.

منهج أبى بكر في كتابة المصحف:

اعتمد الصديق في جمع القرآن الكريم على مصدرين أحدهما: ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ والثاني: ما كان محفوظا في صدور الرجال، وبلغ في دقته في الحيطة والحذر أنه لم يقبل شيئا

([1]) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن ٦٢٦/٨ (٤٩٨٦).

([2]) نظرات في القرآن الشيخ/ محمد الغزالي صـ٣٨، مصدر سابق.

من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ وعلى هذا المنهج جمع القرآن بإشراف أبى بكر وعمر وكبار الصحابة.

يقول الشيخ الغزالي: (إن أدق ما يوصف به عمل أبى بكر ﷺ أنه إجراء حكومي نحو تسجيل القرآن الكريم وضمه جملة من الجذاذات الجامعة لسوره في حرز تحت يد الدولة أي أن القرآن كان مجموعا متميز السور والمعالم معروف البداية والنهاية قبل أن يفعل أبو بكر ما فعل)[1].

ثم حفظت هذه النسخة عند عمر بعد أبى بكر رضي الله عنهما ثم حفظتها حفصة بعد وفاة عمر حتى طلبها خليفة المسلمين عثمان ﷺ حيث اعتمد عليها في نسخ مصاحف القرآن الكريم، وظفرت تلك النسخة بإجماع الأمة عليها وتواترها على مر التاريخ.

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان ودوافعه:

إن الدافع الأساسي لجمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان ﷺ كان اختلاف المسلمين في القراءة وهم في ميادين الجهاد حين اتسعت فتوحات المسلمين ودخل كثير من الناس في الإسلام، وكانوا لا يعرفون ما يعرفه صحابة رسول الله ﷺ من القرآن، ومن وجوه قراءته، وتفرق القراء من الصحابة في الأمصار وأخذ أهل كل مصر عمن وفدوا إليهم من الصحابة في القراءة، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبى بن كعب وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، وغيرهم يقرؤون بقراءة أبى موسى الأشعري.

فوجوه القراءة التي كانوا يقرؤون بها كانت مختلفة وفقا للأحرف التي نزلت على رسول الله ﷺ فكان إذا ضمهم مجمع من مواطن الفتح تعجب البعض من وجوه هذا الاختلاف،

---

(1) نظرات في القرآن صـ٤١.

وليس لهم علم بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ولم يكن بين يدهم مصحف جامع يرجعون إليه فيما شجر بينهم من هذا الخلاف، وكان حذيفة بن اليمان رجلا حصيفا، فلما رأى هذا الاختلاف الذي تعدى إلى كلمات التجريح والتأثيم، استعظم ذلك الأمر، وفزع إلى عثمان بن عفان وأخذه بما رأى، وأشار إليه أن يدرك الناس قبل أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى، حينئذ أدرك عثمان بن عفان أن الفتنة إن لم تعالج بالحكمة والحزم ستنتهي إلى أسوأ العواقب، فاستشار أعلام الصحابة فأجمعوا على نسخ الصحف التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبى بكر الصديق في مصاحف متعددة، ثم يرسل إلى كل مصر ـ مصحفا منها يكون مرجعا يعود إليه الناس عند الاختلاف ويأمر بإحراق كل ما سوى هذا المصحف من صحف أخرى، وبذلك تدارك الخرق قبل أن يتسع على الراقع واستأصل الداء قبل أن يعز عليه الدواء[1].

روى الإمام البخاري: (حدثنا موسى حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة، إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف

(1) يراجع فيما سبق مناهل العرفان للشيخ الزرقاني ١/٣٤٨-٢٤٩.

في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)[1].

الفرق بين جمع أبى بكر وعثمان -رضي الله عنهما-.

يقول الشيخ مناع القطان: (يتبين من النصوص أن جمع أبى بكر يختلف عن جمع عثمان في الباعث والكيفية. فالباعث لدى أبى بكر ﷺ في جمع القرآن خشية من ذهابه بذهاب حملته، حين استحر القتل بالقراء. والباعث لدى عثمان ﷺ كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حين شاهد هذا الاختلاف في الأمصار وخطأ بعضهم بعض.

وجمع أبى بكر كان نقلا لما كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، وجمعا له في مصحف واحد مرتب الآيات والسور، مقتصرا على ما لم تنسخ تلاوته، مشتملا على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وجمع عثمان للقرآن كان نسخا له على حرف واحد من الحروف السبعة، حتى يجمع المسلمين على مصحف واحد وحرف واحد يقرؤون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى)[2].

وجمع عثمان للقرآن الكريم هو المسمى بالجمع الثالث، وكان سنة ٢٥هـ[3].

موقف الصحابة والمسلمين من فعل عثمان في جمع المصحف:

لقد وافق الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- على جمع عثمان بن عفان ﷺ الناس على مصحف واحد وتحريق ما عداه من الصحف والمصاحف المخالفة له، واستحسنوا ما فعل

([1]) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن ٦٢٦/٨ (٤٩٨٧).

([2]) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، صـ ١٣٢-١٣٣، ط/ مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية عشرة سنة ١٤٠٣هـ.

([3]) انظر مباحث في علوم القرآن، صـ١٣٣-١٣٤.

وعدوه مكرمة من مكرماته، وأجمعوا على المصحف العثماني الجديد، وقد وردت روايات تدل على رضاهم عما فعل وتصويبهم له، منها:

جاء في المصاحف عند ابن أبى داود عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص أنه قال: وكتب عثمان مصاحف فقسمها في الأمصار فما رأيت أحدا عاب ذلك عليه.

وقال على حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته، وفى رواية أنه قال: لو وليت لفعلت مثل الذي فعل في المصاحف[1].

أقدم نسخة من القرآن الكريم:

يقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني تحت عنوان: أين المصاحف العثمانية الآن؟.

(ليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الآن، فضلا عن تعيين أمكنتها. وقصارى ما علمناه عنها أخيرا أن ابن الجزري رأى في زمانه مصحف أهل الشام، ورأى في مصر مصحفا أيضا.

أما المصاحف الأثرية التي تحتويها خزائن الكتب والأثار في مصر- ويقال عنها إنها مصاحف عثمانية، فإننا نشك كثيرا في صحة هذه النسبة إلى عثمان ﷺ لأن بها زركشة، ونقوشا موضوعة كعلامات للفصل بين السور، ولبيان أعشار القرآن، ومعلوم أن المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا، ومن النقط والشكل أيضا... ثم إن عدم بقاء المصاحف العثمانية قاطبة لا يضرنا شيئا ما دام المعول عليه هو النقل والتلقي ثقة عن ثقة، وإماما عن إمام إلى النبي ﷺ وذلك متواتر مستفيض على أكمل وجه في القرآن حتى الآن، على أن المصاحف

(1) المصاحف لابن أبى داود، صـ ٢٣-٢٤ ط/ مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالقاهرة، بدون تاريخ.

العثمانية نسخت على غرارها الآلاف المؤلفة في كل عصر ومصر، مع المحافظة على الرسم العثماني)[1].

من كل ما سبق يتبين أن القرآن الكريم حوفظ عليه أشد المحافظة منذ أول لحظة من نزوله على قلب النبي، فحفظه النبي والصحابة في صدورهم، وأملاه النبي على كتاب الوحي في الألواح والرقاع، وجمعه الخليفة الأول من صدور الرجال مع الألواح والرقاع في مصحف واحد، ثم نسخ الخليفة الثالث هذا المصحف وجمع الناس على قراءة واحدة فيه، وأرسل إلى كل مصر من الأمصار مصحفا، ثم نسخت منه ملايين النسخ وهى التي بأيدي المسلمين الآن.

❁❁❁

المطلب الثاني: التناسق وعدم الاختلاف في القرآن الكريم

إن هذا القرآن الكريم منذ نزوله على الرسول ﷺ وحتى وقتنا هذا على أصوله ليس فيه أية شائبة بالزيادة أو النقصان، أو الاختلاف أو التناقض، بالرغم من كثرة النسخ وانتشارها في العالم أجمع.

فلو طابقنا بين نسختين إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب لوجدناهما متطابقتين تمام التطابق، وهذا يدل بلا شك على أن الأصل واحد غير مختلف في السور والآيات والكلمات والحروف، بل وفى طريقة قراءته.

ومما لا ريب فيه أن القرآن الكريم وهو كلام الله -تعالى- منزه عن التناقض والتضاد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[2].

(١) مناهل العرفان للشيخ الزرقاني ١/٣٩٧-٣٩٨.
(٢) سورة النساء الآية (٨٢).

يقول الإمام السيوطي: (وكلامه تعالى منزه عن -الاختلاف والتناقض- كما قال: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1] ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به في الحقيقة -هذا الاختلاف- وقد تكلم في ذلك ابن عباس... حيث جاء رجل إليه فقال: رأيت أشياء تختلف على من القرآن، فقال ابن عباس: ما هو أشك؟ قال ليس بشك، ولكنه اختلاف، قال: هات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع الله يقول ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] وقال: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾[3] فقد كتموا.

وأسمعه يقول: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[4] ثم قال: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[5] وقال: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ -حتى بلغ- طَآئِعِينَ ﴾[6] ثم قال في الآية الأخرى: ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾[7] ثم قال: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾[8] وأسمعه يقول: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ ﴾[9] ما شأنه يقول وكان الله؟

---

(1) سورة النساء الآية (٨٢).
(2) سورة الأنعام الآية (٢٣).
(2) سورة النازعات الآية (٣٠).
(3) سورة النساء الآية (٤٢).
(4) سورة المؤمنون الآية (١٠١).
(5) سورة الصافات الآية (٢٧).
(6) سورة فصلت الآيات (٩-١١).
(7) سورة النازعات الآية (٢٧).
(8) سورة النازعات الآية (٣٠).
(9) سورة الأحزاب الآية (٢٧).

فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ فإنهم لما رأوا يوم القيامة وأن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم، فقالوا ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾.

وأما قوله: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾فإنه إذا نفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، واقبل بعضهم على بعض يتساءلون، وأما قوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ فإن الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض.

وأما قوله: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا.

وأما قوله ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ ﴾ فإن الله كان ولم يزل كذلك، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك، فما أختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك، وإن الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب به الذي أراد ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[1][2].

وهكذا يتضح أن ترجمان القرآن وإمام المفسرين عبد الله بن عباس ﷺ المدعو له بالفقه

([1]) سورة الروم الآية (٦).

([2]) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ٢/٣٥-٣٦. وقال السيوطي عن هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، وأصله في الصحيح.

والحكمة يوضح في جلاء أن القرآن العظيم متسق اتساقا ذاتيا محكما، لا مكان فيه للاضطراب أو التناقض، وتلك معجزة من معجزات القرآن الكريم وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[1].

❁❁❁

المطلب الثالث: إعجاز القرآن الكريم دليل على ربانيته

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، وبيانه الراشد، وحجته البالغة، خص الله به الأمة الإسلامية؛ لأنها أمة باقية إلى قيام الساعة، وشريعتها خالدة على الدوام، فناسب ذلك أن يكون كتابها معجزا، ليره ذوو العقول والبصائر في كل عصر ومصر، فيكون وسيلة للإيمان بربانيته.

وفى الصحيحين: **"ما من نبي من الأنبياء إلا أعطى ما على مثله آمن البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا"**[2].

فالقرآن الكريم في إعجازه لا يشاركه فيه أي كلام بشرى، ولا يساميه أي كلام إنساني، فهو لا يزال غضا طريا في الأسماع وعلى الألسن، على الرغم من بعد فترة نزوله.

ولا خلاف بين العقلاء في أن القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه، ولم ولن يقدر أحد على معارضته، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ

---

(1) سورة هود الآية (١).

(2) الحديث رواه الإمام البخاري، في فضائل القرآن ٦١٨/٨ (٤٩٨١) ورواه الإمام مسلم ١٣٤/١ (٢٣٩-١٥٢).

شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[4].

فهي دعوة صريحة وواضحة للتحدي في عهد رسول الله ﷺ وبعده وما يزال قائما إلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة، وهو تحدٍّ عجيب إذ أنه كتاب مصوغ من حروف في أيديهم، فإن كانوا يرتابون في مصدره، فليأتوا بسورة من مثله إن كانوا صادقين في دعواهم، وهذا ما لم يقع حتى الآن، فالقرآن لا يعارض بمثله آبد الآبدين؛ لأن الله تعالى قال ﴿ **وَلَن تَفْعَلُوا۟** ﴾.

وهذا الإعجاز القرآني له مجالات كثيرة، فهو معجز في لغته وألفاظه وتراكيبه وبلاغته المعنوية، وهو معجز في معانيه ومحتوياته وتشريعاته، وهو معجز في نبوءاته وأخباره المستقبلية، وتفصيل ذلك فيما يلي:

---

(1) سورة البقرة الآية (٢٣).

(2) سورة يونس الآية (٣٨).

(3) سورة هود الآية (١٣).

(4) سورة الإسراء الآية (٨٨).

١ - إعجاز القرآن الكريم في لغته:

لقد نزل القرآن الكريم باللسان العربي فلم يخرج عن معهود العرب في لغتهم، حيث ركبت كلماته من حروفهم، وألفت جمله وآياته من كلماتهم، فأي ميزة إذا للقرآن الكريم جعلت العرب يعجزون عن معارضته، وجعلته في قمة باسقة لا يصل إليها بليغ، ولا يطاولها أديب مهما بلغت مكانته؟

ويجيب على هذا السؤال د/ محمد عبد الله دراز فيقول: (الجديد في لغة القرآن أنه في كل شأنه يتناوله من شئون القول يتخير له أشرف الموارد، وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها، وهى أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يوما أو بعض يوم بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بصاحبه بدلا ولا الساكن يبغى عن منزله حولا، وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان...

ثم يقول: أسلوب عجيب، ومنهج من الحديث فذ مبتكر، كأن ما سواه من أوضاع الكلام منقول، وكأن بينها على حد قول بعض الأدباء (وضع مرتجل) لا ترى سابقا جاء بمثاله، ولاحقا طبع على غراره، فلو أن آية منه جاءتك في جمهرة من أقوال البلغاء لدلت على مكانها، واستمازت من بينها، كما يستميز اللحن الحساس بين ضروب الألحان، أو الفاكهة الجديدة بين ألوان الطعام)[1].

(١) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز، صـ ٩٢، ٩٣، ٩٤، دار القلم الكويت. ط/ الرابعة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

فالإعجاز اللغوي في القرآن الكريم واضح وضوح الشمس في رابعة النهار وذلك للتناسب بين الألفاظ والمعاني فدائما تأتى الألفاظ في دقة دقيقة موحية لها صلة وثيقة بالمعنى المراد حتى أن القارئ مهما كان ضليعا في اللغة خبيرا بأساليبها وجزلها وفصيحها لا يمكن بحال أن يختار من ألفاظ القرآن كلمة أو أن يعثر على حرف وضع في غير موضعه، وهذا بخلاف كلام البشر الذي يضطرب في غرض ويقوى في غرض آخر وكلما ردد الإنسان النظر فيه غير وبدل وحور.

٢- إعجاز القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته:

لقد جاء القرآن الكريم في نظمه وفصاحته وبلاغته في صورة رائعة متميزة، فكان فذا بالنسبة لأسلوب الكتب السابقة، فهو معين لا ينضب في فنون النظم، فالله ﷻ تحدى العرب في أن يأتوا بمثله، وجعل عاقبة التحدي أمارة صدقه ﷺ (تحداهم والكلام كلامهم والفصاحة بيانهم وهم عرب مثل الرسول ﷺ وهم أكثر تمرسا منه على الأسلوب والتعبير، فكان موقفهم موقف المبهور المتحير الذي لا يدرى إلا أنه أمام قوة فوق قوته، وكيف لا يكون كذلك وقد ملك عليهم نفوسهم، واستأثر بلبهم وعقلهم فعجزوا عن نظم سورة تماثل سورة منه وعلموا أنهم أمام كتاب ليس من صنع البشر، وإنما هومن عند الله الخالق لا ترقى لكماله صفة الإنسان المخلوق)[1].

فإذا عجز المشركون عن ذلك، قامت الحجة عليهم، ووجب عليهم أن يلتزموا بالإيمان به وأنه رباني المصدر، ووجب على البشر أن يلتزموا بصدقه، لأن أهل الاختصاص قد قامت الحجة عليهم، فمن باب أولى أنها تقوم على الآخرين.

---

(١) انظر منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه د/ مصطفى الجويني ١٩٧-١٩٨، بتصرف ط/ دار المعارف ط/ الثالثة سنة ١٩٨٤م.

يقول الرافعي: (وحكمة هذا التحدي وذكره في القرآن إنما هي أن يشهد التاريخ في كل عصر بعجز العرب عنه وهم الخطباء اللّد[١] والفصحاء اللسن حتى يجيء بعد ذلك فيما يجيء من الزمن مولد[٢] أعجمي كاذب، أو ذو غفلة، فيزعم أن العرب كانوا قادرين على مثله وأنه غير معجز)[٣].

إن عجز العرب الفصحاء عن الإتيان بأصغر صورة من القرآن مع تحديهم واستفزازهم ومنازلتهم وهم الشعراء والخطباء والحكماء الذين لم يعرف اللحن ولم تعرف العجمة إلى ألسنتهم سبيلا، إن عجز هؤلاء دليل قوى وبرهان متين على أن غيرهم أعجز، فإعجاز القرآن أبدى سرمدي، والتحدي به لا ينتهي مع الأيام والليالي، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٤].

٣- إعجاز القرآن الكريم في إخباره بالغيب الماضي والمستقبل:

لقد ذكر القرآن الكريم كثيرا من قصص الأنبياء السابقين، وقصص الأمم والشعوب التي أرسلوا إليها، ومعظم هذه القصص والوقائع ترد في السور المكية، ومجيئها في القرآن الكريم ناحية من نواح الإعجاز، فلم يكن هناك وسائل الاطلاع والمعرفة بها، وليس لهذه المعلومات التاريخية مصدر غير الوحي الإلهي، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في أكثر من آية، فبعد

---

(١) اللّد: الخصم الشديد، مختار الصحاح، صـ٥٩٥. والمصباح المنير صـ٢٨٤.

(٢) مولد: عربي غير محض، مختار الصحاح، صـ٧٣٥.

(٣) إعجاز القرآن الكريم للرافعي، صـ٢٢، دار الكتاب العربي بيروت ط/ الثانية سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٤) سورة البقرة الآية (٢٤).

قصة ولادة مريم ويحيى -عليهما السلام- يأتي التعقيب القرآني ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[1].

وبعد قصة نوح عليه السلام مع قومه نجد قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2].

وفي تمهيد قصة يوسف عليه السلام وفي افتتاح السورة نلحظ قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[3]

وبعد عرض القصة بتفاصيلها يختمها الله بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[4].

ويبين القرآن الكريم أن الرسول ﷺ لم يكن موجودا وقت وقوع هذه الوقائع والحوادث، وليس عنده علم بها، وأنه بعيد عن بيئة العلم والكتابة، ولا يعرف لباب العلم وأدواته، وإنما مصدر هذه الأخبار هو الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[5].

---

(1) سورة آل عمران الآية (٤٤).
(2) سورة هود الآية (٤٩).
(3) سورة يوسف الآية (٣).
(4) سورة يوسف الآية (١٠٢).
(5) سورة العنكبوت الآية (٤٨).

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحدثت عن أمور مستقبلية، ونهايات معينة لبعض مجتمعات بشرية، أخبر بها القرآن الكريم قبل أن تقع في وقت كان يظن الناس فيه أن عكس هذه النهاية هو الصحيح.

١- ومن أمثلة النبوءات التي ذكرها القرآن الكريم وهى تشكل إحدى نواحي الإعجاز القرآني البارز، وهى أوضح وأقوى، وأصرح النبوءات في القرآن الكريم هو إخباره بغلبة الروم على الفرس بعد هزيمتها النكراء أمامها، قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾[1].

وسياق هذه النبوة وأسلوبها يدل على أنها أعلنت معجزة القرآن الكريم وللرسول ﷺ لأنها حادثة غير عادية، فانتصار الروم بعد هزيمة ساحقة نكراء أمام الفرس، وهذا الانتصار سوف يتحقق في حدود تسعة أعوام، وهى مدة لا تكفى لنهضة شعب منهزم متدهور، إلا أن ذلك سوف يكون بأمر الله وفضله ولذلك قال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾.

٢- كما أخبر القرآن الكريم عن قيام دولة الإسلام الفتية على الأرض في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن

---

(١) سورة الروم الآيات (١-٧).

قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1].

٣- كما أخبر عن الانشقاق والخلاف بين النصارى إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾[2].

٤- كما أخبر القرآن الكريم عن تشتت بنى إسرائيل في أقطار الأرض والاضطهاد الذي سيقع عليهم وحاجتهم الدائمة إلى ظهير يحميهم ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[3].

والقرآن حين يستدل بهذه الأمور المستقبلية، وتأتى موافقة لما أخبر به فمعنى هذا أن هذا القرآن كلام الله، رباني المصدر، لأن الله -تعالى- خالق الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله والأحداث وفاعليها فلا عجب أن يكون وحيا صادقا فيما أخبر به من نبوءات.

❁❁❁

المطلب الرابع: ربانية المصدر والمنهج من خلال آيات القرآن الكريم

الإسلام عقيدة وشريعة، والقرآن الكريم أرسى قواعد العقيدة ووضح معالم الشريعة فمنهجه فيهما رباني مائة في المائة، وهذا يميزه عن كل ما يأتي من قبل البشر من مناهج وضعية، حتى يظل التميز أمرا بارزا في حياة الناس، وكيف لا يكون كذلك ومنزل القرآن هو خالق الإنسان.

---

(١) سورة النور الآية (٥٥).

(٢) سورة المائدة الآية (١٤).

(٣) سورة آل عمران الآية (١١٢).

ولقد تبين مما سبق من دراسة السند والتناسق والإعجاز أن القرآن الكريم رباني المصدر، وربانية المصدر تضفى عليه طابع الصدق المطلق الذي لا يخالطه ريب أوشك ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

وربانية القرآن تجعله يستمد خصائصه من صفات الله ﷻ ففيه إعجاز واقتدار يوقظ الحس والخيال، ويحرك البصيرة والوجدان، وأنه هبة لدنِّيه، وعطية من الله ﷻ لخلقه، وليس نتاج فكر بشرى، ولا تصور أرضى، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت بصيغ مختلفة، مشتقة كلها من مادة (نزل) (أنزل) وهذه شهادة من الله ﷻ وضعها في كتابه، لتكون حجة قوية له من داخله على أن منزله هو الله ﷻ ومن هذه الآيات ما يلي:

١ - قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾[2] يقول الشيخ/ إسماعيل حقي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ خطاب لعامة المكلفين ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ ﴾ كائن ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ بواسطة النبي ﷺ ﴿نُورًا مُّبِينًا ﴾ عنى بالبرهان المعجزات، وبالنور القرآن، أي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا ملة، والبرهان ما يبرهن به المطلوب، وسمي القرآن نورا لكونه سببا لوقوع نور الإيمان في القلوب، ولأنه تتبين به الأحكام كما تتبين بالنور الأحيان)[3].

([1]) سورة الذاريات الآية (٢٣).

([2]) سورة النساء الآية (١٧٤).

([3]) تفسير روح البيان، الشيخ/ إسماعيل حقي، ٣٣٣/٢، دار إحياء التراث العربي، ط/ السابعة، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥.

٢- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١] يقول الإمام ابن كثير: (أي أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين إخبارا حقا وصدقا مطابقا في الواقع في الخارج ماضيا ومستقبلا)[٢].

٣- وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٣]. قال قتادة (يعني القرآن يحفظه الله تعالى من أن يزيد فيه الشيطان باطلا أو يبطل منه حقا)[٤] وقال الشيخ الشنقيطي: (بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزل القرآن العظيم، وأنه حافظ له من أن يزاد فيه أو ينقص أو يتغير منه شيء أو يبدل)[٥] وقال الشيخ المراغي: (إنا نحفظ الكتاب الذي أنزلناه عليه من الزيادة والنقص، والتغيير والتبديل، والتحريف والمعارضة، والإفساد والإبطال، وسيأتي في مستأنف الأزمان من يتولون حفظه والذب عنه ويدعون الناس إليه ويستخرجون لهم ما فيه من عبر وحكم وآداب وعلم)[٦].

٤- قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[٧].

يقول الإمام الألوسي: (وهو تقرير لحقيقة تلك القصص وتنبيه على إعجاز القرآن الكريم ونبوة محمد ﷺ فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحيا من الله ﷻ فالضمير لما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص المحكية وجوزا أن يكون للقرآن الذي هي من

(١) سورة الفرقان الآية (٦).
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣١٠.
(٣) سورة الحجر الآية (٩).
(٤) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ٢/٢١٥.
(٥) أضواء البيان ٣/١٢٠ط/عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.
(٦) تفسير المراغي ١٤/١٠ ط دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.
(٧) سورة الشعراء الآيات (١٩٢-١٩٤).

جملته والإخبار عن ذلك بتنزيل للمبالغة، والمراد إنه لمنزل من الله تعالى، ووصفه سبحانه بربوبية العالمين للإيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته ﷻ ورأفته بالكل (نزل به) أي أنزله على أن الباء للتعدية، يعنى جبريل عليه السلام وعبر عنه بالروح لأنه يحيى به الخلق في باب الدين، أو لأنه روحا كله لا كالناس الذين في أبدانهم روح ووصف عليه السلام بالأمين لأنه أمين وحيه تعالى وموصله إلى من شاء من عباده جل شأنه من غير تغيير وتحريف أصلا)[1].

٥- قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ ﴾[3] يقول صاحب تفسير المنار: (فالكتاب هو القرآن وقد عبر الله عن نزوله (بنزل) إشارة إلى أنه لم ينزل على رسول الله دفعة واحدة، إذ التنزيل يدل على التدرج في النزول وكذلك كان القرآن الكريم)[4].

يقول الإمام الرازي: (تنزيل الكتاب، جملة تامة من المبتدأ والخبر أفادت فائدة شريفة، وهى أن تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره، وهذا الحصر معنى معتبر)[5] (وتنزيل مصدر مصدر لكن المراد منه المنزل، وأما قوله: ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ فأعلم أنه لما ذكر أن ﴿ حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ وجب بيان أن المنزل من هو؟ فقال من الله، ثم بين أن الله -تعالى- موصوف

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي، ١٢٠/١٩ دار إحياء التراث العربي/ بيروت لبنان/ بدون تاريخ.
(٢) سورة غافر الآية (٢).
(٣) سورة الجاثية الآية (٢) وسورة الأحقاف الآية (٢).
(٤) تفسير المنار للشيخ/ رشيد رضا ١٥٥/٣.
(٥) تفسير الفخر الرازي ٢٣٩/٢٦.

بصفات الجلال وسمات العظمة ليصير ذلك حاملا على التشمير عن ساق الجد عند الاستماع وزجره عن التهاون والتواني فيه فبين أن المنزل هو الله العزيز العليم)[1].

ويجمع الرازي بين لفظ التنزيل والإنزال في صيغ القرآن الكريم فيقول: (لفظ التنزيل يشعر بأنه تعالى أنزله عليه نجما نجما على سبيل التدرج، ولفظ الإنزال يشعر بأنه تعالى أنزله عليه دفعة واحدة، فكيف الجمع بينهم؟ والجواب إن صح الفرق بين التنزيل وبين الإنزال من الوجه الذي ذكر فطريق الجمع أن يقال المعنى إن حكمنا حكما كليا جزما بأن يوصل إليك هذا الكتاب وهذا هو الإنزال ثم أوصلناه نجما نجما إليك على وفق المصالح وهذا هو التنزيل)[2].

ومما سبق من آيات القرآن الكريم وبيان أقوال المفسرين فيها يتبين أن منزل القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ هو الله ﷻ لا أحد غيره- وهذا أمر لا شك فيه ولا ريب، فالله ﷻ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا. فالقرآن كتاب محفوظ من الله -تعالى- وباق في الوجود على أصوله إلى قيام الساعة، ولا يوجد كتاب في الدنيا يحفظه الملايين من البشر غير القرآن الكريم.

ربانية العقيدة في القرآن الكريم:

العقيدة في الإسلام لا تتلقى إلا من الوحي الإلهي، وهى مبنية على الاتباع وليس فيها مجال للاجتهاد البشرى قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[3].

([1]) تفسير الفخر الرازي ٢٧/٢٧.

([2]) تفسير الفخر الرازي ٢٦ /٢٣٩.

([3]) سورة الأعراف الآية (٣).

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (أي اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره)[1].

يقول صاحب تفسير الظلال: (هذه هي قضية هذا الدين الأساسية.. إنه إما اتباع لما أنزل الله فهو الإسلام لله، والاعتراف له بالربوبية، وإفراده بالحاكمية التي تأمر فتطاع، ويتبع أمرها ونهيها دون سواه.. وإما اتباع للأولياء من دونه فهو الشرك، وهو رفض الاعتراف لله بالربوبية الخالصة.. وكيف والحاكمية ليست خالصةً له سبحانه؟

وفى الخطاب للرسول ﷺ كان الكتاب منزلا إليه بشخصه ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وفى الخطاب للبشر كان الكتاب كذلك منزلا إليهم من ربهم ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾.. فأما الرسول ﷺ فالكتاب منزل إليه ليؤمن به ولينذر ويذكر. وأما البشر فالكتاب منزل إليهم من ربهم ليؤمنوا به ويتبعوه، ولا يتبعوا أمر أحد غيره.. والإسناد في كلتا الحالتين للاختصاص والتكريم والتحضيض والاستجاشة فالذي ينزل له ربه كتابا ويختاره لهذا الأمر ويتفضل عليه بهذا الخير جدير بأن يتذكر وأن يشكر، وأن يأخذ الأمر بقوة ولا يستحسر)[2].

ومما سبق يتبين أن العقيدة الإسلامية مبنية على الاتباع لنصوص القرآن والسنة، وهذا أمر يعم الناس جميعا، فلا اجتهاد للبشر في أمور العقيدة مع وجود النصوص المأثورة.

([1]) تفسير ابن كثير ٢/٢٠.

([2]) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب ٣/١٢٥٧.

ربانية العبادة في القرآن الكريم:

العبادة في الإسلام لا تتلقى إلا من الوحي الإلهي، فهو الذي رسم صورها وحدد أشكالها وأركانها وشروطها، وعين زمانها فيما يشترط فيه الزمان، ومكانها فيما يشترط فيه المكان، ولم يقبل من أحد مهما كان اجتهاده في الدين أن يبتكر صورا وهيئات من عنده للتقرب إلى الله تعالى، ومن يفعل ذلك فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه، وشرع في دين الله ما لم يأذن به الله، وعمله هذا مردود عليه، وفى الحديث **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"** وفى رواية **"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"**[1].

ولقد وضع الإسلام في مجال العبادة أصلين كبيرين لا يجوز التساهل فيهما، وهما: الأول: ألا يعبد إلا الله، فلا يعبد أحد سواه كائنا ما كان في الأرض أو في السماء، عاقلا أو غير عاقل، وهذا ما تقضيه ربانية الغاية والوجهة.

والثاني: ألا يعبد الله إلا بما شرعه، وما شرعه إنما يعرف بواسطة الرسل المبلغين عنه، وخاتمهم محمد ﷺ الذي نسخ شرعه كل شرع قبله، والذي كتب الله له الخلود وتكفل بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما عدا ذلك فهو أهواء وبدع مرفوضة، وإن دفع إليها حسن النية وشدة الرغبة في زيادة التقرب إلى الله جل شأنه ولكن النية الصالحة وحدها لا تعطى العمل صفة القبول ما لم تكن صورة مشروعة بالنص الثابت)[2].

والإسلام حين يلزم المسلم باتباع هذين الأصلين فإنما يغلق أمامه أبواب البدع والابتداع في مجال العبادة إذ ليس لها مجال في دين الله ﷻ ولذلك جاء التحذير الشديد من الأمور

---

(1) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣ (١٧، ١٨-١٧١٨).

(2) الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي، صـ٣٧ مكتبة وهبه ط/ الرابعة سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

المبتدعة في الدين في الحديث: **"إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"**[1].

وبذلك يتضح أن العبادة في الإسلام بقيت في جوهرها وأصولها سليمة من التحريف، بعيدة عن التبديل لأن الأصل فيها الاتباع للمنهج وليس فيها مجال للاجتهاد بالزيادة أوالنقصان.

ربانية الآداب والتشريعات في القرآن الكريم:

كما أن الإسلام رباني العقيدة والعبادة فهو أيضا رباني في الآداب والتشريعات فآداب الإسلام وتشريعاته مصدرها الوحي الإلهي قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ فليس الالتزام بآداب الإسلام وتشريعاته ناتجا عن اللذة والمنفعة أو العقل أو الضمير أو العرف أو المجتمع، وإنما مصدر الالتزام هو الوحي الإلهي من الله ﷻ.

والقرآن الكريم والسنة النبوية حافلان بجميع الآداب والأخلاق والتشريعات في كافة معاملات المسلم مع الناس في جميع شئون حياته.

فالقرآن الكريم يعلم المسلم آداب المشي في الطريق إذا مشى، في قوله تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[2] ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن

---

(1) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب العلم ٤٣/٥ (٢٦٧٦) وقال حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٥/١، ١٦(٤٢).

(2) سورة لقمان الآية (١٩).

تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[1] ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[2].

ويعلمه أيضا آداب التزاور والاستئذان في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

ويعلمه آداب الجلوس في المجالس في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ ﴾[4].

وفى السنة النبوية آداب كثيرة تتعلق بالأكل والشرب واللباس والتجمل والنوم واليقظة والدخول والخروج والسفر والعودة والتحية والاستئذان حتى قضاء الحاجة للإسلام فيها آداب رفيعة.

والتشريع في الإسلام حق الله وحده هو الذي يأمر وينهى، ويحلل ويحرم، وذلك بمقتضى ألوهيته وربوبيته ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[5] والذين أعطوا لأنفسهم سلطة التشريع للبشر نازعوا الله ﷻ في صفاته واعتبرهم القرآن آلهة معبودة من دون الله، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾[6].

---

(1) سورة الإسراء الآية (٣٧).
(2) سورة الفرقان الآية (٦٣).
(3) سورة النور الآية (٢٧).
(4) سورة المجادلة الآية (١١).
(5) سورة الأعراف الآية (٥٤).
(6) سورة التوبة الآية (٣١).

وفى القرآن الكريم يأتي التعقيب على كثير من الأحكام والتشريعات يلفت الأنظار إلى ربانية مصدرها وهذا من أقوى الدوافع للاستجابة لها وتنفيذ أحكامها دون تقصير أو فتور في الطاعة فهي صادرة ممن لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وممن له الحكم والأمر.

ومن الأمثلة على ذلك في سورة النساء وفى ختام آية قسمة المواريث الأولى، يأتي قوله تعالى: ﴿ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١ ﴾[1] وفى ختام آية المواريث الثانية يأتي قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ ﴾[2] وفى آخر سورة النساء وهى متعلقة أيضا بالمواريث يختمها الله بقوله: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦ ﴾[3].

فهذه التعقيبات القرآنية تؤكد على الأصل الرباني الذي تستمد منه التشريعات فهي ربانية في مصدرها وربانية في منهجها، وربانية في غايتها[4].

❁❁❁

(1) سورة النساء الآية (١١).

(2) سورة النساء الآيات (١٢-١٣).

(3) سورة النساء الآية (١٧٦).

(4) يراجع فيما سبق، ولمزيد من التوسع الخصائص العامة للإسلام د/يوسف القرضاوي، صـ(٣٨-٤٢).

المطلب الخامس: شبهة المستشرقين في نسبة القرآن إلى محمد ﷺ

ادعى كثير من المستشرقين بأن القرآن الكريم من عند محمد ﷺ ومن تأليفه[1]. وتفنيد هذه الشبهة لا يحتاج إلى إيراد النصوص والاستدلال بها، لأنهم لا يؤمنون بربانية القرآن الكريم، والنصوص نفسها هي موضع الشبهة عندهم، فكان حتما أن يكون الردّ عن طريق العقل لاعن طريق النص، ويمكن تفنيد هذه الشبهة فيما يلي:

(١- إن أسلوب القرآن الكريم يختلف تماما عن أسلوب محمد ﷺ في الأحاديث النبوية والفرق بينهما ظاهر وواضح في أسلوب التعبير والموضوعات.

٢- من يقرأ القرآن يشعر أنه أمام إله حكيم يعرف كيف يخاطب خلقه، ويشرع لهم، والقرآن له نظرة شاملة متناسقة للكون والحياة ولأمور العبادات والمعاملات وجميع شئون الحياة، وفيه إعجاز علمي في مجال الطب والفلك والرياضيات مما دفع كثيرا من علماء الغرب الآن أن يشهدوا بربانية القرآن وأن يدخلوا في الإسلام.

أما أسلوب الأحاديث فتتجلى فيها لغة المحادثة والتعليم والخطابة، وأن القارئ لها يشعر أنه أمام شخصية بشرية تعتريها الخشية والمهابة والضعف أمام الله ﷻ.

وموضوعات الأحاديث فيها شرح وتفصيل واستفاضة لأحكام القرآن العامة والشاملة ومن المتعذر على الشخص أن يكون له في بيانه أسلوبان يختلف أحدهما عن الآخر اختلافا

---

(١) انظر هذه الشبهات في كتاب الإسلام في قفص الاتهام د/ شوقي أبو خليل صـ١٥وما بعدها ط/ دار الفكر ط/ الخامسة سنة١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. وانظر الاستشراق دراسة تحليلية وتقويمية د/ محمد عبدالله الشرقاوي صـ٨٣ وما بعدها ط/ دار الفكر العربي بالقاهرة بدون تاريخ.

جذريا، هذا بالإضافة إلى أن محمدا ﷺ لم يدرس ولم يتعلم إذ أنه كان أميا فلا يعقل أنه أتى بهذا الإعجاز القرآني في الأسلوب والتشريع من عنده دون أي تناقض أو اختلاف)[1].

٣- في القرآن الكريم آيات كثيرة فيها لوم وعتاب لمحمد ﷺ ولا يعقل أن يؤلف محمد ﷺ القرآن ثم يعاتب فيه نفسه مثل ما وقع بينه وبين ابن أم مكتوم في مطلع سورة عبس، ومثل آيات العتاب التي نزلت بعد غزوة بدر في أخذ الفداء من أسرى بدر، ومثل آيات العتاب في مطلع سورة التحريم وغيرها.

بل كانت تنزل به نوازل وأحداث من شأنها أن تحفزه إلى القول لوكان الأمر إليه، ولكن تمضى الأيام والليالي ولا يجد في شأنها قرآنا يقرؤه على الناس حتى ينزل عليه الوحي بالقرآن ومن أوضح الأمثلة على ذلك قصة حادثة الإفك التي جاءت في سورة النور.

٤- في القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت بلفظ "قل" وبلغها محمد ﷺ كما هي بلفظ "قل" ولم يتصرف فيها من عنده، ومجيئها بهذه الطريقة مع نسبة القرآن معها إلى محمد ﷺ أمر لا يقبله عقل لا سيما أن ضمير الأمر "قل" قد تصدر في آيات متتالية إذ جاء في صدر خمس آيات متعاقبة في سورة سبأ وهى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[2].

---

(1) انظر الإسلام في قفص الاتهام د/ شوقي أبو خليل صـ٢٤-٢٥ بتصرف.

(2) سورة سبأ الآيات (٤٦-٥٠).

وتكرر هذا الأمر في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1] ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2] ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[3] ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾[4].

إن هذه الآيات جاءت بهذا الأسلوب الحكيم لتذكر الناس بأن مصدرها هو الله ومحمد ﷺ هو مبلغها فقط إلى الناس إذْ لو كانت من عنده لأسقطت كلمة قل عند التبليغ مثل ما تعوده الناس على تبليغ الرسائل وكتابتها.

وللقرآن الكريم طريقته في إثبات ربانية مصدره، وقد قام بدراستها د/ محمد عبد الله دراز وتوصل إلى عشرة أدلة أجملها فيما يلي:-

(١- طابع الوحي المفاجئ، وغير المنتظر فمحمد ﷺ لم يدر بخلده أنه سيبعث رسولا وبعد أن تلقى الوحي لم يكن يضمن استمراره.

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٩).
(٢) سورة آل عمران الآية (٦٤).
(٣) سورة الكافرون الآيات (١-٦).
(٤) سورة الإخلاص الآيات (١-٤).

٢- عدم المعرفة الذي كان فيه محمد ﷺ قبل الوحي وكذلك قومه، ليس فقط فيما يتعلق بالقصص الديني وإنما في كل ما يتعلق بالإيمان والتشريع والكتب المنزلة والسلوك الأمثل عند الله.

٣- حال الأمية، إذ أن محمدا ﷺ لم يكن يقرأ أو يكتب.

٤- وكانت اللغة الأجنبية للأديان السابقة أمام النبي حائلا طبيعيا يمنعه من الوصول إلى هذه المصادر أن يفهمها من نصوصها الشفهية.

٥- ومع ذلك فقد شهد العلماء المتخصصون في الكتب المنزلة السابقة بصدق ما جاء به محمد عن كتبهم.

٦- أما بالنسبة لقومه الذين عاش بينهم عددا من السنين يعادل عمرا، فقد أدركوا أنه لم يكن ليأتي بهذا الكتاب من عنده.

٧- قوة أخلاقه، وصدق إيمانه، وشعوره المرهف بمسؤوليته يوم القيامة، كلها حقائق لا تتفق مع إمكان أن يخترع شيئا وينسبه إلى الله.

٨- وإذا نظرنا للقرآن في حد ذاته، وافترضنا أنه كان من نتاج بشرى وأخذنا في اعتبارنا ضخامة محتواه وطول مدة نزوله، فقد كان من المحتم أن يتضمن بعض التصريحات المتناقضة، أو المتعارضة مع بعض الوقائع السابقة أو اللاحقة له.

٩- ولكن الحقائق التي يقدمها القرآن -حسب تفسيره- لا يمكن الطعن فيها من بين يديها ولا من خلفها، أي لا في الماضي ولا في المستقبل.

١٠- وأخيرا فليس من المستحيل فحسب أن يصدر القرآن عن قلب رجل، أوعن قلب رجال، وإنما إذا اجتمع عالم المنظور وعالم غير المنظور، وتضافرت جهودهم لإثبات شيء مثله،

فلن يتمكنوا من ذلك أبدا وهذا التحدي الإلهي لم يهدمه أحد في الماضي ولن يهدمه أحد في المستقبل)[١].

ولقد تكلم الشيخ محمد الغزالي عن ربانية القرآن الكريم في مفتتح كتابه (المحاور الخمسة للقرآن الكريم) حيث قال -رحمه الله-: (الثقة في هذا الكتاب وحده الذي لم ترق إليه شبهة، والذي لم يختلط فيه الوحي الأعلى بفكر البشر، والذي جمع ما تفرق في رسالات الأنبياء الأقدمين فهو كتاب الأزل والأبد، كتاب استوعب هدايات موسى وعيسى ومحمد، وتضمن من الوصايا ما يضبط سير البشر ويستبقهم على صراط مستقيم.. ويدعم المسلمون إجابتهم تلك بدليلين: أحدهما تاريخي والآخر موضوعي.

أما عن الدليل التاريخي: فيحكى التاريخ -دون شغب من خصم- أن محمدا ﷺ أقام بالقرآن دولة سيطرت على جزيرة العرب كلها وواجهت دولتي الروم والفرس واستطاعت بعد سنوات معدودات أن تقوض سلطانها وأن تنفرد بزمام الدنيا،... ولم يقع لصاحب رسالة سابقة أن أقام بكتابه دولة في حياته ! لقد تم ذلك لمحمد وحده فكان التواتر الكتابي والشفوي سياجا فريدا وفّر للإسلام صيانة لم تعرف لغيره... إن وثائق العقل والنقل تتظاهر وتتزاحم على أن هذا الكتاب ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٢].

ولن يصح في الأذهان شيء إذا اتجهت للقرآن تهمة!

وبعد أن أوجز الشيخ الغزالي الدليل التاريخي، وهو الدليل الأول عن ربانية القرآن الكريم، انتقل إلى الدليل الثاني.. وهو الدليل الموضوعي، حيث يقول -رحمه الله- ولقد

---

(١) يراجع كتاب المدخل إلى القرآن الكريم د/ محمد عبد الله دراز، ط/ دار القلم الكويت سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٢) سورة فصلت الآية (٤٢).

تناولت المصحف الذي وصل إليّ في هذا العصر، وشرعت في تدبره لأتعرف على معانيه! وأحسست للقراءة الأولى أن الكتاب الذي بين يدي يبدئ ويعيد في قيادة الناس إلى الله واستثارة مشاعرهم من الأعماق كي يرتبطوا به ويتوجهوا إليه ويستعدوا للقائه... فلم أجد شيئا صنعه محمد لنفسه، إلا أنه عبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا عبد فقير إلى الله كسائر العباد! إن الحماس يشتعل في الآيات النازلة على مدى ربع قرن تسبيحا وتمجيدا واقتلاعا للأهواء والخرافات التي صرفت الناس عن ربهم الكريم، ماذا لمحمد في هذا الكتاب الذي قالوا: إنه ألفه!

وقرأت الكتب المنسوبة إلى السماء في زعم خصوم محمد فما فتئت أن قلت: إن صح أن هذه الكتب من السماء وأن كتاب محمد من الأرض فمعنى هذا أن محمدا أقدر على صنع الدين من رب الدين! وأنه أفصح في الثناء على الله من الله عندما يتحدث عن نفسه!!...إن تكذيب القرآن مهزلة شائنة، وإن دراسة هذا القرآن الكريم أورثتني إحساسا بعظمة الله لم أحسه أبدا في قراءة كتاب آخر!)[1].

أخلص مما سبق إلى أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي بقى على ربانيته يشهد بذلك التاريخ، بل إن القرآن الكريم بآياته وسوره خير شاهد على ربانيته، وأن البشر ليس لهم أثارة من دخل فيه، والقول بغير ذلك بعيد عن الصواب، وموغل في الخطأ، وبذلك تكون الأدلة مستوفاة وسافرة على ربانية القرآن الكريم، وأنه من عند الله ﷻ لا يتطرق إلى ذلك شك، بل يقوم على ذلك كل دليل وبرهان.

❁❁❁

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي صـ٩ وما بعدها، باختصار ط/ دار الصحوة، ودار الوفاء، ط/ الثالثة سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م

المطلب السادس: من ثمار الربانية في القرآن الكريم وأثرها على المدعوين

لخص د/ يوسف القرضاوي الثمار المترتبة على ربانية القرآن الكريم في أمور أجملها فيما يأتي:

١ - عصمة الدين من التناقض والاختلاف:

يترتب على ربانية القرآن الكريم عصمته وخلوه من التناقض الاختلاف؛ وذلك لصدوره عن الله ﷻ المتصف بكل كمال يليق بجلاله وكماله، المنزه عن كل نقص، الحكيم في كل ما يصدر عنه، والخبير بدقائق الأمور فشرعه فيه من الدقة والإحكام ما يعجز البشر عن تقليده أو مشابهته. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

أما المناهج البشرية الأرضية ففيها من مظاهر التناقض والاختلاف ما يعترى التفكير البشرى المحدود، فالبشر يختلفون من عصر إلى عصر ومن قطر إلى قطر ومن فرد إلى فرد، بل في الفرد الواحد من وقت لآخر، فالفرد في مرحلة الشباب يختلف في تفكيره عن مرحلة الكهولة أو الشيخوخة، وآراءه في وقت الغنى والصحة تختلف عنها في وقت الفقر والمرض، وهذه هي طبيعة العقل البشرى فكيف يتصور بعد ذلك براءته من التناقض والاختلاف، بل هي من صفاته ولوازمه وتبقى العصمة لدين الله ولدعوته ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾[2].

---

(١) سورة النساء الآية (٨٢).

(٢) سورة البقرة الآية (١٣٨).

٢- البراءة من التحيز والهوى:

فمنهج الله ﷻ وضعه الله رب العالمين للناس أجمعين فهو منهج عادل لأنه من قبل الله العادل فلا تحكمه الأهواء والنزعات لأنه سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، ولا يتحيز لجنس أو لون أو فريق من الناس لأنه رب العالمين. كما أنه لا يتميز لشعب على حساب غيره من الشعوب.

ولقد اعتبر القرآن الكريم ما سوى شريعة الله ﷻ ومنهجه أهواء يجب الحذر منها ومن أصحابها، قال تعالى لرسول الله ﷺ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1] ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2].

٣- الهيبة والاحترام للدين في نفوس أتباعه:

ومنشأ هذه الهيبة والاحترام والتقديس أن هذه الدعوة الربانية صادرة عن الله الذي يحظى بكل الاحترام والتقديس من المؤمن، فيتبع هذا الاحترام الطاعة الاختيارية المنبعثة من النفس دون إكراه أو قسر والرضا بكل تعاليمه وأحكامه مع انشراح الصدر واقتناع العقل وطمأنينة القلب، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الجاثية الآية (١٨).

(٢) سورة المائدة الآية (٤٩).

(٣) سورة النساء الآية (٦٥).

ويلزم مع هذا الاحترام والقبول المسارعة إلى التنفيذ وحسن السمع والطاعة في المنشط والمكره دون تحايل أو تكاسل أو هروب من تكاليفه والتزاماته في أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1] ومن الأمثلة على ذلك: تحريم الخمر، فرض الحجاب.

٤ - تحرر الإنسان من العبودية لإنسان مثله:

فالعبودية أنواع وألوان شتى، ومن أكثرها خطرا خضوع الإنسان لإنسان مثله، يضع له نظام حياته يحل له ما يشاء، ويحرم له ما يشاء، ويأمره فيأتمر، وينهاه فينتهي، وهو أمام هذا كله لا يسعه إلا الإذعان والتسليم والخضوع في الحق والباطل، والصواب والخطأ، وفى الحقيقة أن الذي يملك هذه الخصوصية هو الله وحده فمن حقه أن يأمر وينهى، ويحل ويحرم، بمقتضى ألوهيته وربوبيته، وهو الذي يملك أن يضع نظام حياه للناس يسيرون عليه، وفق علمه وحكمته فهو خالق البشر وهو أعلم بما يصلحهم ويفسدهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2][3].

---

(١) سورة النور الآيتان (٥١-٥٢).

(٢) سورة المائدة الآيتان (٤٩-٥٠).

(٣) انظر الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي، صـ ٤٣-٤٩ باختصار وتصرف، ط/ مكتبة وهبة ط/ الرابعة سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

المبحث الثاني

التوحيد في القرآن الكريم

تمهيد

التوحيد هو الحقيقة الأساسية الأولى في الدعوة الإسلامية، بل إن الإسلام جعله شعارا له، فالإسلام يتفرد بالتوحيد الخالص من بين سائر المعتقدات السائدة في الأرض جميعا.

والتوحيد هو قاعدة كل رسالة جاءت من عند الله -تعالى- والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة ويؤكدها ويكررها في قصة كل رسول أرسله الله إلى قومه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] (فالتوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس، لا تبديل فيها ولا تحويل، توحيد الإله وتوحيد المعبود، فلا انفصال بين الألوهية والربوبية، ولا مجال للشرك في الألوهية ولا في العبادة، قاعدة ثابتة ثبوت النواميس الكونية، متصلة بهذه النواميس وهى واحدة منه)[2] قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3].

فنوح وهود وصالح وإبراهيم وبنيه وشعيب وجميع الأنبياء جاءوا بالتوحيد الخالص لله ﷻ قال تعالى على لسان نوح لقومه: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ ﴾[4].

---

(1) سورة الأنبياء الآية (٢٥).
(2) في ظلال القرآن أ/ سيد قطب، ٢٣٧٤/٤، دار الشروق ط/ الثالثة عشر سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
(3) سورة النحل الآية (٣٦).
(4) سورة هود الآيتان (٢٥-٢٦). وانظر سورة الأعراف الآية (٥٩).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[3].

وإبراهيم عليه السلام وأبناؤه كانت ديانتهم التوحيد، كما يحكي القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[4].

وموسى عليه السلام جاء بالتوحيد قال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾[5] ثم انتهت عقيدة اليهود إلى العنصرية في الذات الإلهية، فوق ما افتروا على الله -تعالى- مما لا يليق به.

وعيسى عليه السلام جاء بالتوحيد الخالص، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ

---

(1) سورة الأعراف الآية (٦٥).
(2) سورة هود الآية (٦١).
(3) سورة هود الآية (٨٤).
(4) سورة البقرة الآيات (١٣٠-١٣٢).
(5) سورة طه الآيات (٩-١٤).

فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[1].

ثم أمست عقيدة النصارى في الذات الإلهية إلى التثليث، الذي يحاولون أن يصفوه بالتوحيد في الأقانيم الثلاثة، فالتوحيد عندهم دعوى لا حقيقة لها.

أما عقيدة التوحيد التي جاء بها محمد ﷺ فهي نقية من كل شائبة، بريئة من كل زيف، منزهة عن جميع النقائض، ونصت على استحالة الولد، وعن كل ما يشعر بمشابهة الخالق بالمخلوق، ونصت على وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته، كما عالجها القرآن الكريم من كل جوانبها، وأخرجها للناس وضيئة، خالصة من كل دخن ودخيل.

يقول الأستاذ/ أبو الحسن الندوي: (الإسلام دين توحيد خالص، دين لا يؤمن بالوساطة بين العبد وربه، ولا بمشهود محسوس يركز عليه الإنسان تفكيره، ويصرف إليه همته، ليتخيل به الإله الذي لا تدركه الأبصار، ويرتبط به في خياله ويتمسك بأذياله، فلا وسائط ولا مظاهر، ولا صور ولا أصنام ولا هياكل، ولا طبقة كهان ولا سدنة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2]... إذا فالإسلام دين يطلب تجردا في الخيال، وسموا في الفكر، ونقاءً في الإرادة والنية، وإخلاصا في العمل والتطبيق، وانقطاعا عن الغير، لا يتصور فوقه أو أكثر منه، ومستوى الفكر والعقيدة، لم تبلغ الإنسانية ولا الأديان والفلسفات، والنظم الدينية أو العقلية

---

(1) سورة المائدة الآيات (١١٦-١١٧).
(2) سورة البقرة الآية (١٨٦). وانظر سورة الزمر الآية (٢).

إلى مثله، أو قريب منه، وقد وصف الله نفسه بما لا مزيد عليه في الدقة والسمو، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1])[2].

المطلب الأول: تركيز القرآن الكريم على التوحيد

إن القرآن الكريم لا يركز في دعوته للناس على الإيمان بوجود الله ﷻ باعتبار أن ذلك فطرة مركوزة في داخل الإنسان، فالإنسان إذا ترك لفطرته وجبلته يجد نفسه متجها إلى قوة عليا يندفع إليها اندفاعا شديدا، خاصة عندما تنزل به الشدائد، وتعصف به الكروب، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾[3] ففي وسط الشدة والأهوال، تنكشف فطر الناس مما ألم بها من دخن وشوائب، وتنبض الفطرة الأصيلة باللجوء إلى الله ﷻ[4].

يقول المرحوم د/ محمود شعلان: (وتمضى الآيات مبينة أن الإله الغالب القهار هو وحده القادر على أن يسوم المشركين به وغيرهم سوء العذاب، فلا يستطيعون له دفعا، ولا يملك شركاؤهم لهم نفعا؛ فإن العجز طبيعة أولئك الشركاء وسمتهم.. وهؤلاء المشركون يعلمون ذلك بفطرتهم إلا أن الغفلة، وطول أمد الشرك، وموروث التقاليد قد طمس تلك الفطرة؛ بيد

([1]) سورة الشورى الآية (١١)

([2]) الأركان الأربعة للعلامة أبى الحسن الندوي، صـ٢٣٧-٢٣٨، ط/ دار القلم الكويت سنة ١٤١٥هـ-سنة ١٩٨٤م.

([3]) سورة يونس الآية (٢٢).

([4]) انظر حقيقة التوحيد، د/ يوسف القرضاوي صـ٥-٨ مكتبة وهبة ط/ السابعة سنة١٤٠٩هـ١٩٨٩م.

أنها تستثار وتعود إلى طبيعتها حين ينزل الله بهم عذابه أو تحدق بهم الأهوال، فيتيقنون أن ما حل بهم لا يقدر على كشفه عنهم إلا الله وحده)[١].

وتكاد الأمم أن تكون مجمعة على الشعور بوجود إله لهذا الكون، ولم ينكر وجود الله ﷻ إلا القليل النادر، وإن غفلوا عن هذه الفطرة في حالة السراء فلا شك أنهم يلوذون إليها في حالة الضراء، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾[٢].

يقول الفخر الرازي: (ولا شك أن الانتقال من تلك الأحوال الطيبة الموافقة إلى هذه الأحوال القاهرة الشديدة يوجب الخوف العظيم، والرعب الشديد، وأيضا مشاهدة هذه الأحوال والأهوال في البحر مختصة بإيجاب مزيد من الرعب والخوف، ثم إن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته، ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق، ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعا إلى الله تعالى)[٣].

ثم يقول: (يحكى أن واحدا قال لجعفر الصادق: اذكر لي دليلا على إثبات الصانع؟ فقال: أخبرني عن حرفتك؟ فقال أنا رجل أتجر في البحر، فقال: صف لي كيف حالك إذا ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح واحد من ألواحها وجاءت الرياح العاصفة؟ هل وجدت في قلبك تضرعا ودعاءً؟ فقال: نعم. فقال جعفر: فإلهك هو الذي تضرعت إليه في ذلك الوقت)[٤].

---

(١) منهج الدعوة إلى الله تعالى كما تصوره سورة الأنعام د/ محمود شعلان صـ٨١ مطبعة الأمانة ط/ الأولى سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) سورة يونس الآية (٢٢).

(٣) التفسير الكبير، للفخر الرازي، ٧٠/٩ ط/ دار إحياء التراث العربي/ بدون تاريخ.

(٤) التفسير الكبير، للفخر الرازي، ٧١/٩.

ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد التكليف بمعرفة التوحيد ونفى الشريك، قال ﷺ: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله"**[1].

ولهذا أيضا جعل محل النزاع بين الله وبين الخلق التوحيد، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾[4].

ولقد احتج القرآن الكريم على المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى بأنهم ليس معهم دليل من العقل، ولا برهان من النقل، فقال تعالى موبخا إياهم: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

---

(1) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٥٣/١ (٣٦-٢٢).

(2) سورة غافر الآية (١٢).

(3) سورة الزمر الآية (٤٥).

(4) سورة الإسراء الآية (٤٦).

(5) سورة الأنبياء الآيتان (٢١-٢٢).

يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

ولقد طالبهم القرآن الكريم بالدليل النقلي على دعواهم، فقال تعالى: ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾[2].

يقول أ/ سيد قطب: (ولقد ركز المنهج الإسلامي -ما يتمثل في القرآن- تركيزا شديدا على تقرير هذه الحقيقة الكبرى، وتعميقها في الضمير البشرى، وسلك بها إلى هذا الضمير كل المسالك في الكينونة البشرية، واتبع شتى أساليب الاستجاشة والتأثير، والإبانة والتقرير، ليقر في النفس البشرية حقيقة العبودية لله وحده بلا شريك، والدينونة لله وحده بلا منازع... ولقد عرف القرآن البشر بإلههم الواحد تعريفا مؤثرا موحيا عميقا مريحا... كل ذلك لأن هذه الحقيقة هي القاعدة التي تقوم عليها عقيدة المسلم، والتي ينبثق منها تصوره)[3].

ولقد عنى الإسلام بالدعوة إلى التوحيد علما وعملا، واعتقادا وسلوكا، قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[4] بل لقد جعل الإسلام عنوانا له كلمة التوحيد وهى: (لا إله إلا الله).

التوحيد نداء الفطرة:

إن أساس التدين الفطرة، وأساس الفطرة التوحيد، ومن ثم فالتوحيد قديم منذ الأزل، فهو أساس كل دين جاء من عند الله ﷻ وأوحاه الله إلى كل رسول أرسله إلى الناس، فكانت

([1]) سورة الأنبياء الآيتان (٢٤-٢٥).

([2]) سورة الأحقاف الآية (٤).

([3]) مقومات التصور الإسلامي أ/ سيد قطب، صـ٨٢، ط/ دار الشروق سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

([4]) سورة البقرة الآية (١٦٣).

دعوة التوحيد أول صوت عقدي يدوى في دنيا البشر، وكتب الله بذلك للوحدانية أن تسبق الشرك، وأن تكون عقيدة التوحيد هي الأصل، يقول ﷺ: **"نحن معاشر الأنبياء أبناء علات ديننا واحد وشرائعنا مختلفة"**[١] وفى الحديث **"إني خلقت عبادي كلهم حنفاء وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم"**[٢].

فآدم عليه السلام كان موحدا؛ لأن التوحيد نداء الفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣] قال العلامة أبو السعود: (فإن الناس لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إلى ملة الإسلام، وما اختاروا عليها دينا آخر، ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن، ومنه قوله ﷺ حكاية عن رب العزة **"كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم و أمروهم أن يشركوا بي غيري"** وقوله ﷺ: **"كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه"**[٤].

يقول أ/ سيد قطب: (والتصور الإسلامي يقوم على أساس أن الفطرة البشرية لا تحتاج فقط إلى مجرد التدين، ولا إلى مجرد الاعتقاد في ألوهية، بل إنها تحتاج إلى إله واحد، تتجه إليه بعبوديتها خالصة، وأنها مفطورة على هذه العقيدة التوحيدية قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري بلفظ مختلف في كتاب الأنبياء ٥٥٠/٦ (٣٤٤٣) ورواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الأنبياء ١٨٣٧/٤ (١٤٥-٢٣٦٥).

(٢) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة، ٢١٩٦/٤ (٦٣-٢٨٦٥)

(٣) سورة الروم الآية (٣٠).

(٤) تفسير أبى السعود ٦٠/٧ بتصرف يسير. والحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الجنائز ٢٩٠/٣ (١٣٨٥).

كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1].

ويقول الدكتور/ محمد عبد الله دراز: (والواقع أنه حتى العرب كانوا يعترفون بوجود إله أعظم خالق للكون ومدبر لشئونه، ولا يرجع هذا الاعتراف فقط إلى بعض الآثار المحفوظة عندهم من ديانة إبراهيم وإسماعيل، وإنما توجد نواته في أعماق النفس الإنسانية، ولكن هذا التوحيد الأولى، أو هذه الديانة الفطرية كما يحكيها القرآن، لم تكن إلا فكرة نظرية محجوبة ومغمورة في الواقع تحت معتقدات وعبادات كانت تؤدى إلى عدد لا يحصى من الآلهة، فهم لا يدعون الله الواحد إلا إذا ألم بهم خطر كبير)[2].

فالتوحيد هو المنبع الأساسي لجميع الرسالات الإلهية، والأصل الأصيل الذي تقوم عليه الدعوة الإسلامية[3].

([1]) مقومات التصور الإسلامي أ/ سيد قطب، صـ١٠٤، والآية في سورة الأعراف، (١٧٢-١٧٣).

([2]) المدخل إلى القرآن الكريم، د/ محمد عبد الله دراز صـ٧٤-٧٥ دار القلم الكويت سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

([3]) وبالرغم من أن ذلك من الحقائق الواضحة، إلا أن هناك فرية تبناها بعض الباحثين الغربيين في علم مقارنة الأديان، وانخدع بها بعض المفكرين من المسلمين، وتقوم هذه الفكرة على أن الإنسان قد ترقى في عقائده كما ترقى في العلوم والصناعات، وأن العقيدة الدينية مرت بأطوار شتى، هي:-

١-دور التعدد: وفيه كانت القبائل الأولى تتخذ لها أربابا تعد بالعشرات.

٢-دور التمييز والترجيح: وفيه تبقى الأرباب على كثرتها، ويؤخذ رب منها في البروز والرجحان على سائرها.

٣-دور الوحدانية: وفيه تتوحد الأمة، فتجتمع إلى عبادة واحدة تؤلف بينها، مع تعدد الأرباب في كل إقليم.

٤-بعد هذه الوحدانية الناقصة، ينشأ دور الثنائية، في محاولة لتفسير الشر في الوجود، ويثبته إلى إله غير إله الخير.

٥-يعقب ذلك وحدة الوجود، في محاولة للتوفيق بين النقائص والضرورات، ولإثبات وجود إله عن طريق الحس والعقل معا.

٦-بعد هذا بدأت الأديان الكتابية تبلغ بالتوحيد غاية مرتقاه، وتعلم الناس عبادة الإله الأحد، الذي خلق الوجود من عدم، ووسعت قدرته كل شيء). انظر كتاب "الله" لعباس محمود العقاد صـ٣٤ بتصرف، دار الكتاب اللبناني/ بيروت ط/ الأولى سنة ١٩٧٨م

وهذا التفكير السابق ينطلق من التسليم بصحة نظرية (دارون) وهى نظرية خاطئة قد سقطت في منتصف القرن العشرين في أمريكا أمام التجارب العلمية الحديثة٠ ويذكر د/ محمد عبد الله دراز أن الباحثين في موضوع تطور العقيدة انقسموا إلى شعبتين عظيمتين تسيران في خطين متعاكسين: ففريق منهم يذهب إلى أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد، كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته حتى زعم بعضهم أن عقيدة (الإله الأحد) عقيدة جد حديثة، وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي. هذه النظرية نادى بها أنصار مذهب (التطور النقدي أو التصاعدي) الذي ساد في أوروبا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عدد من العلماء منهم سبنوزا وتيلور وفريزر ودور كايم وغيرهم... وإن اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صورة العبادة الأولى وموضوعها.

وفريق آخر يقرر بالطرق العلمية بطلان هذا المذهب، ويثبت بالعكس أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر، مستدلا بأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث، فتكون الوثنيات إن هي إلا أعراض طارئة، أو أمراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة). الدين، د/ محمد عبد الله دراز، صـ١٠٢، ط/ دار القلم بالكويت.

ويخطئ نظرية تطور عقيدة التوحيد أ/ سيد قطب فيقول: (أخطأ منهج علم الأديان المقارنة عن (تطور) عقيدة التوحيد، بدون استثناء الرسالات السماوية، بل بالإغفال المتعمد لاستقلال هذه الرسالات عما صاغته العقول البشرية من ركام العقائد والتصورات، واعتبار ما جاءت به الرسالات مجرد تطور في المحاولات البشرية في مجال الاعتقاد.

وخطر هذا المنهج على العقيدة الصحيحة، مناقضته للمنهج القرآني، ومخالفته عن قول الله في هذه القضية، وخطورة وقوع بعض الشارحين للإسلام أو المدافعين عنه في هذا المزلق الذي تحفره الداروينية، والمناهج الأوربية الشاردة من الكنيسة، ثم قراءة الراغبين في الإسلام لمؤلفات هؤلاء المنزلقين وهم يحسنون الظن بهم؛ لأنهم يرونهم متحمسين للإسلام، مدافعين عنه، فينزلقون وراءهم في منهج مناقض لمنهج القرآن.. والأمر هنا أمر عقيدة. فما يؤمن بالله من لا يصدق قوله في قضية العقيدة، وما يؤمن بالقرآن من يتخذ منهجا مناقضا لمنهج القرآن، لقد كانت قضية توحيد الله ﷻ وإفراده

أهمية التوحيد في القرآن:

(١) التوحيد غاية النبيين والمرسلين أجمعين:

إن الأنبياء جميعا من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ كانت مهمتهم الأولى الدعوة إلى عبادة الله وحده، وتنزيهه عن كل نقص، وتحذير الناس من العبادة لغير الله ﷻ.

والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

بالألوهية والعبودية له وحده بلا شريك، والدينونة له بلا منازع، هي قضية الاعتقاد الأولى والحقيقية في جميع الرسالات، وفى جميع العصور). مقومات التصور الإسلامي أ/ سيد قطب، صـ٩٨-٩٩، مصدر سابق.

وعلماء المسلمين لا ينكرون انحرافات البشرية عن المنهج الإلهي، وتحريف اليهود والنصارى لكتبهم، وظهور البدع والضلالات في الناس بعد أن طال عليهم الأمد وقست قلوبهم، ولهذا تتابعت الرسالات الإلهية لتعيد الناس إلى الفطرة النقية، قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾. سورة البقرة الآية (٢١٣)

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على التوحيد من الحق، فاختلفوا؛ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين). تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، صـ١/ ٢١٥ ط/ دار المنار / بدون تاريخ.

وبهذا يتضح أن الأطوار المزعومة في تطور العقيدة ليست متعاقبة يسلم بعضها إلى بعض، كما في هذا الزعم السابق، بل اجتمع في جزيرة العرب قبيل بعثة محمد ﷺ اليهود والنصارى والمجوس والوثنيون والدهريون والحنفاء، كل هؤلاء في مكان واحد، وتلك سنة جارية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وليظل المؤمنون الموحدون في جهاد ورباط دائم ومستمر إلى يوم القيامة.

(١) سورة النحل الآية (٣٦).

يقول الإمام ابن كثير: (فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل منذ حدث الشرك في بنى آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

ويقول أ/ سيد قطب: (لقد كانت قضية توحيد الله-سبحانه-وإفراده بالألوهية والعبودية له وحده دون شريك، والدينونة له بلا منازع.. هي قضية الاعتقاد الأولى والحقيقية في جميع الرسالات وفى جميع العصور)[2].

(٢) التوحيد سمة الإسلام:

إن كلمة التوحيد الموجزة تتضمن نفى الألوهية عن كل ما سوى الله ﷻ وإثباتها لله وحده، فهو وحده الإله الحق، وما سواه فآلهة باطلة وزائفة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[3].

وكلمة التوحيد هي أصدق الكلام وأفضله، وهى أفضل ما جاء به الأنبياء جميعا، وفى الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **"أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله"**[4].

(والإسلام يتجسد في كلمتين، من شهد بهما فقد دخل فيه، وأولى هاتين الكلمتين (شهادة أن لا إله إلا الله) والثانية هي شهادة (أن محمدا رسول الله).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/٥٦٩-٥٧٠.

(٢) مقومات التصور الإسلامي أ/ سيد قطب، صـ ٩٩.

(٣) سورة لقمان الآية (٣٠).

(٤) جزء من حديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الدعوات ٥/ ٥٣٤ (٣٥٨٥) وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه.

ومن الجدير بالذكر أن من آداب الإسلام في استقبال المولود أن يؤذن في أذنه اليمنى، ويقام في أذنه اليسرى، وذلك لتكون كلمة التوحيد هي أول ما يطرق سمع المولود من أصوات الناس.

ومن سنن الإسلام لمن حضرته الوفاة، كان على أقربائه أو من يحضره، أن يلقنه كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) ليكون آخر كلمة يودع بها الحياة هي كلمة التوحيد، وما بين مهد الطفولة وفراش الموت ليس له مهمة أو رسالة غير إقامة التوحيد والدعوة إليه)[١].

يقول الأستاذ سيد قطب: (لقد اعتبر الإسلام قضية التوحيد هي قضيته الأولى وقضيته الكبرى.. توحيد الألوهية وإفرادها بخصائصها والاعتراف بها لله وحده، وشمول العبودية لكل شيء ولكل حي، وتجريدها من خصائص الألوهية جميعا.. فالتوحيد هو مقوم الإسلام الأول، كما أنه انتهى إلى أن يكون من خصائصه المميزة، ذلك أن ديانات التوحيد كلها –وقد ألممنا بها من قبل–ومنها ما هو قائم كاليهودية والنصرانية– قد دخلها التحريف، وشابتها شوائب الوثنية في أصولها ونصوصها بسبب الإضافات والتأويلات البشرية... وبقى الإسلام وحده محفوظا من التحريف في أصوله ونصوصه، فبقيت له سمة التوحيد خصيصة له مميزة)[٢].

(٣) التوحيد أول حق لله على عباده:

إن إقامة التوحيد في الأرض هو حق الله ﷻ على عباده الذي لا يجوز الغفلة عنه ولا التفريط فيه، ذلك لأن الله ﷻ خلق الإنسان من عدم، وأمده بنعم لا تعد ولا تحصى، وسخر

---

(١) انظر حقيقة التوحيد د/ يوسف القرضاوي صـ٣٠.

(٢) مقومات التصور الإسلامي أ/ سيد قطب، صـ١١٦–١١٧.

له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، وأتاه العقل، وعلمه البيان، وفضله على سائر مخلوقاته.

ومن حق هذا الإله الخالق أن يفرد بالعبادة والتوحيد الخالص، ولهذا كان من أول وصايا القرآن الكريم التركيز على عبادة الله وحده وعدم الشرك به قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[١] وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾[٣].

وفى الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت ردف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت لبيك رسول الله وسعديك، قال: **"هل تدرى ما حق الله على العباد؟"** قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: **"فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"** ثم سار ساعة، ثم قال: **"يا معاذ بن جبل"** قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: **"هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك"** قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: **"ألا يعذبهم"**[٤].

---

(١) سورة النساء الآية (٣٦).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥١).

(٣) سورة الإسراء الآيات (٢٢-٢٣).

(٤) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب اللباس ١٠ /٤١٢ (٥٩٦٧) ورواه الإمام مسلم واللفظ له في كتاب الإيمان ١/٨٥ (٤٨-٣٠) ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٢/١٤٣٥ (٤٢٩٦).

(٤) التوحيد مهمة المسلمين أفرادا وجماعات:

إن وظيفة المسلم في هذه الحياة إقامة التوحيد في الأرض، والدعوة إليه، لأن الغاية من خلق الإنسان هي معرفة الله وعبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾[١].

فإذا كان التوحيد هو رسالة المسلم في الحياة، فهو أيضا رسالة الأمة الإسلامية إلى العالم كله، ومن الأدلة على ذلك كتبه ﷺ إلى الملوك والرؤساء المعاصرين له وكان يختم كل رسالة منها بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[٢].

ولقد سار الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان على هذا النهج النبوي الراشد ففي معركة القادسية سأل رستم قائد الفرس ربعي بن عامر فقال له: من أنتم؟ وما مهمتكم؟ فأجابه بقوله: (نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)[٣].

أقسام التوحيد:

إن توحيد الله سبحانه وتعالى يتضمن نوعين لا يغنى أحدهما عن الآخر.

(أ) توحيد في المعرفة والإثبات والاعتقاد ويسمى بتوحيد (الربوبية).

---

(١) سورة الذاريات الآيتان (٥٦-٥٧).

(٢) سورة آل عمران الآية (٦٤).

(٣) انظر البداية والنهاية أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ٤٠/٧ ط/ دار الحديث القاهرة ودار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(ب) توحيد في الطلب والقصد والإرادة ويسمى بتوحيد (الألوهية)[١].

(أ) توحيد الربوبية:

وهو يعنى أن الله ﷻ رب الكائنات، وخالق السماوات، ومدبر للوجود كله، لا يشاركه فيه مشارك، ولا ينازعه في ملكه منازع، وهو ﷻ رازق كل حي، ومدبر كل أمر، وهو النافع الضار، فكل من سواه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا إلا بإذن الله ومشيئته.

وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل لأقوامهم فيما حكاه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[٢] وتوحيد الربوبية هذا لم ينكره مشركو العرب قديما في عهد النبي ﷺ فهم كانوا يؤمنون به ويقرون به، وحكى القرآن الكريم عنهم ذلك في آيات كثيرة منها.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٨٧ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ

---

(١) انظر أصول العقيدة الإسلامية، للإمام الطحاوي صـ١٩.تحقيق عبد المنعم صالح العلى الأزدي ط/ مؤسسة الرسالة

(٢) سورة إبراهيم الآية (١٠).

(٣) سورة العنكبوت الآية (٦٣).

(٤) سورة الزخرف الآية (٨٧).

تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[٢].

وأجوبة المشركين في الآيات السابقة تدل على أنهم كانوا يقرون بربوبية الله ﷻ لهذا الكون وما فيه، ولم ينكر توحيد الربوبية أحد من الناس إلا الماديون والملحدون والدهريون والشيوعيون وذلك بسبب انطماس بصيرتهم، فلم يروا هذه الحقيقة وهى أوضح من الشمس في رابعة النهار ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٣] وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[٤].

(ب) توحيد الألوهية:

وهو يعنى إفراد الله ﷻ بالخضوع والطاعة فلا يعبد إلا الله ﷻ ولا يستعان إلا بالله، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[٥].

وهذا النوع هو أعظم أنواع التوحيد وأهمها، بل هو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة التوحيد، وهو الذي من أجله بعث الله الرسل، وأنزل معهم الكتب؛ ليقوم الناس بالقسط.

---

(١) سورة المؤمنون الآيات (٨٤-٨٩).
(٢) سورة العنكبوت الآية (٦١).
(٣) سورة الحج الآية (٤٦).
(٤) سورة النمل الآية (١٤).
(٥) سورة الفاتحة الآية (٥).

يقول الشيخ/ رشيد رضا: (أمرنا الله تعالى بألا نعبد غيره، لأن السلطة الغيبية التي هي وراء الأسباب ليست إلا له دون غيره، فلا يشاركه فيها أحد فيعظم تعظيم العبادة، وأمرنا بألا نستعين بغيره أيضا.. إذا لا يقدر على ما وراء الأسباب الممنوحة لكل البشر على السواء إلا مسبب الأسباب ورب الأرباب، فقوله تعالى: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ متمما لمعنى لقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾. لأن الاستعانة بهذا المعنى فرع من القلب إلى الله وتعلق من النفس به، وذلك من مخ العبادة، فإذا توجه العبد بها إلى غير الله -تعالى- كان ضربا من ضروب العبادة الوثنية التي كانت ذائعة في زمن التنزيل وقبله)[1].

ولا يتحقق التوحيد الخالص ما لم ينضم توحيد الألوهية إلى توحيد الربوبية، فمشركو العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم يدخلهم هذا التوحيد في الإسلام؛ لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، واتخذوا مع الله آلهة أخرى زعموا أنها تشفع لهم عند الله أو تقربهم إلى الله زلفى.

ومن الآيات القرآنية التي تدل على توحيد الربوبية والألوهية معا قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[2] فالله تعالى يعلم الخلق كلهم في هذه الآية بأنه أمر أمرا عاما، وحكم حكما جازما، بأن العبادة لا تكون إلا له، وجيء باسم الرب في مقام الأمر بقصر العبادة عليه؛ تنبيها على أن الذي يستحق العبادة هو من له الربوبية بالخلق والتدبير والملك والإنعام، وليس ذلك إلا له، فلا يستحق العبادة بأنواعها سواه، فهو تنبيه بوحدانية الربوبية التي بمقتضاها انفراده بالخلق والأمر الكوني والشرعي على وحدانية الألوهية التي من مقتضاها استحقاقه

---

(١) تفسير المنار، ٤٩/١.

(٢) سورة الإسراء الآية (٢٣).

وحده عبادة جميع مخلوقاته، وكما انتظمت هذه الجملة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، كذلك انتظمت مع الآية السابقة التوحيد العلمي والتوحيد العملي:-

فالأولى: نهى عن أن تعتقد الألوهية لسواه، وهو يتضمن النهى عن اعتقاد ربوبية سواه، وهذا من باب العلم.

والثانية: أمر بأن تكون عبادتك مقصورة عليه، لأنه هو ربك وحده، وهذا من باب العمل.

فمن وحد الله جل جلاله في ربوبيته وألوهيته علما وعملا... فقد استكمل حظه من مقام هذا الأساس العظيم، ومن أخل بشيء من ذلك كان ذلك نقصا في دينه بقدر ما أخل حتى ينتهي الأمر إلى خلص المشركين. نعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه، إنه سميع عليم)[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾[2].

يقول الدكتور محمد خليل هراس (توحيد الربوبية وحده لا يكفى لتحقيق معنى التوحيد المطلوب شرعا،... والعبد لا يكون موحدا التوحيد الذي ينجى صاحبه في الدنيا من عذاب القتل والأسر، وفى الآخرة من عذاب النار بمجرد الاعتقاد أن الله هو رب كل شيء وخالقه ومليكه، وأنه المدبر للأمور جميعا، فإن مثل هذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين أمر الرسول ﷺ بقتالهم، بل لابد مع ذلك من توحيد الألوهية الذي هو الغاية العظمى من بعثة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- والذي من أجله خلق الله الخلق، وجعل الجنة والنار، وفرق الناس إلى شقي وسعيد)[3].

([1]) تفسير ابن باديس، صـ٦٣-٦٤، ط/ دار الكتب العلمية/ بيروت لبنان.

([2]) سورة الصافات الآيتان (٤-٥).

([3]) دعوة التوحيد محمد خليل هراس، صـ٤٠ ط/ مكتبة ابن تيمية، سنة ١٤٠٧هـ-سنة ١٩٨٧م.

وهذا النوع من التوحيد هو ما تضمنته ودعت إليه سور كثيرة من سور القرآن الكريم مثل سورة الأنعام، وأول سورة يونس وسورة الكافرون وسورة الإخلاص.

يقول د/ محمد عبد الله دراز: (ومعنى الألوهية الذي يتجلى في القرآن يمتاز بصفاء ونقاء وقدسية خاصة يبعد به كل البعد عن أي تجسيم فظ يسقط فيه خيال الإنسانية عادة، كما يمتاز بقوة جارفة وأخاذة تصرف المستمع للقرآن عن مشاغله المادية الكثيرة، وتحلق به دفعة واحدة إلى عالم الروح السامي)[1].

❁❁❁

المطلب الثاني: بيان القرآن الكريم للتوحيد

إن دعوة القرآن الكريم الناس إلى معرفة الله ﷻ وتوحيده، من الحقائق الواضحة في كتاب الله ﷻ والتي تقرر بوضوح وجلاء أن ذاته واحدة، لا تتعدد ولا تتبعض، ولا تندمج معها ذوات أخرى، وأن ذاته تتصف بصفات تنفرد بها، فلا يشاركه فيها أحد، في وحدانية الذات والصفات، والخلق والإنشاء، والملك والرزق، والقوامة والتدبير، ووحدانية الهيمنة والسلطان.

فعقيدة الذات الإلهية في القرآن الكريم بيضاء نقيه، تنزه الله عن جميع النقائص، وتنص على استحالة الولد، وعن كل ما يشعر بمشابهة الخالق بالمخلوق.

ولقد وصفت هذه العقيدة المولى ﷻ بالكمال المطلق، ونصت على وحدانيته في ألوهيته وربوبيته، ويمكن إبراز بيان القرآن الكريم للتوحيد في العقيدة الإسلامية من خلال النقاط الآتية:-

---

(1) المدخل إلى القرآن الكريم د/ محمد عبد الله دراز، صـ٨٦.

١ – التقرير بأن الله ﷻ واحد في ذاته، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾[٢] يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله–: (والآية من أعظم الأدلة على أنه إله واحد، ولو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركا له في ربوبيته، كما شاركه في ألوهيته– تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)[٣].

وقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ ﴾[٤] يقول صاحب الظلال: (فالكون قائم على الناموس الواحد الذي يربط بين أجزائه جميعا، وينسق بين أجزائه جميعا، وبين حركات هذه الأجزاء وحركة المجموع المنظم... هذا الناموس الواحد من صنع إرادة واحدة لإله واحد، فلو تعددت الذوات لتعددت الإرادات، ولتعددت النواميس تبعا لها، فالإرادة مظهر الذات المريدة، والناموس مظهر الإرادة النافذة، ولانعدمت الوحدة التي تنسق الجهاز الكوني كله، وتوحد منهجه وسلوكه، ولوقع الاضطراب والفساد تبعا لفقدان التناسق... هذا التناسق الملحوظ الذي لا ينكره أشد الملحدين، لأنه واقع محسوس، وإن الفطرة السليمة التي تتلقى إيقاع الناموس الواحد للوجود كله؛ لتشهد شهادة فطرية لوحدة هذا الناموس، ووحدة الإرادة التي أوجدته، ووحدة الخالق المدبر لهذا الكون المنظم المنسق، الذي لا فساد في تكوينه ولا خلل في سيره)[٥].

---

(١) سورة الإخلاص الآيات (١–٤).

(٢) سورة الصافات الآيتان (٤–٥).

(٣) التبيان في أقسام القرآن، للإمام ابن القيم الجوزية. صـ٢٦٨، ط/ دار الكتب العلمية بيروت سنة١٤٠٢هـ–سنة١٩٨٢م.

(٤) سورة الأنبياء الآية (٢٢).

(٥) في ظلال القرآن أ/ سيد قطب، (٤/٢٣٧٣–٢٣٧٤).

٢- **النهى عن الشرك والتعدد في الذات الإلهية**، قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[٢].

ومعنى الآية كما جاء في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس: (﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ﴾ ولا تضعوا من عند أنفسكم ما لا وجود له ﴿ إِلَٰهًا ﴾ معبودا تدعون له، وترجون منه التصرف في الكون؛ ليجلب لكم النفع ويدفع عنكم الضر.. والمعنى:- ولا تجعلوا في فراركم إلى الله شيئا معه من مخلوقات تعتمدون عليه، وتلجؤون إليه، فتكونوا قد أشركتم به سواه... فإني أحذركم ما في ذلكم من هلاككم بالشرك الذي لا يقبل الله معه من عمل، وإنني قد أبنت لكم لزوم توحيده في الفرار إليه، كما بينت لكم لزوم ذلك الفرار... وأعاد ﴿ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ليبين لهم أن عبادة الله مع الإشراك به كتعطيل عبادته، فهلاك المشرك كهلاك الجاحد... والنجاة أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، لا في ربوبيته ولا في ألوهيته)[٣].

فهذه الآيات السابقة تؤكد على نفى الشرك والتعدد في الذات الإلهية، وتثبت أن الخالق لا يكون إلا إلها واحدا، فالعالم إما أن يكفيه خالق واحد أولا يكفيه، فإن كان يكفيه خالق واحد فلا داعي لغيره، ولسنا في حاجة إليه بل لا يصح أن يفرض وجوده عبث، ثم إذا تعددت الآلهة وكان كل واحد منهم قادرا فإما أن يتفقوا، وإما أن يختلفوا، فإن اختلفوا عجزوا عن تحقيق مرادهم، وفى ذلك من الفساد ما فيه، وإن تعاونوا فهذا دليل على أن كل واحد منهم عاجز إلا بمعاونة غيره، فأين كمال القدرة والتدبير، ومن ثم فإن التعدد مستحيل وباطل.

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٩١).
(٢) سورة الذاريات الآية (٥٠).
(٣) تفسير ابن باديس، صـ٣٦٣.

٣-التقرير بأنه ﷻ ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[٢].

فهذه الآيات المحكمة تؤكد على أنه لا توجد ذات تشبه ذات الله، ولا صفة تشبه صفاته، ولا فعل يشبه أفعاله، فهو سبحانه لا شبيه له، ولا نظير و لا مثيل له، فشتان بين الخالق والمخلوق، فوجوده سبحانه وتعالى لذاته، ووجود العالم لغيره.

يقول صاحب الظلال: (... والفطرة تؤمن بهذا بداهة فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه، ومن ثم فإنها ترجع كلها إلى حكمه عندما تختلف فيما بينها على أمر، ولا ترجع معه إلى غيره، لأنه ليس هناك أحد مثله، حتى يكون هناك أكثر من مرجع واحد عند الاختلاف، ومع أنه سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ فإن الصلة بينه وبين ما خلق ليست منقطعة، لهذا الاختلاف الكامل فهو يسمع ويبصر ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ثم يحكم حكم السميع البصير)[٣].

٤- التقرير بأنه ﷻ خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ

---

(١) سورة النحل الآية (٧٤).
(٢) سورة الشورى الآية (١١).
(٣) في ظلال القرآن أ/ سيد قطب ٣١٤٦/٥.
(٤) سورة الفرقان الآية (٢).

مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾[2].

يقول العلامة أبو السعود: (الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله، المستحق للعبادة، خاصة مالك أمركم، لا شريك له أصلا، مالك كل شيء مما كان ومما سيكون)[3].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[4] يقول صاحب الظلال: (إنها اللمسات الأولى، تبدأ بالحمد لله ثناء عليه وتسبيحا له، واعترافا بأحقيته للحمد والثناء على ألوهيته المتجلية في الخلق والإنشاء، بذلك تصل بين الألوهية المحمودة وخصيصتها الأولى الخلق، وتبدأ بالخلق في أضخم مجال الوجود، السماوات والأرض، ثم في أضخم الظواهر الناشئة عن خلق السماوات والأرض وفق تدبير مقصود، الظلمات والنور، فهي اللمسة العريضة التي تشمل الأجرام الضخمة في الكون المنظور، والمسافات الهائلة بين تلك الأجرام، والظواهر الشاملة الناشئة عن دورتها في الأفلاك، لتعجب من قوم يرون صفحة الوجود الضخمة الهائلة الشاملة تنطق بقدرة الخالق العظيم، كما تنطق بتدبيره الحكيم، وهم بعد ذلك كله لا يؤمنون ولا يوحدون ولا يحمدون بل يجعلون لله شركاء يعدلونهم به ويساوونه ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[5].

([1]) سورة الأحقاف الآية (٤).
([2]) سورة الأنعام الآية (١٠٢).
([3]) تفسير أبو السعود، ١٦٨/٣
([4]) سورة الأنعام الآية (١).
([5]) في ظلال القرآن أ/ سيد قطب، ١٣٠/٢ باختصار

إن قضية الخلق للسموات والأرض والنفس والإنسان ليس هناك إنسان مهما أوتى من علم وقدرة وسلطان يجرؤ أن يدعى ذلك لنفسه، وكيف يدعى ذلك ووجود السموات والأرض سابق على وجود الإنسان، بل إنه لا يشكل ذرة إلى وجود السموات والأرض، وهذا برهان قطعي الدلالة على وجود الله ﷻ كما أنه واضح غاية الوضوح لأن كل إنسان يستشعره من ذاته نفسه قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1].

٥- التقرير بأنه ﷻ مالك كل شيء قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[4].

إن ملكية المولى سبحانه وتعالى لهذا الكون وما فيه ملكية أزلية تسبق استخلافه للإنسان في الأرض، وما يبدو من امتلاك الإنسان لبعض الأشياء فليس إلا ملكية مجازية، فالمالك الحقيقي لكل شيء هو الله، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[5].

---

(1) سورة غافر الآية (٥٧).
(2) سورة الأنعام الآية (١٢).
(3) سورة المائدة الآية (١٧).
(4) سورة الفرقان الآية (٢).
(5) سورة الأعراف الآية (١٢٨).

٦- **التقرير بأنه ﷻ هو العالم بكل شيء** قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[٢].

فعلم الله ﷻ فيما يبدو من آيات القرآن الكريم واسع محيط، يشمل السر والعلن، الظاهر والباطن، الصغير والكبير، الماضي والحاضر والمستقبل، فهو سبحانه وسع كل شيء رحمة وعلما، ومهما بلغ الإنسان من العلم فإن علم الله من فوقه، قال تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[٣] كما أن هذا العلم ليس عن اكتساب بل علمه ﷻ لذاته.

٧- **التقرير بأنه ﷻ الرزاق لكل مخلوق** قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[٦].

---

(١) سورة الأنعام الآية (٥٩).
(٢) سورة يونس الآية (٦١).
(٣) سورة يوسف الآية (٧٦).
(٤) سورة فاطر الآية (٣).
(٥) سورة هود الآية (٦).
(٦) سورة العنكبوت الآية (٦٠).

يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: (﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغد، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ أي الله يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء)[١].

إن صفة الرزاق من الصفات الواجبة لله ﷻ والتي امتلأ بها القرآن الكريم ليطمئن المسلم إلى أن رزقه سيأتيه ولن يفوته، فهو سبحانه قدره للإنسان قبل أن يخلقه، ويسر له سبل الحصول عليه، يستوي في ذلك الإنسان والحيوان فهو سبحانه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[٢] أي قدر لكل مخلوق رزقه ثم هداه إليه.

٨-**التقرير بأنه ﷻ هو المصرف لكل أمر والحافظ والمدبر لكل شيء** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ۝٢٥﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾[٥] يقول الإمام الرازي: (قوله ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ أنه يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعله المصيب في أفعاله، الناظر في أدبار الأمور وعواقبها، كي لا يدخل في الوجود

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٢١.
(٢) سورة الأعلى الآيتان (٢-٣).
(٣) سورة فاطر الآية (٤١).
(٤) سورة الروم الآية (٢٥).
(٥) سورة يونس الآية (٣).

ما لا ينبغي، والمراد من الأمر: الشأن، يعنى: يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت السماوات والأرض... فإن قيل: ما موقع هذه الجملة؟ قلنا: قد دل بكونه خالقا للسماوات والأرض في ستة أيام، وبكونه مستويا على العرش، على نهاية العظمة وغاية الجلال، ثم أتبعها بهذه الجملة؛ ليدل على أنه لا يحدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلى أمر من الأمور، ولا حادث من الحوادث إلا بتقديره وتدبيره وقضائه وحكمه، فيصير ذلك دليلا على نهاية القدرة والحكمة والعلم والإحاطة والتدبير، وأنه سبحانه مبدع جميع الممكنات، وإليه تنتهي الحاجات)[1].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[2] يقول الإمام ابن باديس: (لما أعلم العباد بأنه يكتب لهم وعليهم أعمالهم، أعلمهم بأنه تعالى قد كتب كل الأشياء لا خصوص أعمالهم، تعميما بعد تخصيص.. (الإحصاء) تحصيل الشيء بالعد وضبطه والإحاطة به (الإمام) ما يؤتم ويقتدي به، والكتاب إمام لأنه يتبع فيؤخذ بما فيه ويعتمد عليه.. ﴿مُّبِينٍ﴾ المظهر لما فيه، فكل ما فيه ظاهر فيه. أصل الكلام: أحصينا كل شيء أحصيناه، فحذف أحصينا الأول لدلالة الثاني، فكان هذا أقوى في ثبوت الإحصاء ووقوعه على كل شيء.

والمعنى: يعلم الله عباده بأنه حصل كل شيء من ذرات وأقوال وأفعال وجميع ما كان في العالم وما يكون، وأثبته فردا فردا في كتاب إمام معتمد، مظهر للأشياء التي فيه، فهي ثابتة ظاهرة جلية... فقد أحاط الله بكل شيء علما، فهو غنى بعلمه عن هذه الكتابة ولكنه جعل هذا الكتاب إظهارا لعظمة ملكه، وليعلم عباده الضبط والإحصاء في جميع أمورهم، وليبالغوا في محاسبة أنفسهم، وليعلموا أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم،

([1]) التفسير الكبير للفخر الرازي، ١٦/٩.

([2]) سورة يس الآية (١٢).

فيزول من قلوبهم الخوف من الحوادث والمخلوقات، وتعظم ثقتهم بالله، وفى ذلك أعظم قوة في هذه الحياة، وأكبر راحة للقلب من صروفها نسأل الله ﷻ أن يقوى قلوبنا بالإيمان، وأن يريحنا باليقين، وأن يعيذنا من الخوف إلا منه، ومن الخضوع إلا له، آمين يارب العالمين)[١].

فهذه الآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى قدر كل شيء، ودبر كل أمر، وسجل ذلك في علمه الأزلي، الذي لا محو فيه ولا إثبات، ولابدَّ أن يقع هذا العلم في الأزل وفق علم الله تعالى وتقديره في الزمان والمكان المحدد، دون تقديم أو تأخير، ودون زيادة أو نقصان.

٩- التقرير بأنه ﷻ هو المحيي والمميت قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[٥]

(الإحياء: إيجاد الحياة في الجسم، ولا يكون إلا من الله. والميت: الجسم الذي يقبل الحياة ولا حياة فيه، سواء كانت فيه وزالت، أم لم تكن فيه بعد، كالجنين قبل نفخ الروح فيه... والمعنى: يعرف الله -تعالى- عباده بأنه هو الذي يحيى الموتى دون غيره، ويذكرهم بما يشاهدونه من ذلك فيهم، وهم أجنة في بطون أمهاتهم، فيؤمنون بأنه يحييهم كذلك بعد

---

(١) تفسير ابن باديس، صـ٣٠٩

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٨).

(٣) سورة الروم الآية (٤٠).

(٤) سورة الجاثية الآية (٢٦).

(٥) سورة يس الآية (١٢).

موتهم؛ فيستعدون من حياتهم الأولى لحياتهم الثانية)[١].

إن قضية الإحياء والإماتة لسائر الموجودات واضحة جلية، لا تخفى على مخلوق، ولا ينجو منها أحد، ولا يستطيع أن يدعى إنسان لنفسه إحياء شيء ميت، وإن تظاهر بقدرته على إماتة الحى، فإنه عاجز على إحياء الميت، ولهذا اقترن في القرآن الكريم الإحياء والإماتة بالنسبة لقدرة الله ﷻ.

١٠ - التقرير بأنه ﷻ بيده وحده الضر والنفع: قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ ﴾[٥].

في الآيات السابقة يعلن النبي ﷺ أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ويثبت ذلك لله وحده ﷻ وكيف يستطيع الإنسان أن ينفع أو يضر، وهو لا حول له ولا قوه، فقدرته محدودة، وعلمه قاصر، أما علم الله وقدرته فلا نهاية لهما ولا حد، ولذا كان هو وحده القادر على النفع والضر.

---

(١) تفسير ابن باديس، صـ٣٠٦.

(٢) سورة الأعراف الآية (١٨٨).

(٣) سورة الأنعام الآية (١٧)

(٤) سورة يونس الآية (١٠٧)

(٥) سورة الأنعام الآية (٦٣).

١١ – التقرير بأنه ﷻ غنى عن العالمين، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[٢].

فهذه الآيات تصف المولى ﷻ بالغنى المطلق، وتصف عباده بالفقر التام، والاحتياج الدائم، فهو ﷻ الغنى بذاته عن خلقه، فلا يحتاج لأحد بل يسأله جميع الناس، كما أن غناه لا يعتريه نقص أو نضوب، بخلاف ما يتظاهر به الناس فهو معرض للزيادة والنقصان، بل والحرمان.

١٢ – التقرير بأنه ﷻ القاهر لكل شيء: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ٤٦ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ﴾[٥].

فهذا تذكير بقدرته على تعذيبهم، إثر التذكير بقدرته على تنجيتهم، لا فرق فيها بين أفرادهم وبين مجموعهم وجملتهم، وإنذارهم بأن عاقبة كفر النعم أن تزول وتحل محلها النقم.

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٨).
(٢) سورة فاطر الآية (١٥).
(٣) سورة الأنعام الآية (٤٦).
(٤) سورة الأنعام الآية (٦١).
(٥) سورة الأنعام الآية (٦٥).

وفى الآيات إعلان لقهر الله -تعالى- لخلقه والسيطرة عليهم، وأنهم لا يخرجون عن قبضته، فهم مقهورون لمشيئته في الدنيا، ويوم القيامة، إذ لا فرار منه إلا إليه.

١٣- التقرير بأن الله- سبحانه وتعالى- تنقاد له كل الخلائق بالعبودية والطاعة والقنوت:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[٥].

فالكون كله من سمائه إلى أرضه، والعالم من عرشه إلى فرشه، خاضع لأمر الله منقاد لإرادته، مذعن لمشيئته، يستوي في ذلك الحيوان والنبات، فقد فطرت جميعها على السمع والطاعة والخضوع لربها، فهي دائمة الاستسلام والتسبيح والتمجيد له قال تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

---

(١) سورة فصلت الآية (١١).
(٢) سورة الروم الآية (٢٥).
(٣) سورة الرعد الآية (١٥).
(٤) سورة الإسراء الآية (٤٤).
(٥) سورة الحج الآية (١٨).

﴾[١] لأنها ليست مختارة، ومن ثم لا تدخل في دائرة التكليف، أما الإنسان وحده فمنه من يسلم، ومنه ما يتأبى.

١٤- **التقرير بأن الله ﷻ له وحده الحكم والتشريع**: وإفراد المسلم لله بالوحدانية وأنه لا معبود إلا الله ولا خالق ولا نافع ولا متصرف في الكون إلا الله؛ يقتضى الإيمان بأنه لا حاكم ولا مشرع إلا الله، ولا منظم لحياة البشرية إلا الله ﷻ فيتوجه إلى الله بالعبودية والوحدانية، ويتلقى منه وحده التوجيه والتشريع، ومنهج حياته ونظام معيشته، والنصوص القرآنية تؤكد هذا بما لا يدع فيه مجالا لشك أو جدال، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٢] وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٤] وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[٦].

---

(١) سورة آل عمران الآية (٨٣).

(٢) سورة يوسف الآية (٤٠).

(٣) سورة الشورى الآية (٢١).

(٤) سورة المائدة الآية (٤٤).

(٥) سورة النساء الآية (٦٥).

(٦) سورة التوبة الآية (٣١).

يقول العلامة ابن باديس -رحمه الله-: (فمن اتبع مخلوقا وأطاعه فيما يأمره وينهاه، دون أن يكون في طاعته مراعيا طاعة الله فقد عبده، واتخذه ربا فيما أطاعه فيه، وفى حديث عدى بن حاتم الذي رواه الترمذي وغيره، لما جاء للنبي ﷺ وسمعه يتلو قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فقال عدى: يا رسول الله، إنهم لم يكونوا يعبدونهم، قال: **"أليسو كانوا إذا حرموا عليهم شيئا حرموه، وإذا أحلوا لهم شيئا أحلوه؟"** قال قلت: نعم، قال رسول الله ﷺ **"فتلك عبادتهم إياهم"** فالمؤمن الموحد لا تكون طاعته إلا لله أو لمن طاعته طاعة الله)[1].

فما دام المولى سبحانه وتعالى هو الخالق والرزاق والمدبر والمحي والمميت والمتصرف في كل شيء فهو ﷻ أولى بالتشريع والحكم والفصل بين الناس، فالأمر أمره، والحكم حكمه، والحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، فمن حق الخالق أن يُعبد، ومن حق الرازق أن يشكر.

❁❁❁

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في دعوة الناس إلى التوحيد

(أ) الدعوة إلى التوحيد عن طريق النظر في الآيات المنظورة:

تتالت الآيات القرآنية الداعية إلى إعمال العقل والفكر في كون الله الفسيح، بغية النفاذ من خلالها إلى إدراك توحيد المولى ﷻ وقيوميته على عباده، فلا تكاد سورة من سور القرآن الكريم تخلو من الإشارة إلى ذلك، ومن أبرز هذه الآيات ما جاء في سورة النمل:-

١- ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ

(1) تفسير ابن باديس، صـ٦٤-٦٥، والحديث أخرجه الترمذي في كتاب تفسير ٥/٢٥٩-٢٦٠ (٣٠٩٥).

شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

فهذه الآيات تشير إلى مظاهر قدرة الله ﷻ في الكون والنفس، والتي إذا تأمل فيها المدعو لا يملك إلا أن يعترف بوجود الله ووحدانيته، وأنه سبحانه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره من الآلهة المزعومة.

٢- وما جاء في سورة القصص: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

فهذه دعوة من الله ﷻ للتفكر في الأسرار المكنونة وراء تعاقب الليل والنهار، وكيف ينام الإنسان إذا استمر النهار دائم بلا انقطاع، وكيف يعمل الإنسان إذا استمر الليل دائم بلا انقطاع، فهل هناك إله غير الله الواحد القادر بمقدرته أن يأتي بليل أو نهار؟ لا أحد، لذلك امتنَّ الله بهذه النعم على عباده فقال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

---

(١) سورة النمل الآيات (٥٩-٦٤).

(٢) سورة القصص الآيات (٧١-٧٣).

وهذه الآيات السابقة كلها تحتاج إلى النظر والتفكير، والتأمل والتدبر؛ للوصول إلى الإقرار بالله الواحد الخلاق العليم.

ولقد اعتمد القرآن الكريم على العقل والعلم في هداية الإنسان ودعوته إلى معرفة الله ﷻ وربط القرآن الكريم هذا الإيمان بالاستنتاج المأخوذ من المشاهدات والمحسوسات في الكون للإنسان، فخرج بذلك عن طريق جدل الفلسفة السوفسطائية وشكوكها، وكان هذا أقوى في ترسيخ الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

يقول أ/ سيد قطب: (ويشعر المتدبر لهذا القرآن أن هذا موضعه، وأن هذه هي غايته. وكل آية فيه، وكل فقرة، وكل توجيه فيه، وكل تعليم.. هو -في الحقيقة- جانب من جوانب التعريف بالله، تعريف الناس بحقيقة ذاته -سبحانه- وحقيقة صفاته.. على قدر ما يعلم -سبحانه - أنهم يدركون منها ويطيقون..)[1].

ب-الدعوة إلى التوحيد في ضوء الإشارات العلمية:

ومن أهم طرق القرآن الكريم العقلية العملية في غرس الإيمان بالله وتوحيده في عقيدة الإنسان، **براهين السببية**.

إن جميع الكائنات تنتقل وتتحول من حال إلى حال، ومن حركة إلى سكون ومن سكون إلى حركة، وهذا معلوم بشكل مطرد ومستمر، وهذا التحول يعنى زوال حال سابق وحدوث حال جديد لاحق، والعقل والبديهة يؤمنون بقانون السببية، فلا يمكن أن يحدث هذا التغيير بنفسه، ولكن لابد له من سبب يؤثر فيه. والعلم يحدثنا كل يوم عن التغيرات الضخمة الكبرى التي حدثت في الكون، والتي تطرأ على كل كائن، ولكن هناك سبب طبيعي للتغيير،

(١) مقومات التصور الإسلامي أ/ سيد قطب، صـ ١٨٨-١٨٩.

كنزول المطر مثلا، فإن الأسباب كلها ترجع إلى مسبب حقيقي، كامل القدرة والعلم والحكمة، متصف بكل صفات الكمال والجمال، منزه عن كل نقص أو عيب، وهو الله تعالى وقد ذكر الله ﷻ الاستدلال من هذا الوجه في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

فالقرآن يلفت النظر إلى مشهد يتكرر كثيرا، ويحدث منه في كل لحظة ملايين الحوادث في الكرة الأرضية، انفلاق حبة تخرج منها سنبلة، انفلاق نواة يخرج منها جذع صغير، ليصير بعد ذلك شجرة لها ساق ضخم كبير، هذا التحول من حبة كاملة لا حياة فيها إلى عنصر نام فيه قوة وحياة هو تحول من الموت إلى الحياة، الحياة للبذرة تعنى النمو، والبذرة كانت ميتة لأنها لم تكن نامية، وكذلك الأمر بالنسبة للنواة على الرغم مما فيها من قوة النماء.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ فالنطفة وحدها ليس فيها حياة نامية، ولكنها عندما وضعت في مستودعها، وجاءها القانون الإلهي الذي أخضع الله -تعالى- له الكون، سرت فيها الحياة والنمو، وإن هذا دليل قاطع على أن قدرة الله وحده وحكمته وتدبيره وراء هذه الآيات الواضحة.

([1]) سورة الأنعام الآيات (٩٥-٩٧).

جـ- الدعوة إلى التوحيد عن طريق الحجج والبراهين العقلية المنطقية:

للقرآن الكريم منهج واضح في عرض عقيدة التوحيد، وقد يتنوع هذا الأسلوب حسب حال المدعوين في صور عديدة، ومنها الدعوة إلى التوحيد عن طريق الحجج والبراهين العقلية:

فالقرآن الكريم حينما يعرض عقيدة التوحيد على المدعوين يعرضها مصحوبةً بالدليل، والحجة البينة الواضحة، ومن بين الطرق التي تقيم الدليل والبرهان الحجج العقلية؛ التي تلزم الخصم بالتسليم، بحيث لا يفر منها إلا عنادا أو مكابرة، كما نعى الله ﷻ على الكفار أنهم لا يعقلون ولا يسمعون ولا يبصرون؛ لأنهم لم يستخدموا هذه الحواس فيما خلقت له، من إدراك الحقائق والتمييز بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

ومن نماذج الحجج والبراهين تلك التي أقامها الرسول ﷺ على قومه؛ عندما أصروا على الشرك، وزعموا أن هناك إلها مع الله ﷻ ومن هذه الآيات ما حكاه القرآن الكريم مخاطبةً الرسول ﷺ ليبلغها إلى قومه، قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[2] أي لو كان الأمر كما يدعون بوجود آلهة أخرى مع الله ﷻ لوقع الخلل وفسد نظام هذا الكون، ولحدَثَ بين الآلهة من الاختلاف والتنازع ما يترتب عليه هلاك العالم، وهذا

---

(١) سورة الملك الآية (١٠).

(٢) سورة الإسراء الآية (٤٢).

ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

إن في هذه الآية دليل على التمانع، وذلك أننا لو فرضنا وجود إلهين، فأراد أحدهما شيئاً، وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل منهما، وذلك محال؛ لاستحالة اجتماع النقيضين، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فيكون الأول الذي تنفذ إرادته هو الإله، والثاني عاجز؛ فلا يصلح أن يكون إلهاً.

وبهذا يكون القرآن قد خاطب المدعوين بالحجة والبرهان؛ لإثبات وحدانية الله ﷻ وأنه لا شريك له في الملك، ومن ثم فلا يليق بإنسان يعمل عقله وفكره أن يجعل مع الله إلها آخر، إذ لو وجد في الكون آلهة أخرى لاضطرب نظام الكون.

ومن الأمثلة التي استخدمها القرآن من الحجج العقلية قوله تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

فالقرآن الكريم يدعو المشركين إلى إعمال عقولهم في خلق أنفسهم، فهل أنهم خلقوا أنفسهم من غير شيء خلقهم فوُجدوا بلا خالق؟ وهذا أمر لا تقبله العقول الرشيدة؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق، ولا يمكن أبدا أن يكون من محض الصدفة، فالصدفة عمياء لا ترى، صماء لا تسمع، بكماء لا تتكلم، فما تراه في الخلق من الدقة والإبداع والإحكام والتناسق، إنما

([1]) سورة الأنبياء الآية (٢٢).

([2]) سورة الطور الآيتان (٣٥-٣٦).

أوجده موجد قادر إله حكيم له صفات الكمال والجمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

ومن هنا نصل إلى أن منهج القرآن الكريم في دعوة الناس إلى التوحيد، قام على المنهج العلمي الصحيح وأقام الأدلة الواضحة التي تعرض حقائق الإسلام على المدعوين بلا لبس ولا غموض، وكيف لا يكون كذلك ومنزل هذا القرآن نفسه هو القائل: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾[2].

❁❁❁

المطلب الرابع: آثار التوحيد على المدعوين

إن الأمة الموحدة تجنى في حياتها أطيب الثمار على مستوى الفرد والجماعة، وذلك حين تلتزم بعقيدة التوحيد الرباني الخالص، ويمكن تلخيص بعض أثار التوحيد على الأمة المسلمة من خلال الأمور الآتية:

١- تعبيد الإنسان للمولى ﷻ وحده:

فالتوحيد يحرر الإنسان من كل عبودية إلا لله، الذي خلقه فسواه، وهو يحرر ضمير الإنسان من الخضوع والذل والاستسلام لبشر مثله، ويحرر عقله من الأوهام والخرافات المتمثلة في الشرك وصوره وألوانه، فالشرك إذلال للإنسان وامتهان له وانحطاط لقدره ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[3] ولذلك قاوم زعماء الشرك دعوات الأنبياء والمرسلين، لأنهم كانوا

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) سورة الفرقان الآية (٦).

(٣) سورة الحج الآية (٣١).

يعلمون أن كلمة التوحيد تعنى تحرير البشر من عبودية البشر، وإسقاط الجبابرة والطغاة من على عروشهم.

إن النفس إذا تحررت من العبودية لغير الله أصبحت شخصية متزنة، تعرف غايتها، وتحدد طريقها، فليس لها آلهة متعددة تتمزق في إرضائها، وتتشتت في طاعتها، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1] وقال تعالى على لسان يوسف وهو يدعو صاحبيه في السجن إلى التوحيد ونبذ الشرك والتعدد: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] فالمؤمن له رب واحد يتوجه إليه بالسؤال والعبادة والتضرع، أما الكافر فهو مشتت موزع بين آلهة شتى، يحاول أن يرضى هذا ويتجنب سخط ذاك، فلا يقر له قرار ولا يهدأ له بال.

يقول د/ محمد خليل هراس: (ولا يشك عاقل في أن عقيدة التوحيد هي الفطرة الإنسانية العامة التي فطر الله الناس عليها، وأن هذه الفطرة إذا استقامت ولم تفسد بعوامل الهوى والتقليد والعصبية، فإنها تكون قوة موجهة للنفس إلى الترقي في مدارج الكمال، حافزة لها على التحلي بخصال الخير كلها، والتنزه من رذائل الأخلاق، ومكروه الأعمال، فعقيدة التوحيد إذا صحت كانت مركز إشعاع يضيء جوانب النفس؛ فيطهرها من الأوهام والخرافات؛ وينزهها عن الملكات السيئة التي تلازم تلك الأوهام؛ فتتخلص بتلك الطهارة من الاختلاف في

---

(١) سورة الزمر الآية (٢٩).

(٢) سورة يوسف الآيتان (٣٩-٤٠).

المعبودين وعليهم، ويرتفع شأن الإنسان، وتسمو قيمته بما يصير إليه من الكرامة، بحيث لا يخضع لأحد إلا لخالق السماوات والأرض، وقاهر الناس أجمعين)[١].

٢- التوحيد مصدر السكينة والطمأنينة:

فحينما تترسخ عقيدة التوحيد في قلب المؤمن، فلا شك أنها سوف تؤتى أكلها، وتحقق ثمارها، وتفجر ينابيع السعادة والطمأنينة والسكينة والرضا في نفس المؤمن، فهذه العطاءات ثمرة لدوحة الإيمان، وشجرة التوحيد الطيبة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[٢].

فسكينة النفس، وطمأنينة القلب، وصلاح البال، منح إلهية، وعطاءات ربانية، يسكبها الله ﷻ في قلوب أحبائه وأوليائه، إذ أن مصدر السكينة والطمأنينة هو الله ﷻ.

وتتحقق ثمار الإيمان في النفس بمسايرتها لفطرة الله ﷻ فالمؤمن يعيش مع فطرته في سلام ووئام، لا في حرب وخصام، ففي فطرة الإنسان فراغ لا يملأه إلا الإيمان بالله ﷻ فالإنسان فيه قبضة من الطين ونفخة من روح الله، فمن عرف جانب الطين ونسى غذاء الروح فقد بخس الفطرة حقها، وحرمها من حياتها وقوامها.

فمن لم يعط نفسه الجانب الروحي من الإيمان بالله ومعرفته وتوحيده، فإنه يعانى من نيران هذه الحسرات التي لا حدود لها، قال تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٣][٤].

---

(١) دعوة التوحيد محمد خليل هراس، صـ٧١-٧٢.

(٢) سورة الفتح الآية (٤).

(٣) سورة السجدة الآية (٢١).

(٤) انظر حقيقة التوحيد، د/يوسف القرضاوي صـ٨١ وما بعدها.

والخلاصة أن المؤمن بهذا الإيمان العميق، الذي جاء من وحى الله ﷻ وأيده العقل، واقتضته الفطرة الأصيلة، سلم من الشك، واستراح من الحيرة، وعاش في طمأنينة القلب، وسكينة النفس.

٣- التوحيد مصدر قوة القلب:

فالتوحيد يمنح المؤمن قوة نفسية هائلة، ويملأ قلب صاحبه بالأمن والطمأنينة، لأنه يسد عليه منافذ الضعف والخوف والحذر، فالموحد لا يخاف شيئا إلا الله، فيعيش مطمئنا إذا قلق الناس، هادئا إذا اضطرب الناس، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام حين هدده قومه: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1] وفى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ قلنا يا رسول الله: وأينا لم يظلم نفسه؟ قال: **"ليس كما تقولون، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه:** ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ **"**[2].

فالتوحيد يكسب النفس ثقةً بالله، ورضا بقضائه وقدره، ويجعل المسلم يصبر على بلائه كلما ألمت به نازلة، حينئذ يتجه إلى الله يستمد منه العون، ويرجو منه كشف الضر وجلب الخير، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام الآيتان (٨١-٨٢).
(٢) الحديث رواه الإمام البخاري كتاب الإيمان ١٠٩/١ (٣٢) والآية من سورة لقمان (١٣).
(٣) سورة يونس الآية (١٠٧).

ولقد غرس النبي ﷺ هذه المعاني السامية في نفوس أصحابه، فهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنه وهو غلام صغير يعلمه النبي ﷺ الاستعانة والثقة بالله فقال له: **"يا غلام إني أعلمك كلمات فاحفظهن: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"**[1].

ومن هنا يتضح أن التوحيد يكسب النفس القوة، والأمن النفسي، والثقة بالله، والعزيمة الصلبة، التي لا تعرف الضعف أو الخوف إلا من الله ﷻ لأنها تستمد قوتها من التوكل عليه ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[2].

إن هذا التوحيد النقي ينشئ في العقل والقلب آثارا متفردة، فهو ينشئ في القلب والعقل حالة من الانضباط والاستقامة، لا تتأرجح معها الصور، ولا تهتز معها القيم، ولا يتميع معها السلوك، ولا يضطرب ولا يطيش، لأنه يحدد له الغاية من وجوده، ويحدد له حدود سلطاته، ومن ثم يتصور الأشياء ويتعامل معها في حدود مضبوطة، فتكفل للفرد تجمع الشخصية والطاقة في كيانه، وتنفى عنه التمزق والانفصام.

يدرك هذا كله من يوازن بين التوحيد في القرآن الكريم، وبين التصور الكنسي للأقانيم الثلاثة في إله واحد، وخرافة الخطيئة الموروثة، التي لا يغفرها إلا اتحاد الإله بالابن، الذي هو المسيح عليه السلام.

❁❁❁

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٥٧٥/٤ (٢٥١٦) وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الأنفال الآية (٤٩).

المبحث الثالث
العالمية في القرآن الكريم

تمهيد

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، تخاطب كل الأمم والأجناس والشعوب والطبقات، فهي رسالة عامة لكل البشر، من لهم كتاب سابق منزل كاليهود والنصارى، ومن ليس لهم كتاب منزل كمشركي العرب، ووثني الفرس، ومن على شاكلتهم، فهي رسالة غير محدودة بعصر، ولا بجيل، ولا بمكان.

والقرآن الكريم كلام الله ﷻ لم ينزل لطائفة معينة من البشر، وإنما جعله الله للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1] وكلمة العالمين تتناول الناس أجمعين في مختلف الأقطار والبقاع، ومن ثم فالبشرية كلها في أمس الحاجة إلى هذا الدين؛ لينقذها مما هى فيه من انحلال وتخبط، وبعد عن الغاية الصحيحة.

وإذا كان القرآن الكريم كتابا عالميا، فأمته أيضا ذات رسالة عالمية، ليست إقليمية ولا قومية، بل إن الله ﷻ جعلها في مقام الأستاذية للبشرية كلها، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[2].

([1]) سورة ص الآية (٨٧).

([2]) سورة آل عمران الآية (١١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقد أعلن القرآن الكريم أن دعوته عالمية منذ فجر الدعوة في مكة، وأكدت ذلك السنة النبوية المطهرة في أول لحظة عند الجهر بالدعوة على جبل الصفا، وظهر تطبيق الرسول ﷺ للعالمية في رسائله إلى الملوك والأمراء، وفى إيمان بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعداس النصراني -رضي الله عنهم أجمعين-.

وفى الصفحات القادمة تظهر هذه الحقيقة وتتجلى في وضوح وجلاء، وسأتناول هذا المبحث في النقاط الآتية:

المطلب الأول: أدلة العالمية من القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: شبهة حول عالمية الإسلام والرد عليها.

المطلب الثالث: مظاهر العالمية.

وبيان ذلك فيما يأتي:-

❁❁❁

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

المطلب الأول: أدلة العالمية من القرآن الكريم والسنة النبوية

جاء الحديث عن عالمية الدعوة في القرآن الكريم حديثا مفصلا، تنوعت صيغه، وتعددت أساليبه، وترادفت الألفاظ الدالة على عموم الرسالة وعالميتها، ولقد جاء ذلك كله في آيات مكية، وأخرى **مدنية**.

١- فمن الآيات المكية التي تثبت عالمية الدعوة ما يأتي:

في القرآن المكي آيات يوجه الحديث فيها بهذه الكلمات "الناس" الإنسان "عبد أو عباد" يا بنى آدم "العالمين" البشر "النفس" الإنس والجن "رب المشرق والمغرب" و جمعهما أو تثنيتهما "السموات والأرض وما بينهما" الأولين والآخرين "وأمة والأمم" ومن الدالة على العموم "الذي والذين" أهل القرى "البرية"[١].

وسأذكر بعض النماذج التي تبين عموم الدعوة وعالميتها من خلال آيات القرآن الكريم المشتملة على هذه الصيغ السابقة فمن ذلك:-

آيات جاءت بلفظ الناس: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣].

---

(١) انظر عالمية الدعوة الإسلامية، د/ على عبد الحليم محمود، صـ ١٦٥، دار عكاظ، ط/الثانية سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٨).

(٣) سورة سبأ الآية (١٧).

يقول الإمام ابن كثير: (يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ يا محمد: قل ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ وهذا خطاب للحمر والسود، والعرب والعجم، ﴿ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته -ﷺ- لأنه خاتم النبيين وأنه مبعوث للناس كافة... وهو معلوم من دين الإسلام بالضرورة، أنه -صلوات الله عليه- رسول إلى الناس كلهم)[١].

فهذه الآيات تدل على أنه ﷺ مبعوث إلى جميع الخلق (وقد علم بالتواتر من دينه أنه كان مبعوثا إلى كل العالمين)[٢]. وهى تدل ضمنا على أنه مبعوث إلى الثقلين، وسائر الرسل إلى أقوامهم.

والخلاصة أن رسالته ﷺ موجهة إلى كل الخلائق من المكلفين، فهي تخص عامة الناس من العرب والعجم، فرسالته عامة لهم محيطة بهم، لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم.

آيات جاءت بلفظ العالمين: قال تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٦/٢.
(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي، ١٦/١٥.
(٣) سورة القلم الآيتان (٥١-٥٢).
(٤) سورة الأنبياء الآيتان (١٠٦-١٠٧).
(٥) سورة ص الآيتان (٨٧-٨٨).
(٦) سورة الفرقان الآية (١).

يقول الإمام ابن كثير: (﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ أي إنما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي جعله فرقانا عظيما ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء)[١].

فمحمد ﷺ رحمة الله للعالمين، والقرآن الكريم ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن.

آيات جاءت بلفظ (عبادي) قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٣].

آيات تثبت العالمية بلفظ (البشر) قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٥].

آيات تثبت العالمية بلفظ (الإنس والجن) قال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٠٩/٣.
(٢) سورة الحجر الآيتان (٤٩-٥٠).
(٣) سورة العنكبوت الآية (٥٦).
(٤) سورة المدثر الآية (٣١).
(٥) سورة المدثر الآيات (٣٥-٣٧).
(٦) سورة الأنعام الآية (١٣٠).
(٧) سورة الذاريات الآية (٥٦).

آيات تثبت العالمية بلفظ (بنى آدم) قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ ﴾[3].

آيات تثبت العالمية بلفظ (من) التي تدل على العموم قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ١٩ ﴾[4] فالآية إنذار لأهل مكة ومن بلغه القرآن إلى يوم القيامة، وهى دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم، فكل من بلغه القرآن فقد أنذره محمد ﷺ والإنذار ليس مختصا لمن شافههم بالخطاب، بل ينذرهم به وينذر من بلغهم.

وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢ ﴾[5] يقول الإمام ابن كثير: (وهذا كتاب

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٦).
(٢) سورة الأعراف الآية (٢٧).
(٣) سورة الأعراف الآية (٣٥).
(٤) سورة الأنعام الآية (١٩).
(٥) سورة الأنعام الآية (٩٢).

يعنى القرآن ﴿ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعنى مكة ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ من أحياء العرب ومن سائر طوائف بنى آدم من عرب وعجم)[١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[٢] يقول صاحب الظلال: (يبين وظيفة القرآن بأنه نزل على الرسول لينذر من به حياة، فيجدي فيه الإنذار، فأما الكافرون فهم موتى لا يسمعون النذير، فوظيفة القرآن بالقياس إليهم هي تسجيل الاستحقاق للعذاب، فإن الله لا يعذب أحدا حتى تبلغه الرسالة، ثم يكفر عن بينة ويهلك بلا حجة أو معذرة!!)[٣].

والمتأمل في الآيات السابقة يجد أن خصيصة العالمية في الإسلام صيغت في أساليب متنوعة، دالة كلها ومؤكدة على ثبوت المعلن عنه ووضوحه، كأساليب القصر والحصر، والنداء والأمر، كما جاء بعضها في مقام الحمد والثناء على الله، والمنة على الناس منه ﷻ وأن هذا الإعلان صيغ أيضا في عبارات وألفاظ تدل صراحة على العموم، والشمول، والإحاطة، وتتناول كافة الأجناس البشرية، وذلك مثل: جميعا، كافة، العالمين، وهذه الألفاظ ليس فيها أي إبهام أو غموض[٤].

وفى هذا دلالة على أن وصف العالمية أمر من أخص خصائص الدعوة الإسلامية، وترد على من زعموا أن عالمية الدعوة فكرة جاءت متأخرة في المرحلة المدنية من الدعوة، ونفذت في

---

(١) تفسير ابن كثير ١٥٧/٢.

(٢) سورة يس الآيتان (٦٩-٧٠).

(٣) في ظلال القرآن، أ/سيد قطب ٥ / ٢٩٧٥، ط/ الثالثة عشر دار الشروق، سـ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٤) انظر الدعوة إلى الله تعالى خصائصها، مقوماتها، مناهجها، د/ أبو المجد السيد نوفل صـ٤١ باختصار شديد.

عهد الخلفاء في فتوحاتهم، وأن رسالة محمد ﷺ جاءت للعرب فقط، و لا تصلح لغيرهم من الناس، وهذه دعوى باطلة مصدرها الحقد على الإسلام ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

٢- رفض القرآن الكريم لعقائد أهل الكتاب الباطلة ودعوتهم إلى الإسلام:

إن أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا متفرقين في البقاع، بعضهم كان يعيش في المدينة والبعض الآخر كان يعيش حولها في المدن الكبرى، وكانوا يؤلفون كثرة عددية، في الجزيرة العربية وما حولها؛ بل وبيد بعضهم مقاليد الأمور من القوة والسلطان والحكم، مما جعل العرب يهابون مواجهتهم، وحينما ظهر الإسلام، وصدع النبي ﷺ بالدعوة من فوق جبل الصفا؛ أعلن النبي ﷺ عن عالمية الدين في أول مواجهة بينه وبين مشركي قريش.

ولقد جاءت آيات القرآن الكريم تقرر هذا المبدأ وتؤكده، ولم يكتف القرآن بذلك وإنما انتقل من مجرد الإعلان إلى صورة الرفض لعقائد أهل الكتاب الباطلة، فأخذ يبين زيفها وباطلها، بل ويدعو أصحابها إلى الإيمان برسالة محمد ﷺ وهو الذي بشرت به كتبهم قبل تحريفها، ومن بين الآيات القرآنية المكية التي خاطبت أهل الكتاب ودعتهم إلى الإسلام، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ

(١) سورة التوبة الآيتان (٣٢-٣٣).

عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ ﴾[2] يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: (أي يعلمون أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية قبله)[3].

ومن الآيات المدنية التي خاطبت أهل الكتاب، قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾[4] يقول الإمام ابن كثير: (يقول تعالى آمرا بنى إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومهيبا لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام وتقديره: يا بنى العبد الصالح المطيع لله، كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق)[5].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾[6] يقول

---

(١) سورة الأعراف الآيتان (١٥٧-١٥٨).

(٢) سورة المدثر الآية (٣١).

(٣) تفسير ابن كثير ٤٤٥/٤.

(٤) سورة البقرة الآيتان (٤٠-٤١).

(٥) تفسير ابن كثير ٨٢/١.

(٦) سورة آل عمران الآية (٢٠).

الرازي قوله تعالى: (هذه الآية متناولة لجميع المخالفين لدين محمد ﷺ وذلك لأن منهم من كان من أهل الكتاب -سواء كان محقا في تلك الدعوة كاليهود والنصارى، أو كان كاذبا فيها كالمجوس- ومنهم من لم يكن من أهل الكتاب وهم عبدة الأوثان)[١].

فلو أن الإسلام دين خاص بمشركي العرب فقط، لما تعرض لعقائد أهل الكتاب الباطلة، ودعاهم إلى ترك ما هم عليه من ضلال، والإيمان بنبوة محمد ﷺ النبي الخاتم الذي بشرت به كتبهم من قبل، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ﴾[٢].

ولا ينسى أحد إسلام عداس النصراني، وعبد الله بن سلام اليهودي، واستقباله ﷺ لنصارى نجران في مسجده ومباهلته لهم[٣].

٣- عموم الدعوة الإسلامية للإنس والجن معا:

من مميزات الدعوة الإسلامية عما سبقها من الدعوات، أنها لم تقتصر على مخاطبة الإنس فقط، بل امتدت لتشمل الجن أيضا، فالرسول ﷺ النبي الخاتم الذي ليس بعده نبي، كانت دعوته موجهة للثقلين الإنس والجن، إذ الجن أيضا مكلفون بالعبادة كالإنس قال تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾[٤] وقال

---

(١) تفسير الرازي، ١٤٢/٤.
(٢) سورة البقرة الآية (١٤٦).
(٣) انظر البيهقي في دلائل النبوة مقابلته ﷺ لنصارى نجران ٣٨٢/٥-٣٨٣. وانظر في إسلام عداس ابن الأثير في أسد الغابة٤/٤، وسير أعلام النبلاء ٤١٣/٢.
(٤) سورة الأنعام الآية (١٣٠).

تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾[1] فتدل الآيات أن الدعوة موجة إلى الجن والإنس معا، وأنهم محاسبون عليها يوم القيامة.

وآيات القرآن الكريم تصرح بذلك منها، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾[3].

يقول الفخر الرازي: (اعلم أنه تعالى لما بين أن في الإنس من آمن و فيهم من كفر، بين أيضا أن الجن فيهم من آمن و فيهم من كفر، وأن مؤمنهم معرض للثواب وكافرهم معرض للعقاب)[4].

ويقول الإمام المراغي: (أمر الله رسوله أن يظهر لأصحابه ما أوحى به إليه من قصص الجن لما فيها من فوائد ومنافع للناس منها: أن يعلموا أنه كما بعث -عليه الصلاة والسلام- إلى الإنس فقد بعث إلى الجن. وأن يعلموا أن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغتنا. وأن يعلموا

---

(١) سورة الذاريات الآيات (٥٦-٥٨).
(٢) سورة الأحقاف الآيات (٢٩-٣٢).
(٣) سورة الجن الآيتان (١-٢).
(٤) تفسير الفخر الرازي، ٣١/٢٨.

أن الجن مكلفون كالإنس. وأن يعلموا أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان. وأن تعلم قريش أن الجن على تمردها لما استمعت القرآن، عرفت إعجازه وآمنت به)[1].

([1]) تفسير المراغي، الإمام المراغي ٢٩/٩٥، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.

هل الرسول مكلف بدعوة الجن؟.

اختلف العلماء في كيفية ذلك على قولين: (الأول: قال سعيد بن جبير: كان الجن تستمع فلما رجعوا قالوا: هذا الذي حدث في السماء إنما حدث لشيء في الأرض، فذهبوا يطلبوا السبب، وكان قد اتفق أن النبي ﷺ لما أيس من أهله من أن يجيبوه خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام، فلما انصرف إلى مكة، وكان ببطن نخل قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر، فمر به نفر من أشراف جن نصيبين؛ لأن إبليس بعثهم ليعرفوا السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم، فسمعوا القرآن وعرفوا أن ذلك هو السبب. والقول الثاني: أن الله تعالى أمر رسوله أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى، ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله إليه نفرا من الجن ليستمعوا منه إلى القرآن؛ وينذروا قومهم) التفسير الكبير للفخر الرازي، ٢٨ / ٣١، دار الفكر، ط / الأولى، سنة١٤٠١هـ-١٩٨١م.

وأرى أن المعنى الثاني هو الراجح، ويدل على ذلك قوله تعالى في الآيات على لسان الجن إلى قومهم: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة الأحقاف الآية (٣١).

فالداعي إلى الله هو الرسول محمد ﷺ وهو بعث إلى الجن والإنس فهم آمنوا به ﷺ وهو أرسلهم إلى قومهم لينذروهم، ويقوى هذا الترجيح ما جاء في صحيح مسلم في حديث النبي ﷺ "**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي منها: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود**"، وفى رواية أخرى "**وبعثت إلى الخلق كافة، وختم بى النبوة**" قال النووي الأحمر: الإنس، والأسود: الجن، فقد بعث إلى جميعهم) صحيح مسلم شرح النووي ٥/ ٥ حديث رقم (٥٢٣) وقال مجاهد: الأحمر والأسود الجن والإنس، وقال مقاتل: لم يبعث الله نبيا إلى الإنس والجن قبل محمد ﷺ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٦/٢١٧.

وأخرج الترمذي من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: "**لقد قرأتها على الجن ليلة أمس فكانوا أحسن ردا منكم كنت كلما أتيت على قوله ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد**" الجامع الصحيح للترمذي ٥/ ٢٧٢-٢٧٣ (٣٢٩١).

٤- عالمية الدعوة الإسلامية في السنة النبوية الشريفة:

إذا كان القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع في الإسلام، أعلن عالمية الدعوة منذ أول لحظة نزوله، فإن السنة النبوية أيضا وهى المصدر الثاني للتشريع تضافرت مع القرآن الكريم، وأعلنت هذا المبدأ -العالمية- منذ أول لحظة جهر النبي ﷺ فيها بالدعوة في عشيرته الأقربين.

جاءت السنة لتعلن في وضوح وجلاء للناس جميعا، في كل زمان ومكان ولأهل الكتاب (اليهود والنصارى) والمشركين، أنه لا عاصم لهم من عذاب الله إلا أن يتبعوا هذا النبي، ويؤمنوا بما جاء به من قرآن، مصدقا لما بين يديه من الكتب، وأن الله ﷻ أرسله كافة للناس بشيرا ونذيرا، (فحينما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1] قال على ﷺ ثم جمعتهم له ﷺ فأكلوا وشربوا حتى نهلوا، ثم قال لهم: **"يا بنى عبد المطلب إن الله قد بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة"**[2].

وفى الحديث إشارة إلى تصديق الجن بنعم الله ﷻ كلها وليست هناك نعمة أعظم من نعمة الإسلام، إذ كان من أدعيته ﷺ الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة. ولقد سجل القرآن الكريم شهادة الجن على أنفسهم بأن منهم المؤمن ومنهم الكافر، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾سورة الجن الآيات (١٣-١٥).

(١) سورة الشعراء الآية (٢١٤).

(٢) انظر فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، صـ ٧٧-٧٨، والرحيق المختوم، للشيخ/ صفى الرحمن المباركفوري، صـ ٩٢-٩٣.

فعالمية الدعوة كانت معلومة ومبلغة منه ﷺ وهو ما زال في مكة، وفى سنواتها الأولى، فالعالمية ولدت مع الدعوة من يوم بعثته ﷺ وسارت معه حتى وفاته ﷺ وستبقى قائمة حتى قيام الساعة.

وقد عقد الإمام مسلم في صحيحه بابا أسماه، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته[١].

وهذه بعض النصوص التي جاءت في السنة النبوية الشريفة تبين عالمية الدعوة الإسلامية:-

جاء في الصحيحين، أن الرسول ﷺ قال: **"أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي، بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي يوم القيامة، فهي لمن لا يشرك بالله شيئا"**[٢].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: **"والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، لم يمت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار"**[٣].

وعن أبى موسى الأشعري ﷺ عن الرسول ﷺ قال: **"من سمع بي من أمتي من يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة"**[٤].

---

(١) صحيح مسلم شرح النووي، ٦/٢.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧٠/١ (٣-٥٢١).

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١٣٤/١ (٢٤٠-١٥٣).

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (١٨٧١٥) ط/ العالمية.

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني، وفى بعض الأحاديث: لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي"**[١].

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، يعز عزيزا ويذل ذليلا، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر"**[٢].

والأحاديث التي بشرت بالفتوحات الإسلامية تعد من أكبر الأدلة على عالمية الدعوة ومنها:

قوله ﷺ **"إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما"** أو قال **"ذمة وصهرا"**[٣].

فهذه الأحاديث النبوية الشريفة، تقرر عالمية الدعوة بوضوح وجلاء، وأنها لليهود والنصارى ولغيرهم، بل إن موسى وعيسى -عليهما السلام- لو كانا حيين، وعلى قيد الحياة، لم يسعهما إلا اتباع النبي محمد ﷺ خاتم النبيين.

٥- ومن أدلة العالمية في السنة إرساله ﷺ كتبه إلى الملوك والرؤساء:

إن المسلمين في مكة كانوا قلة مستضعفة ماديا ومعنويا وعسكريا؛ لدرجة أنه ما إن جهروا بإسلامهم حتى صب عليهم مشركو قريش العذاب صبا، فليس لهم من جيش يحميهم، أو

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (١٤١٠٤).

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (١٦٣٤٤).

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم بمعناه في فضائل الصحابة ١٩٧٠/٤ (٢٢٧-٢٥٤٣).

يدخلون به في معارك مع أعدائهم، بل ليس لهم من دولة تأويهم حتى يعدوا أنفسهم، ومن هنا كان لابد من إعداد العدة والقوة التي تضمن لهم بلوغ الدعوة إلى غيرهم دون خشية على الدعوة، وليس من الفطنة والحكمة أن يؤلب المسلمون على أنفسهم القريب والبعيد، بل إن القرآن الكريم كان ينزل ليصبرهم على الأذى، ويطلب منهم أن يكفوا أيديهم عن المشركين.

وكان من طبيعة الدعوة في المرحلة المكية الاهتمام بجانب التربية لنفوس الصحابة التي ستحمل الدعوة، وتجاهد في سبيل تبليغها، وتتولى نشرها في كل مكان، فطبيعة الدعوة في المرحلة المكية لم تكن مهيئة لمخاطبة الملوك والأمراء، فليست هناك القوة التي تحمى الدعوة من خصومها، وليس هناك عدد كبير من الرجال الذين يحملون الدعوة ويقوموا بنشرها وتبليغها في الشرق والغرب والشمال والجنوب، وهذا هو الذي حدث في المرحلة المدنية إذ توافرت الركائز القوية التي استطاع الرسول ﷺ من خلالها أن يخاطب الملوك والأمراء، ويدعوهم إلى الدخول في هذا الدين العالمي، ومن ثم كانت كتبه ﷺ إلى الملوك والرؤساء.

(أ) كتابه ﷺ إلى هرقل عظيم الروم:

أرسل النبي ﷺ دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه حاملا كتابه ﷺ إلى هرقل قيصر الروم وهذا نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

([1]) سورة آل عمران الآية (٦٤).

وكان هرقل قد أرسل في طلب بعض تجار قريش الذين كانوا بالشام حينئذٍ وفيهم أبو سفيان -قبل إسلامه- فسأله هرقل عن صفة النبي ﷺ وأحواله فأجابه أبو سفيان... ثم قال هرقل: (... فإن كان ما تقوله حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه...)[1].

ولعل في تحرى هرقل بالسؤال عن صدق النبي ﷺ وتتبع أوصافه وشمائله، ما يدل على أنه كان يبحث عن الحق والصواب، وبعدما تبين له صدق الرسول ﷺ أوشك أن يدخل في الإسلام، إلا أنه خاف على ملكه وسلطانه من وزرائه وحاشيته.

(ب) كتابه ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة:

وقد أرسل إليه الرسول ﷺ عمرو بن أمية الضمري حاملا كتابه إليه يقول فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة. فإني أحمد الله تعالى إليك، الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، حملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى...).

وبعث النجاشي بكتاب إلى رسول الله ﷺ هذا نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة. سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته. الله الذي لا

---

(١) انظر الحديث مطولا في البخاري في كتاب الجهاد، ١٢٨/٦ (٢٩٤٠) وانظر مسلم في كتاب الجهاد، ١٣٩٣/٣ (٧٤-١٧٧٣).

إله إلا هو. أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد عرفنا ابن عمك (جعفر بن أبى طالب) وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين)[1].

وكانت نتيجة هذا الكتاب أن أسلم النجاشي، وشهد شهادة الحق، بعدما تبين له موقف الإسلام المنصف من عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته، وقد لمس فيه النبي ﷺ جانب الإنصاف من قبل حينما أمر الصحابة بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم اذهبوا إلى الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، فأكرم وفادة المهاجرين من الصحابة، ورفض أن يسلمهم إلى قريش، فكان موقفه عظيما تجاه الإسلام والمسلمين.

ولم تكن هذه الكتب هي التي أرسلها ﷺ فحسب، بل هناك كتب كثيرة دونتها كتب السنة والسير والتاريخ.

وقد أوردت هذه النماذج لتدل على المقصود والمطلوب، ولم استقص باقي الكتب خشية الإطالة. ويترتب على إرسال النبي ﷺ كتبه إلى الملوك والرؤساء ما يلي:-

١- إقرار مبدأ العالمية التي أمر الله نبيه ﷺ بتبليغها إلى الناس جميعا.

٢- إسلام بعض الملوك والرؤساء ودخولهم في الإسلام مثل النجاشي ملك الحبشة.

٣- أن مبدأ العالمية استمر مع الدعوة إلى آخر لحظة من حياته ﷺ وحتى لحوقه بالرفيق الأعلى.

---

(١) خاتم النبيين، المجلد الثاني، ٣/٩٧٧-٩٧٩ ط/ دار الفكر العربي. ط/ الأولى سنة ١٩٧٢م.

٦- الدعوة الإسلامية خاتمة الرسالات، ورسولها خاتم النبيين:

لقد جاءت الدعوة الإسلامية لعموم الزمان والمكان، فهي خاتمة لجميع الشرائع السابقة، وأحكامها وقواعدها مبنية على البقاء والاستمرار والدوام، فهي باقية لا تزول ولا تنفد، فهي رسالة الخلود الباقية إلى أن تقوم الساعة، فليس بعد الإسلام شريعة، ولا بعد القرآن كتاب، ولا بعد محمد ﷺ نبي. قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[١].

يقول الإمام ابن كثير: (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة)[٢].

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ لتؤكد على أنه خاتم النبيين، وأن رسالته خاتمة الرسالات منها ما يلي: عن أبى بن كعب عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **"مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة ؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة"**[٣]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **"إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبي"** قال فشق ذلك على الناس فقال: **"ولكن بقيت المبشرات"** قالوا يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: **"رؤيا الرجل المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة"**[٤].

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/٤٩٤.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الفضائل باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/١٧٩٠ (٢٠-٢٢٨) (٢٣-٢٢٨٧).

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٣٣٢٢).

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"**[١].

قال الزهري أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ﷺ قال سمعت رسول الله يقول: **"إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي"**[٢].

يقول الإمام ابن كثير: (فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله -تعالى- في كتابه ورسول ﷺ الله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل)[٣].

❁❁❁

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧٠/١ (٣-٥٢١).
(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الفضائل ١٨٢٨/٤ (١٢٤-٢٣٥٤).
(٣) تفسير ابن كثير ٤٩٥/٣.

المطلب الثاني: شبهة حول عالمية الإسلام والرد عليها

ادعى بعض أعداء الإسلام من المستشرقين[١] وغيرهم، بأن الدعوة الإسلامية خاصة بالعرب فقط، وتذرعوا على شبهتهم هذه بأن الرسول عربي، وظهر في جزيرة العرب، والقرآن عربي، وأحكامه عربية، وأن فكرة العالمية جاءت فيما بعد، وقد استدلوا على شبهتهم هذه بعدة آيات من القرآن الكريم، ظاهرها يدل على أن الرسالة خاصة بالعرب فقط، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[٦].

---

(١) مثل المستشرق الهولندي (فنسنك). (ووليم ميور). أنظر هذه الشبهة في كتاب الإسلام في قفص الاتهام د/ شوقي أبو خليل صـ٥٣، والدعوة إلى الله تعالى، خصائصها، مقوماتها، مناهجها د/ أبو المجد السيد نوفل صـ٣٧. وخصائص الدعوة الإسلامية/ محمد أمين حسن صـ١٩٩، ط/ مكتبة المنار بالأردن ط/ الأولى سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

(٢) سورة الشعراء الآية (٢١٤).

(٣) سورة الشورى الآية (٧).

(٤) سورة السجدة الآية (٣).

(٥) سورة الشعراء الآيات (١٩٣-١٩٥).

(٦) سورة يوسف الآية (٢).

واستدلوا على أن الرسول جاء للعرب بآيات ظاهرها يدل على ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[4].

الرد على هذه الشبهة:

إن تخصيص الآيات بالعرب يحتاج إلى دليل، وليس هناك أي دليل للتخصيص، فتبقى الآيات على عمومها، فالآية الأولى تبين أن الانطلاق بالدعوة لابد أن يبدأ بالأهل والعشيرة، وهذا منطق طبيعي، فبداية الانطلاق إلى العالم تبدأ من نقطة الأهل والأقربين، وليس معنى ذلك أن الدعوة جاءت للأقربين فقط، والآية نزلت في بداية الدعوة الإسلامية في مكة، والدعوة لابد لها من مراحل تتدرج من خلالها؛ لكى تصل إلى أهدافها وتبلغ غايتها، يقول ابن القيم في بيان مراتب تبليغ الدعوة: (المرتبة الأولى النبوة، والثانية إنذار عشيرته الأقربين، والثالثة إنذار قومه، والرابعة إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبل وهم العرب قاطبة، والخامسة إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر)[5].

---

(1) سورة الشعراء الآية (٢١٤).
(2) سورة الجمعة الآية (٢).
(3) سورة البقرة الآية (١٥١).
(4) سورة آل عمران الآية (١٦٤).
(5) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم ٣٤/١.

أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فالآية ليس فيها دليل على أن الدعوة خاصة بالعرب، فأم القرى هي مكة، وما حولها لفظ يتسع ليشمل كل ما حولها من البلاد القريبة والبعيدة، من العرب والعجم، فهو لفظ يشمل الناس جميعا.

والاستدلال بكون الرسول عربيا لا يلزم من ذلك أن تكون الدعوة للعرب، فالله ﷻ يختار من يشاء من عباده لحمل رسالته إلى خلقه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] فالله سبحانه وتعالى قد اختار الرسول لحمل رسالته للعالمين ولا عجب في ذلك.

وأما الاستدلال بكون القرآن عربيا؛ فيلزم من ذلك أن تكون الدعوة للعرب، فهذا قول مردود، لأنه لما كان الرسول عربيا ناسب ذلك أن يكون كتابه باللغة العربية، ولا يعني ذلك أنه للعرب فقط[2].

وقد رد الإمام القرافي على القائلين بخصوص الرسالة الإسلامية بالعرب بعدة أمور: (أحدها أن الحكمة في أن الله تعالى إنما يبعث رسله بألسنة قومهم، ليكون ذلك أبلغ في الفهم عنه... فإن مقصود الرسالة في أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد، وهو مع اتحاد اللغة أقرب... فإذا تقررت نبوة النبي في قومه قامت الحجة على غيرهم، فإن أقارب الإنسان ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه أكثر من غيرهم إذا سلموا ووافقوا، فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق، فهذه هي الحكمة في إرسال الرسول بلسان قومه ومن قومه، لا أن المقصود أن لا يتعدى برسالته لغير قومه، وفرق بين قوله تعالى: ﴿وَمَآ

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٤).

(٢) هذه الردود السابقة مستفادة بتصرف من كتاب، خصائص الدعوة الإسلامية / محمد أمين حسن صـ١٩٩-٢٢٣، ط/ مكتبة المنار بالأردن ط/ الأولى سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ وبين قولك: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه، فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم وليس الأول، وفرق بين قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ وبين وما أرسلنا من رسول إلا مكلفا بهداية قومه، فكما أن الثاني لا إشعار له بأنه لم يكلف بهداية غيرهم فكذلك الأول، ومن جهة ثانية التوراة نزلت باللسان العبراني، والإنجيل باللسان الرومي، فلو صح ما قاله أصحاب تلك الشبهة؛ لكان النصارى كلهم مخطئين في اتباع أحكام التوراة، وأن يكون القبط كلهم والحبشة مخطئين في اتباع التوراة والإنجيل؛ لأن الفريقين غير عبرانيين أو رومانيين.

وأما كون لغة الدعوة والتبليغ هي اللغة العربية التي يتكلم بها ذلك الرسول فذلك حتى يفهمها من نزلت فيهم تلك الرسالة، ثم يقوم بتبليغها إلى الناس)[1]. ومن ثم يتبين أن الزعم القائل: إن رسالة الإسلام إقليمية، وخاصة بالعرب، زعم مردود ومرفوض شكلا وموضوعا، لأن الآيات التي يحتج بها المتخرصون آيات تتحدث عن التدرج في الدعوة فالإنسان يبدأ أولا بأهله وزويه وقومه وجيرانه، ثم تنداح الدائرة ويتسع الميدان أمام الدعوة، وعلى هذا سار محمد ﷺ بأقواله وأعماله، وقد سبق بيان بعضها، كما أن الترجمة إلى اللغات المختلفة تغنى عن إنزال مصاحف بلغات مختلفة، إذ لا فائدة من ذلك، والواقع خير شاهد في القديم والحديث على عالمية الإسلام وانضواء الكافة تحت لوائه. وقد أيد الله الإسلام بكثير من العلماء من غير العرب حملوا الإسلام وانتشروا به في شتى بقاع الأرض.

❁❁❁

(١) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، للإمام القرافى صـ٦٧ وما بعدها بتصرف، تحقيق د/ بكر زكى عوض ط/ الأولى سنة ١٩٨٦م.

المطلب الثالث: من مظاهر العالمية في الإسلام

١- ربانية تعاليمه وشموليتها.

٢- قيامه على المساواة بين الناس.

٣- وجوب تبليغ دعوته إلى العالم كله.

❁❁❁

١- ربانية تعاليمه وشموليتها:

الإنسانية دائما في حاجة إلى نظام تسير على هديه، وتستضيء بنوره، ولقد ظلت البشرية تبحث وتحاول أن تهتدي- بعد أن حرفت الرسالات السابقة- إلى نظام شامل يحقق جميع متطلباتها، وما اهتدت البشرية إلى نظام متكامل وشامل إلا يوم أن جاء الإسلام، فالإسلام وحده هو الدين الوحيد الذي يحقق النظام الأمثل للبشرية في هذه الحياة، لأنه يسيطر على جميع شئون الحياة ونواحيها ويصبغها بصبغته الربانية، قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[1].

إن القوانين الطبيعية التي يعيش عليها الإنسان في هذا العالم واحدة، بالرغم من جميع الفوارق الجغرافية والقومية، وهذه القوانين متساوية بين جميع أصناف البشر، رجالهم ونسائهم، أسودهم وأبيضهم، شرقهم وغربهم، وتلك حقيقة مشاهدة وواقع ملموس، فالمبادئ التي توضع لسعادة الإنسانية ينبغي أن تكون عالمية شاملة لكافة البشر، وأن تكون ثابتة وواحدة مهما تقلبت الأحوال والظروف، وهذا لا يتحقق إلا في الدين الإسلامي العالمي

(١) سورة البقرة الآية (١٣٨).

الذي تتطلبه الإنسانية وتحتاج إليه، ليستضيء الناس بنوره في جميع ما يطرأ عليهم من حوادث وأحوال، فالإسلام ليس من صنع البشر، وإنما جاء من قبل الله الذي يعلم الجهر وما يخفى.

وإذا كان الناس بنداء الفطرة يقرون بأن هناك إلها واحدا، وأن الإنسانية كلها نسيج واحد يرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، كان حتما أن يكون للبشرية منهاجا واحدا، يبلغ بها درجة الأمن النفسي فرارا من القلق والحيرة والاضطراب، وهو ليس من صنع البشر لأنهم أعجز من أن يضعوا مثله، ولأنه من خصائص التفكير البشرى أنه لا يخلو من الخطأ، وينحسر في دائرة ضيقة، وتمتزج فيه الحكمة بالعاطفة والأهواء، ولابد أن يوجد فيه انحياز إلى فريق من البشر على حساب الآخرين، وإنما يكون هذا النظام من عند خالق البشر؛ لأنه أعلم بما يصلحهم، وما يفسدهم، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

٢- قيامه على المساواة بين الناس:

من المبادئ السامية في الدعوة الإسلامية المساواة بين البشر جميعا، دون التقيد بجنس أو لون أو طبقة، فلا امتياز لفرد على فرد، ولا لجماعة على جماعة، ولا لحاكم على محكوم.

والمساواة في الإسلام قاعدة تتواءم مع الفطرة السليمة، وتستقيم بها أمور الناس وتنصلح أحوالهم، ولقد أعلن القرآن الكريم هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

فالإسلام ينظر إلى الناس جميعا على أنهم سواسية كأسنان المشط، فجميعهم يرجع إلى أب واحد وأم واحدة، هما آدم وحواء، أما جعل الناس شعوبا وقبائل فبين الله الغاية من ذلك وهو

---

(١) سورة الملك الآية (١٤).

(٢) سورة الحجرات الآية (١٣).

التعارف، وأما اختلاف الألوان والأشكال والألسنة فهو اختلاف تنوع لا تضاد، فليس ميزانا للمفاضلة بين الناس بل التفاضل يرجع إلى ميزان واحد تتحد به القيم، ويعرف به فضل الناس وهو التقوى.

ولقد وجه الإسلام الخطاب إلى الناس كافة، مبينا وشائج القربى بين بنى البشر، فهم جميعا عباد لرب واحد، ويرجعون إلى أصل شجرة واحدة انبثقوا عنها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[1].

ولقد أعلن النبي ﷺ مبدأ الإخاء بين عباد الله بلا فخر أو بغى، و بلا عصبية أو تميز فقال ﷺ: **"وكونوا عباد الله إخوانا"**[2].

وبهذه النظرة الإنسانية يتميز الإسلام بنظرته السامية في المساواة بين الناس جميعا، فهو لايضع فوارق بين بعضهم البعض، وإنما الناس فيه سواسية كأسنان المشط، وفى الحديث عن النبي ﷺ: **"ليس لعربي فضل على أعجمي، ولا أعجمي فضل على عربي إلا بالتقوى"**[3].

٣- وجوب تبليغ دعوته إلى العالم كله:

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، جاءت لإنقاذ العالم من الديانات الأرضية، والإلهية المحرفة، والنظم والفلسفات الوضعية، والتي فشا عنها جميع المفاسد والرذائل والانحطاط الخلقي، والحروب المدمرة.

---

(١) سورة النساء الآية (١).

(٢) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة/ باب تحريم ظلم المسلم ١٩٨٦/٤ (٣٢-٢٥٦٤).

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٣٩١).

والدعوة الإسلامية تبين الطريق السوي للناس جميعا، فهي جاءت للعالم من أقصاه إلى أقصاه، ولقد وعد الله ﷻ بإظهار دينه على الدين كله حتى يرث الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩ ﴾[٢].

فإذا كان الإسلام دعوة عالمية فإن ذلك يحتم وجوب الدعوة إلى هذا الدين العالمي، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٦٧ ﴾[٣] وتكليف الله لنبيه بالتبليغ هو أيضا تكليف للأمة من بعده، لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٨ ﴾[٤].

ولقد جعل الله رسوله ﷺ شهيدا على أمته، وجعل أمته شهيدة على الأمم السابقة، وهذه الشهادة تستلزم دعوة الناس إلى دين الحق، قال تعالى: ﴿ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[٥].

كما أمر الله الأمة الإسلامية بالخطاب الصريح بالدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، بل جعل أفضليتها بقيامها بهذا الواجب، قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ

---

(١) سورة الفتح الآية (٢٨).
(٢) سورة الصف الآية (٩).
(٣) سورة المائدة الآية (٦٧).
(٤) سورة يوسف الآية (١٠٨).
(٥) سورة الحج الآية (٧٨).

تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٢].

فهذه الآيات السابقة تبين وجوب الدعوة إلى الله تعالى بين جميع الأفراد والأمم والشعوب، وهذا الأمر لا يختلف فيه أحد من العلماء[٣].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

(٣) لكنهم اختلفوا في حكم التبليغ، هل هو فرض عين أم فرض كفاية؟

فقال فريق من العلماء: إن الدعوة فرض عين على كل مسلم، ففي وسع كل مسلم فهم دينه وأن يدعو الناس إلى اعتناق الإسلام على قدر الوسع والطاقة، خاصة المبادئ الأساسية مثل الفرائض والأركان، وهؤلاء استدلوا بالآيتين السابقتين وفسروا (مِنْ) في قوله (مِنكُم) بأنها بيانية والمعنى: كونوا معشر المسلمين أمة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر.

والفريق الآخر قالوا: بأن الدعوة إلى الله فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقط الحرج عن الباقين، فلا يعقل أن يكون كل المسلمين دعاة إلى الله، إذ أن منهم الجهلاء بالدين والعصاة، بينما الدعوة إلى الله أمر عظيم الشأن يحتاج إلى معرفة بالإسلام، وأساليب دعوته ووسائلها، وهؤلاء يفسرون (مِنْ) في قوله (مِنكُم) بأنها للتبعيض.

والقول الراجح هو الجمع بين الرأيين، فلا مانع أن يكون كل المسلمين مكلفين بتبليغ الدعوة على وجه الإجمال، وعلى قدر الطاقة من المعرفة، مثل الشهادتين والصلاة والصيام والزكاة والحج، وحفظ شيء من القرآن، ومعرفة الحلال والحرام، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وهذه هى الصورة التي انتشر بها الإسلام في بقاع كثيرة من العالم، في الصدر الأول من الإسلام، على أيدي التجار وأصحاب الحرف المختلفة من المسلمين، والدعوة بهذا تكون فرض عين، وفى الوقت نفسه ينشغل ولاة الأمور بإعداد الدعاة المتخصصين الذين يدرسون علوم القرآن والسنة والسيرة والتاريخ والدعوة وأساليبها ووسائلها وعلم النفس والاجتماع وغيرها من العلوم التي تؤهلهم لعرض الإسلام في صورته الصحيحة، كما أن هذا الإعداد يؤهلهم لدفع الشبهات بالحجج والأدلة والبراهين، التي يثيرها أعداء الإسلام في كل وقت وحين وحينئذٍ تكون الدعوة فرض كفاية. انظر الدعوة إلى الله تعالى، خصائصها، مقوماتها، مناهجها د/ أبو المجد السيد نوفل صـ٣٠ وما بعدها.

مدى تطبيق المسلمين لعالمية الدعوة الإسلامية:

إن المتأمل للواقع المعاصر الذي تعيشه الأمة الإسلامية الآن، يرى تقاعسا وتخاذلا عن نشر الدعوة الإسلامية، رغم إيمان المسلمين بعالميتها، وقناعتهم بحاجة الناس إليها، لتملأ الخواء الروحي الذي تعيشه الحضارة المادية المعاصرة، ولتصلح للناس عقائدهم، وتوجه مشاعرهم بالتي هي أحسن، في الوقت الذي يحاول فيه أتباع الديانات الأخرى مع إقليميتها وما انتهت إليه من تحريف وتزييف، يحاولون نشر كتابهم وتبليغ دينهم، ويتحركون في كل الأجواء، ويرصدون لذلك الأموال الباهظة والوسائل المختلفة.

وتلك المحنة التي تواجهها الدعوة الإسلامية تحتم على دعاة الإسلام وأولى الأمر وأصحاب الأموال والنفوذ أن يضعوا الخطط المحكمة، وأن يضفروا جهودهم، وأن يستغلوا جميع الوسائل المتاحة والمشروعة حتى يسمعوا الدنيا صوت الإسلام الصحيح، نقيا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

يقول د/ محمد محمد حسين:

(١- إن الإسلام رسالة موجهة إلى جميع الخلق، وهم جميعا مطالبون باعتناقه.

٢- أنه يشتمل على أصول جميع الديانات السابقة، فهو اللبنة الأخيرة في صرحها الشامخ.

٣- أن مبادئ الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان)[1].

فالرسالات السابقة راعت مصالح الناس واحتياجاتهم وظروفهم في العصر الذي يعيشون فيه فقط، فجاءت ملائمة لفترة معينة من الزمن، أما الرسالة الخاتمة فقد زادت عليها ما يتناسب مع عالميتها وشمولها، فهي تصدق الكتب السابقة في أصولها، وتختلف عنها في فروعها، تدرجا مع الحاجات والمصالح؛ بسبب تغير الزمان والمكان. ❁❁❁

(١) الإسلام والحضارة الغربية، د/ محمد محمد حسين صـ١٨٥، ط/ مؤسسة الرسالة بيروت.

المبحث الرابع
الشمولية في القرآن الكريم

رسالة الإسلام من خصائصها البارزة في مصادرها (**الشمول**) بكل ما لهذه الكلمة من معان ودلالات، سواء كان الشمول في الزمان أو المكان أو المناهج.

ولقد عبر عن ذلك أحد الدعاة قائلا: (إنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقا حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة)[١]. كما أن هذا الشمول ينسحب على الجسد والروح، والعقل والوجدان، والظاهر والباطن، والفرد والمجتمع، والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٢].

وتتمثل الشمولية في القرآن الكريم في كونه لا يقتصر على ناحية دون أخرى، فلا يقتصر على العقيدة فقط، أو العبادة فقط، أو التشريع فقط، أو الأخلاق فقط، بل يشمل ذلك كله.

وسوف تتجلى تلك الخاصية أوضح جلاء من خلال القرآن الكريم في العناصر الآتية:

المطلب الأول: شمولية العقيدة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: شمولية العبادة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: شمولية التشريع في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: شمولية الأخلاق في القرآن الكريم.❁❁❁

---

(١) انظر الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي، صـ٩٥، مكتبة وهبة ط/ الرابعة سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢) سورة النحل الآية (٨٩).

المطلب الأول: شمولية العقيدة في القرآن الكريم[١]

إن العقيدة الإسلامية عقيدة شاملة من أي وجهة نظرت إليها، فهي شاملة لأنها تفسر كل القضايا الكبرى التي تشغل الإنسان في الوجود وتلح عليه مثل قضية الألوهية وقضية الكون، وقضية الإنسان، وقضية النبوة، وقضية المصير، فلا تهتم بقضية على حساب أخرى، وإنما عنيت بهذه القضايا بأسرها[٢].

(١) **فعن قضية الألوهية** جاء قوله تعالى في تقرير وحدانية الله والاستدلال عليه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ ﴾[٦].

(٢) **وفي رفض الأنداد والشركاء** جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) جمع الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه جواهر القرآن الآيات الوارد في الحديث عن الذات الإلهية وما يجب له سبحانه من صفات وأفعال وعدد الآيات سبعمائة وثلاث وستين آية.

(٢) انظر الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي ١٠٢،١٠٣.بتصرف يسير.

(٣) سورة الإخلاص الآيات (١-٤).

(٤) سورة البقرة الآية (١٦٣).

(٥) سورة المؤمنون الآية (٩١).

(٦) سورة الأنبياء الآية (٢٢). وانظر سورة النمل الآيات (٥٩-٦٤).

يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٢].

(٣) **وفى رفضه للأصنام والأوثان** جاء قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣].

(٤) **وفى عدم مشابهته لخلقه** جاء قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[٥].

(٥) **وفى إفراد الله بصفة الخلق** جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٦].

(٦) **وفى بيان بعض صفاته ﷻ** جاء قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[٧].

(٧) **وفى إسناد النفع والضر إلى الله** جاء قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٨]

---

(١) سورة يوسف الآيتان (٣٩-٤٠).
(٢) سورة الزمر الآية (٢٩).
(٣) سورة النجم الآيات (١٩-٢٢). والآية (٤٩).
(٤) سورة الشورى الآية (١١).
(٥) سورة النحل الآية (٧٤).
(٦) سورة الحج الآيتان (٧٣-٧٤).
(٧) سورة الشعراء الآيات (٧٨-٨٢).
(٨) سورة يونس الآية (١٠٧).

وقولـه تعـالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[1].

(٨) **وعن علمه الواسع** جاء قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾[4].

(٩) **أما عن قضية الكون وخلق السماوات والأرض وما فيهما** فيجيء قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[5].

---

(1) سورة فاطر الآية (٢).

(2) سورة غافر الآية (٧).

(3) سورة المجادلة الآية (٧).

(4) سورة الملك الآية (١٣).

(5) سورة فصلت الآيات (٩-١٢). وانظر سورة الملك الآيات (٣-٥). وسورة النمل الآية (٨٨). وسورة نوح نوح الآيات (١٥-٢٠).

(١٠) **وعن أهمية الماء جاء** قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١].

(١١) **وعن فائدة الرياح** جاء قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٢].

فالكون بسمائه وأرضه، والعالم من عرشه لفرشه في قبضة الله ﷻ خاضع لمشيئته مقهور تحت سلطانه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[٣].

وقد خلق الله الكون ليكون دليلا على معرفته ﷻ وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[٤].

(١٢) **أما قضية النبوة والأنبياء** الذين اختارهم الله سفراء إلى خلقه، يبلغون أمر الله لئلا يكون للناس على الله حجة، وليرشدوا الناس إلى الحقائق التي لا يدركونها وحدهم، أو يدركوا بعضها بعد نصب وتعب، فإن الرسل تأتى لتلقيها بين أيديهم سهلة ميسرة.

وقد ذكر القرآن الكريم عددا كبيرا من الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله ﷻ مبشرين ومنذرين فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٣٠). وانظر سورة المؤمنون الآية (١٨).

(٢) سورة الروم الآيتان (٤٨-٤٩).

(٣) سورة الحج الآية (١٨). وانظر سورة النور الآيتان (٤١-٤٢).

(٤) سورة الطلاق الآية (١٢).

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[1].

فما من أمة من الأمم إلا وقد جاءها رسول من رسل الله قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] لأن الله ﷻ لن يحاسب مخلوقا يجهل أصل الرسالة لأن له عذرا قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[3].

(١٣) **وقد بين القرآن الكريم جانبا من صفات الأنبياء** فقال تعالى: عن عيسى عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[4] وقال تعالى في حق خاتم النبيين محمد ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[5].

(١٤) **وقد بين القرآن الكريم أن الأنبياء يأكلون ويشربون ويتناسلون** وأن ذلك لا ينقص من قدرهم ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا

---

(1) سورة النساء الآيات (١٦٣-١٦٥).
(2) سورة فاطر الآية (٢٤).
(3) سورة الإسراء الآية (١٥).
(4) سورة آل عمران الآيتان (٤٥-٤٦).
(5) سورة القلم الآية (٤).

﴿ ٩ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢].

(١٥) **وبين القرآن الكريم أن الأنبياء ليسوا إلا بشرا لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا** قال تعالى مخاطبا نبيه محمد ﷺ ليعرف قومه ببشريته: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[٣].

(١٦) **وقد من الله عليهم بالحجة والبرهان** فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾[٥].

(١٧) **كما بين القرآن الكريم أمانتهم في التبليغ** وأنهم لا يملكون حق الزيادة أو النقصان قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٧].

---

(١) سورة الفرقان الآيات (٧-٩).

(٢) سورة الرعد الآيتان (٣٨-٣٩).

(٣) سورة الكهف الآية (١١٠). وانظر سورة هود الآية (١٣١). وسورة الأعراف الآية (١٨٨).

(٤) سورة الأنبياء الآية (٥١).

(٥) سورة الأنعام الآية (٨٣).

(٦) سورة الحاقة الآيات (٤٤-٤٧).

(٧) سورة المائدة الآية (٦٧).

ولا أدل على تبليغ الرسول ﷺ جميع وحى الله إليه من قولـه تعـالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[1] تقول السيدة عائشة رضي الله عنهـا: (لو كان الرسول ﷺ كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه)[2].

كما حدد رسـالتهم في قولـه تعـالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾[4] وقال تعـالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾[5].

ولما كان الأنبياء بشرا لا يملكون لأنفسهم نفعـا ولا ضرا فقـد تعرضـوا لكيـد المشـركين وإيذائهم حتى بلغ أن نزل القتل ببعضهم قـال تعـالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[6] وقولـه تعـالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[7].

---

(1) سورة الأحزاب الآية (٣٧).
(2) تفسير القرطبي ١٤/ ١٨٣.
(3) سورة المائدة (٩٩).
(4) سورة النحل الآية (٨٢).
(5) سورة الرعد الآية (٧).
(6) سورة الفرقان الآية (٣٠).
(7) سورة البقرة الآية (٩١). وانظر سورة النساء الآية (١٥٥).

(١٨) **كما بين القرآن الكريم أن الأنبياء لا يملكون إنزال العذاب بأقوامهم** ولا أن ذلك بأيديهم قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾[٢].

من هذا يتبين أن الأنبياء صفوة خلق الله وأنهم معصومون من الصغائر والكبائر وأن القدر الأعلى قد حباهم من الصفات ما أعلى قدرهم بين الناس.

(١٩) **أما قضية المصير** فقد أطال القرآن الكريم الحديث في إثبات الموت والبعث والجزاء وذكر الناس بهذه الحقائق التي عموا عنها، وعرض أمام أبصارهم وبصائرهم صورا شتى لمشاهد الحساب والجزاء في يوم القيامة، فمن هذه الآيات التي تتحدث عن علامات الساعة وما يحدث وقتها من تغيير كوني هائل قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ ﴾[٣].

---

(١) سورة الأنعام الآية (٥٨).

(٢) سورة الإسراء الآيات (٩٠-٩٤).

(٣) سورة التكوير الآيات (١-١٤) وانظر سورة الانفطار الآيات (١-٥) وسورة الانشقاق الآيات (١-٥) وسورة إبراهيم الآية (٤٨) وسورة القارعة الآيتان (٤-٥) وسورة الزمر الآية (٦٨).

هذه الآيات تعرض لعلامات الساعة وما يحدث وشيك قيامها من أحداث وتغيرات، وهى تدل على أن السماء والأرض والجبال والنجوم كل ذلك سيتلاشى وسينتهي ذلك العالم الذى نعيش فيه.

(٢٠) **كما تحدث القرآن الكريم عما يحدث في هذا اليوم** للصالحين والطالحين وجزاء الظالمين والكافرين قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

(٢١) **بل صور القرآن الكريم حالة الإنسان يوم القيامة** وهو ذاهب للحساب بين يدي الله فقال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾[3].

([1]) سورة الانفطار الآيتان (١٣-١٤).

([2]) سورة الزمر الآيات (٧١-٧٣) وانظر سورة القيامة الآيات (٢٢-٢٥) وسورة مريم الآيتان (٨٥-٨٦) وسورة الغاشية الآيات (٢-١٦) وسورة إبراهيم الآيات (٤٢-٤٤).

([3]) سورة ق~ الآيات (٢١-٢٦).

(٢٢) **كما عرض القرآن الكريم لبيان الميزان** فقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[٢].

(٢٣) **كما تحدث عن الصراط** قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[٣].

(٢٤) **أما حديث القرآن الكريم عن الجنة والنار** وما فيهما من نعيم وعذاب فقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٤].

(٢٥) **كما تحدث القرآن الكريم عن الصحف** التي دونت فيها أعمال العباد فقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٦].

---

(١) سورة الأعراف الآية (٨).

(٢) سورة المؤمنون الآيتان (١٠٢-١٠٣) وانظر سورة القارعة الآيات (٦-١١) وسورة الكهف (١٠٥).

(٣) سورة المؤمنون الآية (٧٤).

(٤) سورة النبأ الآيات (٣١-٣٦).

(٥) سورة الإسراء الآيتان (١٣-١٤).

(٦) سورة الحاقة الآيات (١٩-٢٧) وانظر سورة الانشقاق الآيات (٧-١٢).

(٢٦) **كما تحدث القرآن الكريم عن أصحاب الأعراف** بل سميت سورة باسمهم فقال تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٢].

ومما سبق يتضح أن القرآن الكريم شملت آياته الحديث عن العقيدة من جميع جوانبها فتحدث عن قضية الألوهية والكون والإنسان والنبوة واليوم الآخر وما فيه، وعرض ذلك كله في حديث مفصل، أراح الإنسان فيه من اعتماده على عقله فيما وراء الحس حتى لا يضل الطريق.

المطلب الثاني: شمولية العبادة في القرآن الكريم

العبادة في الإسلام ليست مقصورة على الفرائض والنوافل فحسب، وإنما تتسع دائرتها لتشمل الحياة كلها، ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية شمولية العبادة في الإسلام بقوله: (العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار، واليتيم والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر، والقراءة، وكذلك حب الله ورسوله ﷺ وخشية الله، والإنابة إليه والرضا بقضائه والتوكل عليه، والرجاء في رحمته، والخوف من عذابه وأمثال ذلك من العبادة لله)[٣].

---

(١) سورة الأعراف الآية (٤٦).

(٢) سورة الأعراف الآية (٤٨).

(٣) العبودية لابن تيميه صـ٧٣، ط/ المكتب الإسلامي ط/ الثانية/ بدون تاريخ.

فالعبادة من خلال ما سبق دائرتها واسعة فهي تشمل الفرائض والأركان كالصلاة والصيام والزكاة والحج، كما تشمل النوافل من تلاوة ودعاء واستغفار وسائر الأذكار، كما تشمل المعاملات بين الإنسان وغيره من الأقارب والأجانب بل والحيوانات، كما تشمل الأخلاق الفاضلة سواء كانت أخلاقا ربانية مثل الخشية لله والإخلاص له، أم إنسانية مثل صدق الحديث وأداء الأمانة، وتشمل العبادة أيضا أمرا ذكره شيخ الإسلام في موطن مستقل هو الأخذ بالأسباب حيث يقول: (فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة)[١].

وبهذا فكلمة العبادة تلتقي في أصل معناها مع الدين الذى جاء ليرسم حياة الإنسان ظاهرا وباطنا، ويحدد سلوكه وعلاقاته مع ربه ومع نفسه ومع غيره.

العبادة في الإسلام تسع الحياة كلها[٢]:

المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية يجد العبادة تتناول الحياة كلها.

(١) ففي سورة البقرة نجد أن الله ﷻ **فرض علينا القصاص والوصية والصيام والقتال،** فكل هذه الأمور تعبدنا لله ﷻ بالانقياد إليه وبالاستجابة إليه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ

---

(١) العبودية لابن تيميه صـ٧٣.

(٢) يراجع في ذلك العبادة في الإسلام د/ يوسف القرضاوي صـ٥١ وما بعدها ط/ مكتبة وهبة ط/ الخامس عشرة سنة ١٩٨٥م.

(٣) سورة البقرة الآية (١٧٨).

رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٣].

(٢) كما أن من العبادة في الإسلام **أن يخضع المسلم في عقيدته وأقواله وأعماله لشرع الله ﷻ** وأن يخرج من هواه إلى ما أمره الله ﷻ به قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[٤]

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[٥].

(٣) ومن أهم جوانب العبادة في الإسلام **الاحتكام إلى شرع الله ﷻ** ورفض الاحتكام إلى غيره، فمن احتكم إلى غير الله دخل في زمرة المشركين قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٦].

(٤) بل إن الإسلام قد وسع من دائرة العبادة حيث **جعلها تشمل كل عمل نافع مفيد،** وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: **"من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد من السماء أن طبت**

---

(١) سورة البقرة الآيات (١٨٠-١٨٢).
(٢) سورة البقرة الآية (١٨٣).
(٣) سورة البقرة الآية (٢١٦)
(٤) سورة الأحزاب الآية (٣٦).
(٥) سورة النساء الآية (٦٥) وانظر سورة النور الآيتان (٥١-٥٢).
(٦) سورة التوبة الآية (٣١).

وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا"[١] وقوله ﷺ في الحديث القدسي الجليل: **"إن الله تعالى يقول: لابن آدم يوم القيامة مرضت فلم تعدني، يقول: فكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: مرض عبدي فلان فلم تعده، أما إنك لو عدته لوجدت ذلك عندي"**[٢].

(٥) **بل إن إماطة الأذى عن الطريق من العبادة** ففي الحديث: **"بينما رجل يمشي في طريق وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له"**[٣] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"عرضت على أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن عملها الأذى يماط من الطريق"**[٤].

(٦) ويقول تعالى آمرا المؤمنين **بالضرب في مناكب الأرض طلبا للرزق**: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[٥]. بل قرن المسافرين طلبا للرزق بالمجاهدين في سبيله فقال: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾[٦].

(٧) **بل إن الإسلام جعل التجارة والزراعة من العبادة** فقال ﷺ: **"ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة"**[٧].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم بمعناه في كتاب البر ١٩٨٩/٤ (٤٠-٢٥٦٨) وأخرجه الإمام الترمذي في سننه ٤/ ٣٢٠-٣٢١ (٢٠٠٨).

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ١٩٠٠/٤ (٤٣-٢٥٦٩).

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الآداب ١١٦٣/٢ (٦٥٢)، ورواه الإمام مسلم في البر والصلة والآداب ٢٠٢١/٤ (١٢٧-١٩١٤).

(٤) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب فضائل القرآن ١٦٣/٥-١٦٤ (٢٩١٦) قال أبو عيسى حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٥) سورة الجمعة الآية (١٠).

(٦) سورة المزمل الآية (٢٠).

(٧) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب ٤٥٢/١٠ (٦٠١٢)، ورواه الإمام مسلم في كتاب المساقاة المساقاة ١١٨٨/٣ (٧-١٥٥٣).

وقول الرسول ﷺ: **"التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"**[١].

(٨) بل إن العبادة تشمل **مباشرة الزوج لزوجته** ففي الحديث: أن الفقراء قالوا يا رسول الله **"ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال النبي ﷺ أوليس الله قد جعل لكم ما تصدقون به إن لك بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تهليلة صدقة وفى بضع أحدكم صدقة فقالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له بها أجر؟ قال أرأيتم إن وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟"**[٢].

(٩) **والأعياد في الإسلام عبادة**، فقد شرع الإسلام عيدان هما عيد الفطر وعيد الأضحى، الأول يأتي عقب فريضة الصيام، والثاني يأتي بعد الفراغ من آداء مناسك الحج، وقال عنهما ﷺ لأصحابه: **"إن الله قد أبدلكم خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى"**[٣].

(١٠) ومن معاني شمولية العبادة استيعابها لكيان الإنسان كله، فالإنسان يعبد الله بالفكر، والقلب، واللسان، وبالسمع، والبصر، وبالمال، والنفس، وبهجرة الأهل والوطن، فالعبادة تستغرق كيان الإنسان كله، روحه وعقله وجسده.

يقول الشيخ محمد الغزالي عن شمولية العبادة في الإسلام، وأن الإنسان إذا صحح وجهته كانت حياته كلها عبادة: (إن الإسلام ليس أفعالا تعد على الأصابع دون زيادة أو نقص، كلا إنه صلاحية الإنسان لمسيره في الحياة وهو يؤدى رسالة محددة، فالمهندس الذى

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في سننه في كتاب البيوع ٣/٥١٥ (١٢٠٩) وقال هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورواه ابن ماجة ٢/٧٢٤ (٢١٣٩).

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأذان ٢/٣٧٨ (٨٤١) ورواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ١/٤١٧ (١٤٢-٥٩٥).

(٣) جزء من حديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الصلاة ١/٢٩٥ (١١٣٤).

يصنع آلة ما لا يعنيه كم تنتج من السلع والأدوات وإنما يعنيه أن تكون أجهزتها مستعدة على الدوام لإنجاز ما تكلف به، فصلاحية السيارة للانطلاق، وصلاحية المدفع للقذف، وصلاحية القلم للكتابة هذه الصلاحيات هي مناط الحكم على قيمة الشيء فإذا اطمئننا إلى وجودها قبلناها ورجونا ثمرتها كذلك الإنسان.

إن الإسلام يريد أن تستقيم أجهزته النفسية أولا فإذا توافرت الوجهة فكل عمل تتعرض له في الحياة يتحول من تلقاء نفسه إلى طاعة الله. إن آلة سك النقود يدخلها المعدن الخام فيخرج منها عملة مالية غالية الثمن تحمل من الألوان والأختام والشارات ما يجعلها شيئا آخر، كذلك المسلم يعالج ما يعالج من شئون الدنيا فيضفى عليه من طبيعة إيمانه وسناء وجهته ما يجعل أي عمل يقبل عليه يتحول إلى عبادة غالية القدر وبهذه الصلاحية النفسية رفض الله دعوى أصحاب الدعاوى الذين اغتروا وقالوا:

﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1].

في شئون الحياة ليس للأعمال الصالحة حصر تنتهي عنده ولا رسم تنتهي فيه وإنما هو إسلام الوجه لله وإصلاح العمل والبلوغ به حد الكمال المطلوب)[2].

❁❁❁

(1) سورة البقرة الآيتان (١١١-١١٢).

(2) هذا ديننا محمد الغزالي صـ٨٦-٨٧ دار الكتب الإسلامية ط/ الثالثة سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

المطلب الثالث: شمولية التشريع في القران الكريم

أولا: شمولية التشريع للإنسان في جميع أطوار حياته:

المتأمل في آيات القرآن الكريم يراها تصاحب الإنسان منذ مولده، وفى شبابه، وفى كهولته، وترسم له السبيل الأقوم في تلك المراحل:

(١) فمن ذلك قوله تعالى عن خلق الإنسان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[1].

(٢) ثم بعد ذلك تأتى آيات القرآن الكريم لتحدد مدة الرضاعة والفصال، ومن يرضع الوليد، وعلى من تكون النفقة خاصة عند الطلاق، وفى ذلك كله يأتي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[3].

---

(1) سورة الحج الآية (٥) وانظر سورة السجدة الآيات (٧-٩) وسورة المرسلات الآيات (٢٠-٢٣).

(2) سورة البقرة الآية (٢٣٣).

(3) سورة الطلاق الآية (٦).

فقد أمر الله ﷻ الوالدات بإرضاع أولادهن حولين كاملين إذا شاء الوالدان إتمام المدة، وأن على الأب الإنفاق على المرضع بحسب المعروف والقدرة؛ لتقوم المرضع بخدمة الوليد وإرضاعه وحفظه، ثم كان التحذير للوالدين أن يضار أحدهما الآخر بسبب الولد، فلا يحل للأم أن تمتنع عن إرضاع الولد، كما لا يحل للأب أن ينزع الولد منها مع رغبتها في إرضاعه، وإذا أراد الآباء طلب مرضعة للولد غير الأم لسبب ما فلا إثم ولا حرج، بشرط دفع النفقة للمرضع دون بخس لتهتم بالولد، وتلك الحالة يمر بها كل إنسان بعد مولده ومن ثم شملها التشريع الإسلامي، وجاءت فيها الآيات والأحاديث النبوية الشريفة، قال ﷺ: **"لا رضاع إلا ما كان في الحولين"**[1].

ولعل الحكمة من اهتمام الإسلام بالرضاع ما له من أثر في تنشئة الوليد وتغذيته، وأن الأم لا ترضع وليدها اللبن فحسب، بل معه العطف والرأفة والحنان، وهذا من محاسن الإسلام حيث يتعرض لتلك المرحلة من عمر الإنسان.

(٣) وليست أحكام الرضاعة فقط هي التي تتعلق بالمولود بل شرع الإسلام إماطة الأذى عنه، والتأذين في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى، واختيار اسم حسن له، والعقيقة عنه، ثم إذا ما بلغ السابعة يؤمر بالصلاة تعليما وتأديبا، ويفرق بين الجنسين في المضاجع سدا للذرائع، قال ﷺ: **"مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع"**[2].

---

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٥٠/٩ وقال الحافظ أخرجه الدارقطني، وقال لم يسنده عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل، وهو ثقه حافظ، وأخرجه ابن عدى، وقال غير الهيثم يوقفه على ابن عباس وهو المحفوظ.

(2) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، ١٣٣/١ (٤٩٥).

(٤) وبعد ذلك تأتى أحكام أخرى تتعلق بالإنسان في صباه وشبابه، حيث تنمو فيه الغريزة ويميل إلى غيره فدعاه الإسلام إلى الزواج، وحث عليه القادرين، ويسر السبيل إليه، قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] وفى الحديث **"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"**[2].

أما غير القادرين فقد قال الله تعالى في شأنهم: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[3].

(٥) وحين يدخل الإنسان في الضعف والوهن، وتعتريه حالة عدم القدرة رخص الإسلام له، وقدر ظروفه قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ ﴾.

روى البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس -رضي الله عنهما- يقرأ: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ ﴾ قال ابن عباس ليست بمنسوخة هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكينا[4].

وعليه فالمقصود من الأمر، على الذين يقدرون على الصوم مع الشدة والمشقة فدية طعام مسكين، وتلك حالة تعرض لكثير من الناس، لأن الشيخ الكبير لا يمكن إيجاب القضاء عليه لشيخوخته وزمانته، ولن يأتيه يوم يستطيع فيه الصيام.

---

(١) سورة النور الآية (٣٢).

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب النكاح ٩/٨ (٥٠٦٥) ورواه الإمام مسلم في النكاح ٢/ ١٠١٨ (١-١٤٠٠).

(٣) سورة النور الآية (٣٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير ٨/ ٢٨ (٤٥٠٥).

ومن الحالات التي تطرأ على المرأة ولم يغفلها الإسلام حالة الحمل والرضاعة فقد اعتبرهما الإسلام عذرا يبيح لها الفطر في رمضان أو القضاء في أيام أخر قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[1].

(٦) كما جاءت أحكام تتعلق بالإنسان بعد وفاته مثل تنفيذ وصاياه، وتوزيع تركته، وقضاء ديونه إلى غير ذلك، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾[3].

فآيات المواريث تشمل حالات الإنسان من وهبه الله ذكورا فقط، ومن وهبه إناثا فقط، ومن وهبه ذكورا وإناثا معا، ومن حرم من ذلك كله.

ومن هنا يتبين أن رسالة الإسلام في تشريعها للفرد تصاحبه منذ مولده بل من قبل مولده وحتى بعد وفاته فهي تستغرق جميع أطوار حياته.

ثانيا: شمولية التشريع للإنسان في كل مجالات حياته:

من معاني الشمول في الإسلام أنه رسالة للإنسان في كل مجالات حياته، فما من جانب من جوانب الحياة إلا وللإسلام فيه أمر افعل أولا تفعل، عن طريق الموعظة، أو عن طريق

([1]) سورة البقرة الآية (١٨٥).

([2]) سورة المائدة الآية (١٠٦) وانظر سورة البقرة الآية (١٨٢).

([3]) سورة النساء الآية (٧) وانظر سورة النساء الآية (١١) وسورة النساء الآية (١٧٦).

العقوبة الرادعة، سواء كان المجال ماديا أو روحيا، فرديا أو اجتماعيا، فكريا أو علميا، دينيا أو سياسيا، اقتصاديا أو أخلاقيا، وفى ذلك يقول العقاد: (إن الإسلام هو العقيدة المثلي للإنسان منفردا أو مجتمعا، وعاملا لروحه أو عاملا لجسده وناظرا لدنياه أو ناظرا إلى آخرته، ومسالما أو محاربا، ومعطيا حق نفسه أو معطيا حق حاكمه وحكومته، فلا يكون مسلما وهو يطلب الآخرة دون الدنيا، ولا يكون مسلما وهو يطلب الدنيا دون الآخرة، ولا يكون مسلما لأنه روح تنكر الجسد أو لأنه جسد ينكر الروح، أو لأنه يصحب إسلامه في حالة ويدعه في حالة أخرى... رهينا بوساطة بينه وبين السماء يتولاها في المعابد سدنة موكلون بالوساطة بين المخلوق والخالق ولكنما هو المسلم بعقيدته كلها مجتمعة لديه، في جميع حالاته سواء تفرد وحده أو جمعته بالناس أواصر الاجتماع، إن شمول العقيدة في ظواهرها الفردية، وظواهرها الاجتماعية، هو المَزِيَّة الخاصة في العقيدة الإسلامية وهو المزية التي توحي إلى الإنسان أنه (كل) شامل فيستريح من (فصام) العقائد التي تشطر السريرة شطرين ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق[1].

ويتجلى ذلك الشمول في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[2] أي خذوا تعاليم الإسلام جملة وتفصيلا فلا يجوز أخذ جانب من جوانب الإسلام كالعقيدة مثلا وترك جانب الشريعة أو العبادة أو الأخلاق.

---

(١) الإسلام في القرن العشرين أ/ عباس محمود العقاد صـ ٢٣٨ دار الكتاب اللبناني بيروت ط/١٩٩٤م.
(٢) سورة البقرة الآية (٢٠٨).

فالإسلام كل لا يتجزأ يجب أن يقابله شمول مماثل من جانب التزام المسلمين به، فلا يأخذون منه ما يروق لهم، ويدعون منه ما لا يتفق مع هواهم، ومن هنا عاب القرآن الكريم على بنى إسرائيل تجزئتهم لأحكام دينهم تبعا لأهوائهم، كما حذر المسلمين من تقليدهم في ذلك قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[1].

وتبرز شمولية الإسلام للإنسان في كل مجالات حياته فيما يأتي:

(١) **ففي جانب الحكم بين الناس** يأتي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[3].

(٢) **وفى المعاملة مع الأعداء** يأتي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم

---

(١) سورة البقرة الآيتان (٨٥-٨٦).

(٢) سورة النحل الآية (٩٠).

(٣) سورة النساء الآية (٥٨).

(٤) سورة التحريم الآية (٩).

مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾[1].

(٣) **وفي جانب المعاملات** يأتي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۖ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾[3].

(٤) **وفي الجانب التربوي** يأتي قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾[4].

(٥) **وفي ردع المجرمين والمنحرفين** يأتي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5].

(٦) **وفي جانب العلاقات الزوجية** يأتي قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٨﴾﴾[6].

---

(١) سورة التوبة الآيتان (١٣-١٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (٨٥).

(٣) سورة الرحمن الآية (٩) وانظر سورة المطففين الآيات (١-٣).

(٤) سورة هود الآية (١١٢).

(٥) سورة المائدة الآية (٣٣) وانظر سورة النور الآية (٢) وسورة المائدة الآية (٣٨).

(٦) سورة البقرة الآية (٢٢٨).

(٧) **وفى حالة الطلاق** يـأتي قولـه تعـالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾[٢].

(٨) **وفى جانب الدَّيْن يأتي** قوله تعـالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾[٣].

(٩) **وفى حالة عدم تـوفر الكاتـب** يقـول تعـالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾[٤].

(١٠) **وفى أعقاب الجهاد من الغنيمـة والفـيء** يـأتي قولـه تعـالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[٥].

﴾[٥].

(١١) **وفى الشهادة** يأتي قوله تعـالى: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾[٦].

---

(١) سورة النساء الآية (١٣٠).
(٢) سورة الطلاق الآية (١).
(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٠) وانظر سورة البقرة الآية (٢٨٢).
(٤) سورة البقرة الآية (٢٨٣).
(٥) سورة الأنفال الآية (١) وانظر سورة الأنفال الآية (٤١) وسورة الحشر الآية (٧).
(٦) سورة البقرة الآية (٢٨٣) وانظر سورة الطلاق الآية (٢).

(١٢) **وفى مسألة اللباس للرجل والمرأة** يأتي قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[2].

وبهذا يتبين لنا أن الإسلام يشرع للحياة بكافة جوانبها ويعتبرها كلا لا يتجزأ، ليس فيها انفصام بين أجزائها، فلا يقسم الحياة نصفين نصف للدين، ونصف للدنيا، وإنما الحياة بكل جوانبها كتلة واحدة يستوعبها الإسلام بكل تشريعاته ونظمه الخالدة.

واجبات تشريعية بين الزوجين:

(١) بين القرآن الكريم أن هناك علاقات محرمة لا يجوز للإنسان أن يقدم على الزواج منها: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن

---

(١) سورة الأعراف الآية (٣١).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٥٩).

(٣) سورة النساء الآية (٢٢).

تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ ﴾[1].

(٢) وأن هناك علاقات محللة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾[3].

(٣) كما أن هناك آيات تتحدث عن غايات الزواج منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[4].

(٤) وعن المساواة بين الزوجين في الحقوق والواجبات جاء قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[5].

---

(1) سورة النساء الآيتان (٢٣-٢٤). وانظر سورة البقرة الآية (٢٢١). وسورة النور الآية (٣).

(2) سورة النساء الآيتان (٢٤-٢٥).

(3) سورة المائدة الآية (٥).

(4) سورة الروم الآية (٢١).

(5) سورة البقرة الآية (٢٢٨).

(٥) وعن التشاور بين الزوج والزوجة في الفطام والرضاع جاء قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[1].

(٦) وعن النشوز بين الزوجين جاء قوله: ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

(٧) وعن انتهاء الحياة الزوجية بالطلاق جاء قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾[3].

(٨) وعن الإيلاء جاء قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[4].

---

(1) سورة البقرة الآية (٢٣٣).

(2) سورة النساء الآية (٣٤) وانظر سورة النساء الآية (١٢٨) وسورة النساء الآية (٣٥).

(3) سورة البقرة الآيتان (٢٢٩-٢٣٠).

(4) سورة البقرة الآيتان (٢٢٦-٢٢٧).

(٩) وعن فترة العدة جاء قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾[3].

(١٠) وعن السكنى والنفقة جاء قوله تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾[4].

(١١) وعن النهى عن منع شيء من الزوجة جاء قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾[5].

---

(1) سورة البقرة الآية (٢٢٨).

(2) سورة البقرة الآية (٢٣٤).

(3) سورة الطلاق الآية (٤).

(4) سورة الطلاق الآيتان (٦-٧).

(5) سورة النساء الآية (٢٠).

(١٢) وعن تعويض المطلقة التي لم يسم لها المهر جاء قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾[1].

(١٣) وعن تعويض المطلقة بحاجة ما، جاء قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾[2].

(١٤) وعن الإنفاق على الأقارب وغيرهم بالعطاء والوصية جاء قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[4].

(١٥) وعن حق الميراث الذى يستوي فيه الذكور والإناث الصغار والكبار جاء قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾[6].

❁❁❁

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٣٦).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤١).

(٣) سورة الروم الآية (٣٨).

(٤) سورة البقرة الآية (١٨٠).

(٥) سورة النساء الآية (٧).

(٦) سورة النساء الآيات (١١-١٢) وانظر سورة النساء الآية (١٧٦).

المطلب الرابع: شمولية الأخلاق في القرآن الكريم[١]

تتضح شمولية الأخلاق في القرآن الكريم في كونها تسع الحياة بكل جوانبها، وجميع مجالاتها، من خلال تناوله لأخلاق الفرد، وأخلاق الأسرة، وأخلاق الجماعة، ولم تدع جانبا من جوانب الحياة إلا رسمت له المنهج الأمثل، والسلوك الرفيع، سواء ما يتعلق بجانب الروح أو الجسم أو العقل أو العاطفة، وسواء كان في الدين أو الدنيا.

أما الأخلاق الفردية فمن النصوص القرآنية الدالة عليها ما هو أمر وما هو نهى وما هو مباح، فمن الأوامر:

(١) قوله تعالى عن التعليم الأخلاقي: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[٢].

(٢) وقوله تعالى عن الجهد الأخلاقي: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[٣].

(٣) وقوله سبحانه عن طهارة النفس: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[٤].

---

(١) انظر تفاصيل الحديث عن الأخلاق في القرآن في (دستور الأخلاق في القرآن) د/ محمد عبد الله دراز، ط/ مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية سنة ١٩٨٠م.

(٢) سورة التوبة الآية (١٢٢).

(٣) سورة الليل الآيات (٤-١٠).

(٤) سورة ق الآيات (٣١-٣٣).

(٤) وقوله سبحانه عن الاستقامة: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[١].

(٥) وعن العفة جاء قوله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[٢].

(٦) وقوله تعالى عن التحكم في الأهواء: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[٣].

(٧) وقوله سبحانه عن الامتناع عن شهوتي البطن والفرج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[٥].

(٨) وعن كظم الغيظ جاء قوله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[٦].

(٩) وعن الصدق جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[٧].

---

(١) سورة هود الآية (١١٢).
(٢) سورة النور الآية (٣٣) وانظر سورة النور الآية (٦٠).
(٣) سورة ص الآية (٢٦).
(٤) سورة البقرة الآيات (١٨٣-١٨٧).
(٥) سورة البقرة الآية (٢٢٢).
(٦) سورة آل عمران الآية (١٣٤).
(٧) سورة التوبة الآية (١١٩).

(١٠) وعن التواضع جاء قوله تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[١].

(١١) وعن التثبت والتبين قبل إصدار الحكم جاء قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[٢].

(١٢) وعن سوء الظن جاء قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٣].

(١٣) وعن الثبات والصبر جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[٤].

(١٤) وعن القدوة الحسنة جاء قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[٥].

(١٥) وعن الاعتدال جاء قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[٧].

---

(١) سورة لقمان الآية (١٩)
(٢) سورة الحجرات الآية (٦) وانظر سورة النساء الآية (٩٤).
(٣) سورة الإسراء الآية (٣٦).
(٤) سورة آل عمران الآية (٢٠٠) وانظر سورة النحل الآية (١٢٧) وسورة المدثر الآية (٧) وسورة المعارج الآية (٥).
(٥) سورة الأحزاب الآية (٢١).
(٦) سورة الفرقان الآية (٦٧).
(٧) سورة الإسراء الآية (٢٩).

(١٦) وعن الأعمال الصالحة جاء قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[1].

(١٧) وعن حسن الاستماع والاتباع قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾[2].

(١٨) وعن إخلاص السرائر جاء قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾[3] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾[4].

(١٩) وجاء الأمر عن أداء الأمانة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾[5].

(٢٠) وعن الوفاء بالعهد جاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾[6]

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۝٣٤﴾[7].

(٢١) وعن أداء الشهادة الصادقة جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢﴾[8] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) سورة الملك الآيتان (١، ٢).
(٢) سورة الزمر الآيتان (١٧، ١٨).
(٣) سورة الزمر الآيتان (٢-٣).
(٤) سورة الزمر الآية (١١) وانظر سورة البينة الآية (٥).
(٥) سورة النساء الآية (٥٨) وانظر سورة البقرة الآية (٢٨٣).
(٦) سورة المائدة الآية (١).
(٧) سورة الإسراء الآية (٣٤) وانظر سورة الرعد الآية (٢٠).
(٨) سورة الأنعام الآية (١٥٢).

ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[١].

(٢٢) وعن إصلاح ذات البين جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[٣].

(٢٣) وعن التراحم المتبادل بين المؤمنين جاء قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ رُكَّعًا .. ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[٥].

(٢٤) وعن العفو وكظم الغيظ جاء قوله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[٦]

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٧].

---

(١) سورة النساء الآية (١٣٥).
(٢) سورة الحجرات الآية (١٠).
(٣) سورة الأنفال الآية (١) وانظر سورة النساء الآية (١١٤).
(٤) سورة الفتح الآية (٢٩).
(٥) سورة المائدة الآية (٥٤) وانظر سورة البلد الآيتان (١٧-١٨).
(٦) سورة آل عمران الآية (١٣٤).
(٧) سورة الشورى الآية (٣٧).

(٢٥) وعن دفع السيئة بالحسنة جاء قوله تعالى: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢].

أما النواهي:

(١) فعن النهى عن الكذب جاء قوله تعالى: ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[٤].

(٢) وعن النهى عن النفاق جاء قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[٥].

(٣) وعن تناقض القول مع الفعل جاء قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٧].

---

(١) سورة الرعد الآية (٢٢).
(٢) سورة فصلت الآية (٣٤).
(٣) سورة الحج الآية (٣٠).
(٤) سورة النحل الآية (١٠٥).
(٥) سورة البقرة الآيات (٢٠٤-٢٠٦).
(٦) سورة البقرة الآية (٤٤).
(٧) سورة الصف الآيتان (٢-٣).

(٤) وعن النهى عن البخل جاء قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[١] وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[٢].

(٥) وعن النهى عن الإسراف والتبذير جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[٤].

(٦) وعن النهى عن الرياء جاء قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[٥].

(٧) وعن النهى عن الاختيال جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾[٧].

---

(١) سورة الحشر الآية (٩).
(٢) سورة القتال الآية (١٣٨).
(٣) سورة الأنعام الآية (١٤١).
(٤) سورة الإسراء الآيتان (٢٦-٢٧).
(٥) سورة الماعون الآيات (٤-٧).
(٦) سورة الإسراء الآية (٣٧).
(٧) سورة لقمان الآية (١٨).

(٨) وعن النهى عن الكبر والعجب جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[١] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾[٢].

(٩) وعن النهى عن التفاخر بالقدرة والعلم جاء قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾[٣].

(١٠) وعن النهى عن التعلق بالدنيا جاء قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[٥].

(١١) وعن النهى عن الحسد والطمع جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[٧].

---

(١) سورة النحل الآية (٢٣).
(٢) سورة النساء الآية (٤٩) وانظر سورة النجم الآية (٣٢).
(٣) سورة القصص الآية (٧٨).
(٤) سورة الكهف الآية (٢٨).
(٥) سورة طه الآية (١٣١).
(٦) سورة النساء الآية (٣٢).
(٧) سورة النساء الآية (٥٤).

(١٢) وعن النهى عن الأسى على ما مضى والفرح بما هو آت جاء قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[2].

(١٣) وعن النهى عن أكل أموال الناس بالباطل جاء قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[4].

أما المباحات:

(١) وذلك مثل التمتع بالطيبات في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[6].

(٢) وقد تكون الأخلاق مخالفة بالاضطرار مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ

---

(١) سورة الحديد الآية (٢٣).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٥٣).

(٣) سورة النساء الآية (٢٩).

(٤) سورة البقرة الآية (١٨٨) وانظر سورة النساء الآية (١٠).

(٥) سورة المائدة الآية (٨٧).

(٦) سورة البقرة الآية (١٧٢) وانظر سورة الأعراف الآيتان (٣١-٣٢).

عِلْمٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾[٢].

أما الأخلاق الأسرية فمنها ما يكون تجاه الأصول والفروع:

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[٣].

(٢) وعن توجيههم الخلقي في اللباس والسترة والعفة جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٥].

وأما ما يتعلق بأخلاق المسلم من قواعد الآداب العامة فمن ذلك ما يلي:

(١) فعن الاستئذان قبل الدخول على الغير جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ

---

(١) سورة الأنعام الآية (١١٩).

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٣).

(٣) سورة الإسراء الآيتان (٢٣-٢٤) وانظر سورة النساء الآية (٣٦) وسورة لقمان الآية (١٤).

(٤) سورة الأحزاب الآية (٥٩).

(٥) سورة التحريم الآية (٦).

(٦) سورة النور الآيات (٢٧-٢٩).

مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

(٢) وعن التحية عند الدخول وردها جاء قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[3].

(٣) وعن حسن الجلسة جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[4].

(٤) وعن خفض الصوت وعدم رفعه جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[5].

(٥) وجاء الأمر بأن يكون موضوع الحديث خيرا كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة النور الآيتان (٥٨-٥٩).

(٢) سورة النساء الآية (٨٦).

(٣) سورة النور الآية (٦١).

(٤) سورة المجادلة الآية (١١)

(٥) سورة الحجرات الآية (٢) وانظر سورة لقمان الآية (١٩).

(٦) سورة المجادلة الآية (٩).

(٦) وعن استعمال أطيب العبارات في الحديث جاء قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[١].

وأما ما يتعلق بأخلاق الدولة:

(١) فعن العلاقة بين الرئيس والشعب في الشورى وإمضاء القرار النهائي يأتي قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٢].

(٢) وعن إقرار النظام بين الناس وتجنب الفساد جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٤].

(٣) وعن واجبات الشعب من الطاعة واحترام النظام جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[٥].

---

(١) سورة الإسراء الآية (٥٣).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٥٩).
(٣) سورة المائدة الآيتان (٣٣-٣٤).
(٤) سورة الأعراف الآية (٦) وانظر سورة الرعد الآية (٢٥) وسورة البقرة الآيتان (٢٠٤-٢٠٥).
(٥) سورة النساء الآية (٥٩).

(٤) وعن إعداد الدفاع العام جاء قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[١].

(٥) وعن تجنب موالاة العدو أو التعامل معه جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾[٢].

(٦) وعن ترك الاستبداد والإفساد جاء قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٣].

(٧) وعن ترك المساس بأمن المحايدين جاء قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾[٤].

(٨) وعن مراعاة حسن الجوار والعدالة والبر مع أهل الكتاب جاء قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنفال الآية (٦٠).
(٢) سورة الممتحنة الآية (١).
(٣) سورة القصص الآية (٨٣).
(٤) سورة النساء الآية (٩٠).
(٥) سورة الممتحنة الآيتان (٨-٩).

(٩) وعن عدم القتال في الأشهر الحرم أو في الأماكن المحرمة جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ ﴾[2].

(١٠) وعن الحرب للدفاع عن النفس والمال وقتال المعتدين وحدهم جاء قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[4].

(١١) وعن عدم الاستسلام للأعداء جاء قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة التوبة الآية (٣٦).
(٢) سورة البقرة الآيتان (١٩١-١٩٢).
(٣) سورة الحج الآية (٣٩).
(٤) سورة البقرة الآية (١٩٠). وانظر سورة النساء الآية (٩١).
(٥) سورة محمد الآية (٣٥).
(٦) سورة البقرة الآية (١٩٣).

(١٢) وعن مواجهة الخيانة بشدة وحزم جاء قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

(١٣) وعن الوفاء بالمعاهدات المبرمة جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾[2].

ومما سبق يتضح شمولية الأخلاق في القرآن الكريم شمولية أتت على شتى جوانب الحياة، وسائر العلاقات بين الإنسان وغيره، سواء كان فردا أم جماعة، مسالما أم معاديا، قريبا أم غريبا بدرجة تجعل من المسلم إنسانا يتحرك كل حركة وفق خلق قرآني يأتمر به أو ينتهي عنه.

❁❁❁

(١) سورة الأنفال الآية (٥٨).

(٢) سورة المائدة الآية (١).

المبحث الخامس
الوسطية في القرآن الكريم

المتأمل في آيات القرآن الكريم يرى أن الوسطية إحدى الخصائص الواضحة للدعوة الإسلامية، سواء في العقيدة أو في العبادة والشعائر، أو في الأخلاق، بل في كل شيء من تعاليم الإسلام وآدابه، ولذلك وصف الله ﷻ هذه الأمة الخاتمة بأنها أمة وسطا، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

يقول الشيخ رشيد رضا-رحمه الله-: (قالوا إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة عن المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتقصير ميل عن الجادة القويمة، فهو شر ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر أي المتوسط بينهما)[2].

ووسطية الأمة إنما هي مستمدة من وسطية المنهج، والرسالة، فهو منهج وسط، معتدل متوازن، سلم من الإفراط والتفريط.

يقول الدكتور/ محمد عمارة: (فالواسطية الإسلامية تتمثل السمة والقسمة التي تعد بحق أخص ما يختص به المنهج الإسلامي عن مناهج أخرى لمذاهب وشرائع وفلسفات، بها -أى الوسطية- انطبعت الحضارة الإسلامية في كل القيم والمثل والمعايير والأصول والمعالم والجزئيات، حتى تستطيع أن تقول: إن هذه الوسطية بالنسبة للمنهج الإسلامي -وحضارته-

---

(١) سورة البقرة الآية (١٤٣).

(٢) تفسير المنار، للشيخ/ رشيد رضا ٢/٥.

هي عدسته اللامة لأشعة ضوئه وزاوية رؤيته كمنهج)[١].

فالرسالة وسط لأنها حق بين باطلين، ولأنها عدل بين ظلمين، ولأنها اعتدال وقصد بين تطرفين، وهذا ما سيتضح من خلال هذا المبحث الذي يتناول (الوسطية في القرآن الكريم).

❁❁❁

المطلب الأول: الوسطية في العقيدة[٢]

تتجلى الوسطية في مجال العقيدة الإسلامية كأوضح ما تكون في هذه الأمور العقائدية التالية:

١- أنها رسالة وسطية بين الذين يصدقون بكل شيء دون دليل أو برهان، وبين الذين يسرفون في أفكار كلها ما وراء الحس، فوسطية الإسلام هنا تدعو إلى الإيمان بما ثبت بالدليل القطعي الذي لا يحتمل الظن أو الشك، وجاءت الآيات القرآنية تحث المسلمين على طلب الدليل والبرهان في أي أمر اعتقادي، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾[٤].

٢- كما جاءت رسالة الإسلام وسطا بين الذين ينكرون وجود الله، وبين الذين يؤمنون بآلهة شتى، ويؤلهون الحجر والشجر، وما لا يسمع ولا يبصر، وما لا يملك لهم موتا ولا حياة

---

(١) معالم المنهج الإسلامي، د/ محمد عمارة، صـ٧٧، سلسلة المنهجية الإسلامية، رقم (٣)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الأمان الرباط المغرب، ط/ الثالثة، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٢) انظر تفصيلات وسطية العقيدة في القرآن الكريم في الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي، صـ١١٥ وما بعدها مكتبة وهبة ط/ الرابعة سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٣) سورة النمل الآية (٦٤).

(٤) سورة الأنعام الآية (١٤٨).

ولا نشورا، وقد وصفهم القرآن الكريم بالضلال، وهو البعد عن الحق والحقيقة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[1].

ويقول ﷻ مبينا خطورة الشرك، وأنه ظلم للنفس؛ لبعدها عن الحق والصواب: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[3].

وينعى الله ﷻ على الذين ينكرون وجوده، ولا يؤمنون إلا بالمحسوس المشاهد فقط، فيقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

وقال ﷻ مبينا كفر اليهود والنصارى في معتقداتهم، بسبب جعلهم البشر أندادا لله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[5].

---

(1) سورة الأحقاف الآيتان (٥-٦).
(2) سورة لقمان الآية (١٣٩).
(3) سورة فصلت الآية (٣٧).
(4) سورة الجاثية الآية (٢٤).
(5) سورة التوبة الآيتان (٣٠-٣١).

وإذا كان الإسلام يرفض إنكار الإله، أو القول بتعدد الآلهة، فإنه وسط بين هذا وذاك في دعوته إلى الإيمان بالله الواحد، الذي يجب له كل كمال، ويستحيل عليه كل نقص، قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[٢].

٣- وجاء الإسلام الحنيف وسطا بين الذين يعتقدون أن الكون هو الحق وحده وما عداه وهم، وبين الذين يعتقدون أن الكون خيال لا حقيقة له، فجاء الإسلام وسطا بين هذا وذاك، وبين أن الكون له مكون خالق قدير مريد أتقن كل شيء خلقه، وأن الكون وما فيه مربوب لله ﷻ قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[٤].

٤- وجاء الإسلام وسطا في بيان مكانة الأنبياء، فتوسط بين الذين يرفعونهم إلى مرتبة الألوهية، أو يجعلونهم أبناء الله مثل اليهود والنصارى في قولهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٥] وبين من يتهمونهم ويصفونهم بما لا يليق بمكانتهم، مثل اليهود في وصفهم لنبي الله نوح ولوط وداود بما لا ينبغي أن يوصف به رسل الله المعصومين من الكبائر.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٦٣)
(٢) سورة الإخلاص الآيات (١-٤).
(٣) سورة الأنعام الآية (١).
(٤) سورة الزمر الآية (٦٢).
(٥) سورة التوبة الآية (٣٠).

فجاء الإسلام وسطا بين هذا وذاك، ليقرر أنهم بشر أكرمهم الله بالرسالة، وعصمهم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأنه فضلهم على العالمين، ولم يعلمهم من الغيب إلا ما أطلعهم عليه ﷻ قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾[4].

٥- وجاء الإسلام وسطا بين الذين يؤمنون بالعقل ويجعلونه الوسيلة الوحيدة للمعرفة، وبين الذين يجعلون المصدر المعرفي هو الوحي والإلهام فقط، فجاء الإسلام ليجمع بين العقل والوحي معا في تناسق وانسجام، وجعل الشرع هاديا للعقل فيما ليس من اختصاصه.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٥٩).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٣).
(٣) سورة الجن الآيتان (٢٦-٢٧).
(٤) سورة إبراهيم الآية (١١).

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: (فلا غنى للعقل عن السماع، ولا غنى للسماع عن العقل، فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار السماء والسنة مغرور، فإياك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعا بين الأصلين، فإن العلوم العقلية كالأغذية، والعلوم الشرعية كالأدوية، والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء)[١].

٦- وهناك أيضا التوازن في العقيدة بين ثبات السنن الكونية، وطلاقة المشيئة الإلهية، فإذا كانت الإرادة الإلهية قد شاءت أن تظهر للناس في صورة نواميس مطردة، وسنن جارية، يدركها الناس، ويملكون أن يراقبوها ويكيفوا حياتهم وفقها، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ۝٦٢ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾[٦].

إذا كان الأمر كذلك فإن هناك المشيئة الإلهية المطلقة التي تقف وراء السنن الكونية، والتي تملك أن تعطلها حينما تشاء، كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي ١٧/٣ ط/ نشر المكتبة التجارية الكبرى.
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٨).
(٣) سورة الرحمن الآية (٥).
(٤) سورة يس الآية (٤٠).
(٥) سورة الأحزاب الآية (٦٢).
(٦) سورة طه الآية (٥٠).

فَعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾[2].

وبين ثبات السنن وطلاقة المشيئة يقف الضمير البشرى على أرض ثابتة مستقرة، يعمل فيها وهو يعلم طبيعة الأرض، وطبيعة الطريق، وغاية السعي، وجزاء الحركة، ويتعرف إلى نواميس الكون وسنن الحياة وطاقات الأرض، وينتفع بها وبتجاربه الثابتة فيها، بمنهج علمي ثابت، وفى الوقت ذاته يعيش موصول الروح بالله، معلق القلب بمشيئة لا يستكثر عليها شيء، ولا يستبعد عليها شيء، ولا ييأس أمام ضغط الواقع أبدا[3].

٧- ومن صور الوسطية في العقيدة الإسلامية أيضا التوازن في علاقة العبد بربه، بين موجبات الخوف والرهبة والوجل، وبين أشواق الطمأنينة والأمن والأمان، فصفات الله ﷻ تجمع بين هذين الأمرين في توازن وانسجام.

فالقرآن الكريم يصف الله ﷻ بصفات تخلع القلوب، وتهز الكيان الإنساني في مثل قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ ﴿٢٣٥﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ

---

(1) سورة الأنبياء الآيتان (٦٨-٦٩).
(2) سورة الشعراء الآيات (٦١-٦٣).
(3) انظر خصائص التصور الإسلامي، صـ١١٧، وما بعدها باختصار وتصرف/ دار الشروق ط/الحادية عشرة سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
(4) سورة البقرة الآية (٢٣٥).
(5) سورة البقرة الآية (١٩٦).
(6) سورة آل عمران الآية (٤).

أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾[3].

ويقرأ المسلم في القرآن الكريم من صفات ربه ﷻ ما يملأ قلبه طمأنينة وراحة، ويملأ روحه أنسا وقربا، ويسكب في نفسه الرجاء والأمل، ويجد ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾[7].

ومن هذا وذاك يقع التوازن في ضمير العبد بين الخوف والطمع، والرهبة والأنس، والفزع والطمأنينة، ويسير الإنسان في حياته، ويقطع الطريق إلى الله ثابت الخطو، مفتوح العين، حى القلب، موصول الأمل حذرا من المزالق، صاعدا أبدا إلى الأفق الوضيء، لا يستهزئ ولا يستهين، لا يغفل ولا ينسى، وهو في الوقت ذاته شاعرا برعاية الله وعونه، ورحمة

---

(1) سورة هود الآية (١٠٢).
(2) سورة البروج الآية (١١٢).
(3) سورة المزمل الآيات (١١-١٤).
(4) سورة البقرة الآية (١٨٦).
(5) سورة البقرة الآية (١٤٣).
(6) سورة البقرة الآية (٢٠٧).
(7) سورة مريم الآية (٩٦).

الله وفضله، وأن الله لا يريد به السوء، ولا يود له العنت، ولا يوقعه في الخطيئة ليتشفى بالانتقام منه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[١]. ❁❁❁

المطلب الثاني: الوسطية في التشريع والعبادات

١-إن المتأمل في آيات الأحكام في القرآن الكريم يراها تتسم بالوسطية في التحليل والتحريم، وتقرر أن التحليل والتحريم حق لله وحده لا يملكه أحبار أو رهبان، ومن فعل ذلك منهم فقد تعدى حدوده وتجاوز أمره، ومن رضي بذلك فقد جعل ندا وشريكا لله ﷻ قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[٢].

ونعى الله ﷻ على أهل الكتاب الذين منحوا الأحبار والرهبان سلطة التحليل والتحريم فقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٣].

كما نعى القرآن الكريم على المشركين الذين حللوا وحرموا بغير إذن من الله قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[٤].

---

(١) انظر خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، صـ١٣٥، وما بعدها بتصرف يسير.

(٢) سورة الشورى الآية (٢١).

(٣) سورة التوبة الآية (٣١).

(٤) سورة يونس الآية (٥٩).

وقد جعل الإسلام من يحرم ما أحل الله، ويضيق ما وسع الله واقعا في أعمال المشركين قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

٢- وتتجلى وسطية الإسلام في التشريع حيث ضيق دائرة المحرمات تضييقا شديدا، ووسع دائرة الحلال اتساعا بالغا، فالنصوص القرآنية التي جاءت بالتحريم نصوص محدودة، وماعدا ذلك فهو حلال، ومباح، وفى دائرة العفو، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن

---

(١) سورة الأعراف الآية (٣٣).

(٢) سورة الأنعام الآية (١١٩).

(٣) سورة المائدة الآية (٣).

(٤) سورة الأنعام الآية (١٤٥).

لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾[1].

٣-ومن رحمة الله ولطفه بعباده أن حرم الخبائث وأباح الطيبات، فلم يجعل التحريم عقوبة كما كان الحال في التوراة، قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[3].

فالتحريم في المنهج الإسلامي يتتبع الخبث والضرر، فكل ما فيه ضرر فهو حرام، وكل ما فيه منفعة فهو حلال، وما كان ضرره أكثر من نفعه فهو حرام، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[4].

فدائما تجد الحلال في الإسلام مما تستطيبه النفوس وتستحسنه العقول قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

---

(1) سورة النساء الآيتان (٢٣-٢٤).

(2) سورة النساء الآيتان (١٦٠-١٦١).

(3) سورة الأنعام الآية (١٤٦).

(4) سورة البقرة الآية (٢١٩).

ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾[1].

٤- ليس هذا فقط بل إن الإسلام ما حرم شيئا إلا وعوض عنه بما هو خير منه، يقول الإمام ابن قيم الجوزية: (فما حرم الله على عباده شيئا إلا عوضهم خيرا منه كما حرم عليهم الاستقسام بالأزلام وعوضهم منه دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الربا وعوضهم منه التجارة الرابحة، وحرم عليهم القمار وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيل والإبل والسهام، وحرم عليهم الحرير وأعاضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن، وحرم عليهم الزنا واللواط وأعاضهم منه بالنكاح والتسرى بصنوف النساء الحسان، وحرم عليهم شرب المسكر وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن، وحرم عليهم سماع آلات اللهو من المعازف والمشاني وأعاضهم عنها بسماع القرآن العظيم والسبع المثاني، وحرم عليهم الخبائث من المطعومات وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات)[2].

٥- وجاء الإسلام وسطا في عباداته وشعائره فهو لا يكلف المسلم الانقطاع عن الحياة والغلو في العبادة وإنما يوازن بين الأمرين يوضح ذلك قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة} فهو يتاجر ويعمل بأمور الدنيا، فإذا ما نودى للصلاة سعى إلى بيت الله وترك مشاكل الحياة، ثم إذا ما فرغ من صلاته جد في طلب الرزق مستحضرا رقابة الله ﷻ في كل أحواله.

٦- ومن النماذج العملية الواضحة للوسطية في التشريع إباحة الإسلام للتعدد في الزواج، وتقييده لهذه الإباحة بأربع زوجات، ثم قام بوضع شرط للجواز والإباحة إذا دعت الحاجة

---

(1) سورة المائدة الآية (٤-٥).

(2) روضة المحبين ونزهة المشتاقين/ لابن قيم الجوزية صـ١٨ ط/ مكتبة دار التراث /بدون تاريخ.

إلى التعدد عند الضرورة وهو العدل، قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾[1].

فنظرة الإسلام في تشريعه لمسألة التعدد هذه نظرة وسط ومتوازنة، حيث وقف بين الذين أباحوا التعدد بإطلاق دون التقيد بحد أقصى من الزوجات، وبين الذين رفضوا الزواج من أصله وفضلوا عليه العزوبة أو الرهبنة، فلم يأمر الإسلام بكبت الغريزة وتعطيلها؛ لما في ذلك من أضرار نفسية وجسدية بالغة الخطورة، كما أنه لم يطلق للغريزة العنان لتصريفها في أي موضع يشاؤه الإنسان، فتشيع الفاحشة في المجتمع، مما يؤدى إلى فساده وانحلاله، وهدم بنيانه وأركانه.

٧- وكذلك الحال في مسألة الطلاق تأتى نظرة الإسلام المتوازنة له فلم يحرم الإسلام الطلاق تحريما باتا، أو يقيده بالخيانة الزوجية كما في بعض المذاهب النصرانية، ولم يكن متساهلا أيضا في الأمر، وإنما أباحه حينما تفشل الحياة الزوجية، ويتعذر الوفاق بين الطرفين، بل ويستحيل الإصلاح، وإزالة أسباب الشقاق، وبالرغم من إباحة الإسلام له، إلا أنه اعتبره أبغض الحلال عنده، فقد روى ابن ماجة في سننه أن النبي ﷺ قال: **"أبغض الحلال عند الله – تعالى – الطلاق"**[2].

ثم جعل الإسلام الطلاق رجعيا في المرة الأولى والثانية ليتيح للزوجين أن يتراجعا، وأن يعيدا جمع الأسرة من جديد قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ

---

(1) سورة النساء الآية (٣).

(2) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطلاق ١/٦٥٠ (٢٠١٨).

لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾[1].

٨- والأعياد في الإسلام صورة لهذه الوسطية القويمة كما وكيفا فليس في الإسلام إلا عيدان اثنان: عيد الفطر وعيد الأضحى، أما ما كان في الجاهلية من مفاسد في أعيادهم فلم يدفع الإسلام إلى أن يلغى العيد تماما من حياة المسلم سدا لذرائع السقوط والضلال.

كما أنه لم يترك الباب مفتوحا على مصراعيه فيبتكر المسلمون أعيادا لما يستحسنونه من مناسبات دينيه ترتبط بأحداث أو أشخاص، حتى لا تتغير ملامح المجتمع المسلم بما لها من وقار وحكمة واتزان.

فوسطية الإسلام في الأعياد من ناحية الكم فرفض الاتجاه إلى الابتداع لأعياد زائدة على ما شرع الله، ففي الحديث الذي يرويه الحسن بن على عن النبي ﷺ أنه قال: **"صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا ولا تتخذوا بيتي عيدا وصلوا على وسلموا فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم"**[2]. ومن أدعيته ﷺ: **"اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**[3]. ومن ناحية الكيف في العيدين نجد الوسطية الراشدة، فالنفس تأخذ حظها من مباهج الحياة وزينتها في المأكل والملبس والمشرب، وتلهو النفس في اللعب المباح في وقار واتزان، وتنال أكبر قدر من سرورها وبهجتها.

فالعيد في الإسلام صورة صادقة لوسطية حكيمة تتلاقى فيه بقدر يحكم بهجة النفوس مع صفاء العبادة، ويمتزج إيمان القلب بمتعة الجوارح. ❁❁❁

---

(1) سورة البقرة الآية (٢٢٩).

(2) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب المناسك ٢١٨/٢ (٢٠٤٣).

(3) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٤٦/٢.

المطلب الثالث: الوسطية في الأخلاق

جاءت الآيات القرآنية تؤكد وسطية الأخلاق في الإسلام، وتنظر للإنسان على أنه مخلوق مركب من العقل والشهوة، ففيه استعداد للطاعة واستعداد للمعصية، فليس الإنسان ملاكا محضا، وليس الإنسان شيطانا صرفا، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[1].

فالإسلام وضع قواعده الأخلاقية السامية بما يتوافق مع فطرة الإنسان وطبيعة تكوينه فهو مخلوق مكلف فيه الجانب المادي والجانب الروحي قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2] وما دام خالق الإنسان هو منزل القرآن فهو أعلم بما يصلحه وما يفسده لذلك وضع له منهجا أخلاقيا وسطا يلبى متطلبات الروح وحقوق الجسد معا.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم ما جاء في رد الاعتداء على النفس قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾[4].

فشرع الإسلام للمسلم رد الاعتداء الواقع على النفس بمثله لأن طبيعة النفس البشرية فيها نوازع الرغبة في الانتقام والثأر من المعتدى، طبق القاعدة المشهورة: لكل فعل رد فعل.

---

(1) سورة الشمس الآيات (٧-١٠).

(2) سورة ص الآية (٧٢).

(3) سورة البقرة الآية (١٩٤).

(4) سورة الشورى الآية (١٠).

لكن الإسلام هنا وضع ضوابط رد الاعتداء حتى لا يتجاوز الإنسان حدوده في ذلك فقال تعالى: ﴿ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ بلا زيادة وبدون مجاوزة في أخذ الحق، بحيث لا تنتقل هذه المسألة من زاوية رد الاعتداء إلى جانب التشفي والانتقام.

والإسلام وهو يشرع هذه الأخلاق الوسطية العادلة رغب في التسامح والصفح عن المعتدى؛ ليرتقى الإنسان إلى مستوى أعلى في العفو والصفح حرصا على سلامة الصدور داخل المجتمع، وطلبا لمرضاة الله ومغفرته ﷻ قال تعالى: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾[2].

بل رغب الإسلام في الإحسان إلى المسيء، وتلك منزلة أعلى ومكانة أسمى لإزالة أسباب العداوة ومحو دوافع البغضاء قال تعالى: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[3].

❁❁❁

(1) سورة النور الآية (٢٢).

(2) سورة الشورى الآية (٤٠).

(3) سورة آل عمران الآية (١٣٤).

المطلب الرابع: مظاهر الوسطية في الإسلام

تتجلى مظاهر الوسطية في جميع جوانب الإسلام ومن أهمها ما يأتي:-

(أ) التوازن بين المادية والروحية.

(ب) التوازن بين الفردية والجماعية.

وبيان ذلك في ما يأتي:

(أ) التوازن بين المادية والروحية:

من أبرز مظاهر التوازن في الإسلام التعادل بين المادة والروح وهذا يتفق مع أصل خلق الإنسان، فالإنسان مكون -أساسا- من هذين العنصرين المادة والروح، يقول العقاد: (فالروح والجسد في القرآن الكريم ملاك الذات الإنسانية تتم بهما الحياة، ولا تنكر لأحدهما في سبيل الآخر، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس للجسد حقا ليوفي حقوق الروح، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقا ليوفي حقوق الجسد، ولا يحمد منه الإسراف في مرضاة هذا ولا مرضاة ذاك)[1].

من أجل هذا كان الإسلام دين يحقق التوازن بين الحياة بشقيها المادي والروحي دون أن يطغى جانب على جانب. فلا مادية على حساب الروحانية ولا روحانية على حساب المادية، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ

---

(١) الإنسان في القرآن للعقاد صـ٢٨ ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٩٦.

(٢) سورة القصص الآية (٧٧).

كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[2].

يقول العالم النمساوي/ محمد أسد الذي اعتنق الإسلام وتسمى بهذا الاسم: (من بين سائر الأديان تجد الإسلام وحده يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته الدنيا إلى أقصى حد من غير أن يضيع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة)[3].

ومن هنا يتبين أن الإسلام أقام التوازن التام بين متطلبات البدن وهو الجانب المادي وبين أشواق الروح وهو الجانب الروحي ليتوافق ذلك مع الفطرة التي خلق الله الناس عليها قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4].

وتأتى السنة النبوية لتؤكد هذا الجانب الهام وهو التوازن بين متطلبات الروح وحاجات الجسد، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: **"أنتم الذين**

---

(1) سورة الأعراف الآية (٣٢).

(2) سورة المؤمنون الآية (٥١).

(3) الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد صـ٢٨ ط/ الجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة.

(4) سورة الروم الآية (٣٠).

قلتم كذا وكذا... أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منى"[1].

وعن أبى جحيفة وهب بن عبد الله ﷺ قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة، قال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له (أي لسلمان) طعاما فقال له: كل، فإني صائم قال (أي سلمان): ما أنا بآكل حتى تأكل: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم، فنام ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فاعط كل ذي حق حقه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: **"صدق سلمان"**[2].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال له: **"ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟"** قلت: بلى يا رسول الله قال: **"فلا تفعل، صم وأفطر ونم وقم فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينيك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا"**[3].

وعن أبى ربعي حنظلة بن الربيع الأسدي قال: انطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول

---

(1) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ١٠٤/٩ (٥٠٦٣)، ورواه الإمام مسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن طاقت نفسه إليه ووجد مؤنه ١٠٢٠/٢ (١٤٠٢).

(2) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ٢٠٩/٤ (١٩٦٨).

(3) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الصوم باب حق الضيف في الصوم ٤/ ٢١٧ (١٩٧٤)، ورواه الإمام مسلم في كتاب الصيام باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا ٨١٢/٢ (١١٥٩).

الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا فقال رسول الله ﷺ: **"والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة"**[1].

(ب) التوازن بين الفردية والجماعية:

من عظمة المنهج الإسلامي الراشد أنه يقيم التوازن والاعتدال بين الفرد والجماعة، فلا يجور الفرد على حساب المجتمع، ولا يحيف المجتمع على حقوق الفرد، وإنما تتوازن حرية الفرد ومصلحة الجماعة وتتكافأ الحقوق مع الواجبات ليقوم الناس بالقسط ويتجلى ذلك التوازن في مظاهر عدة منها:

١- شرع الإسلام حق التملك لكل فرد من أفراد المجتمع بشرط أن يتحرى الحلال في الكسب والإنفاق وأن يؤدى حق الله في هذا الكسب من الزكاة والصدقة وغيرها، فالفرد له أن يملك ما شاء من المال طالما أنه يعطى للأخرين حقوقهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[3] فقرر الإسلام بذلك حق الفرد في التملك، وحرم على المجتمع أخذ مال الفرد إلا بطيب نفس منه، بل إن الإسلام اعتبر حرمة المال كحرمة الدم

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب التوبة باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ٤/٢١٠٦ (٢٧٥٠).

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٢).

(٣) سورة التوبة الآية (١٠٣).

والعرض وقد أعلن النبي ﷺ ذلك في حجة الوداع فقال: **"إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"**[١].

٢- أقام الإسلام التوازن في مسئولية الفرد عن نفسه وعن الجماعة، فالمسئولية الفردية تجعل الإنسان مسؤولا عن عمله هو فقط، ولا يؤخذ إنسان بذنب إنسان آخر، ولا يعاقب فرد على جرم قام به غيره من أقاربه قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾[٢].

ثم وسع دائرة المسؤولية الفردية لتنتقل من الفرد إلى الغير مادام داخل في ولايته فقال ﷺ: **"كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته والمرأة في مال زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته، ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"**[٣].

وأوجب الإسلام فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تأكيدا لمسؤولية الفرد عن المجتمع والمجتمع عن الفرد فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[٤] وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ﴾[٥].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم ٢٤٠/١ (١٠٥) ورواه ابن ماجة في كتاب المناسك ١٠١٥/٢ (٣٠٥٥).

(٢) سورة المدثر الآية (٣٨).

(٣) رواه الإمام البخاري في كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن ٣٨٠/٢ (٨٩٣)، ورواه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ١٤٥٩/٣ (١٨٢٩).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٠٤)

(٥) سورة آل عمران الآية (١١٠).

وروى أبو داود أن النبي ﷺ قال: **"لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا"**[١].

وتأكيدا لهذه المسؤولية يجعل الإسلام النصيحة ركنا من أركان الدين بعد فريضة الصلاة والزكاة ففي البخاري عن جرير بن عبد الله قال: **"بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم"**[٢].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: **"الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"**[٣].

وأخرج البخاري: **"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"**[٤].

وأخرج أبو داود عن أبى بكر رضي الله عنه قال: "يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية على غير موضعها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب"**[٥].

---

(١) الحديث رواه الإمام أبو داود في الملاحم ٤/١٢١-١٢٢ (٤٣٣٦) ورواه أحمد في المسند ٥/٣٩١.

(٢) رواه البخاري في الإيمان ١/ ١٣٧ (٥٧).

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١/٧٤ (٩٥-٥٥).

(٤) الحديث رواه الإمام البخاري في الشركة ٥/١٥٧ (٢٤٩٣).

(٥) رواه أبو داود في الملاحم ٤/١٢٢ (٤٣٣٨).

٣- ومن فطرة الإسلام أنه أوجب للفرد الحفاظ على الضروريات الخمس وحماها من كل ما يضرها مساويا في ذلك بين المسلم وغيره، فقرر للفرد حرية الاعتقاد فلا يجوز أن يكره على اعتناق دين آخر بالإكراه وترك دينه بالضغط والقسر- قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾[٣].

فهو لم يدخل الآخرين في الإسلام بالقوة والإكراه والسيف وترك لهم حرية الاعتقاد بشرط رعاية أخلاق المجتمع وعقائده، فإذا ما ترك الإسلام غير المسلمين على دينهم فليس من حقهم الطعن في الإسلام وأهله، أو الجهر بالكفر بالله وبرسوله وكتابه، أو التشكيك في أصول الإسلام والإيمان، أو العمل على نشر الخلاعة والفجور داخل المجتمعات الإسلامية، فهو أعطى للفرد حريات مقيدة برعاية حقوق المجتمع وواجباته.

كما قرر الإسلام حرمة النفس فحفظ لكل فرد حق الحياة في المجتمع الإسلامي، واعتبر أنه من تعدى على نفس بالقتل فكأنه تعدى على الناس جميعا، فأوجب القصاص لأنه حق المجتمع، وقرر الدية أو العفو على أنها حق لأولياء المقتول، بل أوجب الدية والكفارة في حق القتل الخطأ قال تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾[٤]

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

(٢) سورة يونس الآية (٩٩).

(٣) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٤) سورة المائدة الآية (٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾[1].

وفى الوقت نفسه فإنه إذا اقتضى الأمر أن تبذل النفس البشرية صيانة للمجتمع المسلم واستقراره وحمايته فقد وجب على الفرد أن يقدمها.

وكذلك إذا تجاوز حدوده واعتدى على حقوق الآخرين فهدد أمن المجتمع أو استقراره فقد فقدت نفسه ما لها من عصمه وفى الحديث: **"لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة"**[2].

كما قرر الإسلام للفرد حق العرض والكرامة فلا يجوز أن يمتهن الإنسان في غيبته أو يؤذى في حضرته قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ

---

(1) سورة النساء الآية (٩٢).

(2) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الحدود ٨٤٧/٢ (٢٥٣٤).

(3) سورة الحجرات الآية (١٢).

بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1] وفى الحديث: **"كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"**[2].

كما قرر الإسلام الحنيف حرمة البيوت صيانة لحق الأفراد في الاستقلال الشخصي، فحرم الإسلام التجسس على الفرد ودخول البيت عليه بغير إذنه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾[4].

المسئولية الجماعية في الإسلام:

١-من معاني المسئولية الجماعية في الإسلام ما قرره علماء الشريعة باسم (فروض الكفاية) فهناك بعض الحرف التي يحتاج إليها المجتمع من صناعة أو زراعة أو تخصص في علم من العلوم الطبيعية فتحقيق هذه المصالح من الفروض الكفائية على المسلمين فإذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين، وإن لم يتحقق ذلك أثم الجميع.

ومن الأمثلة على ذلك أن المسلمين إذا دفعوا بأبنائهم جميعا إلى تعلم علوم الدين والتخصص فيها، وتركوا علوم الطب والهندسة يتخصص فيها غير المسلمين، وجب على الحاكم أن يعين بعض الأفراد يفرغوا أنفسهم لطلب هذه العلوم والتخصص فيها، وهذا لون من ألوان التوازن بين متطلبات الأفراد ومتطلبات المجتمع.

---

(١) سورة الحجرات الآية (١١)

(٢) والحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب البر والصلة ٤/٢٨٦-٢٨٧ (١٩٢٧) وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجة في كتاب الفتن ٢/١٢٩٨ (٣٩٣٣).

(٣) سورة النور الآية (٢٧).

(٤) سورة الحجرات الآية (١٢).

٢-ويظهر التوازن الجماعي في علاقة الحاكم بالرعية، والرعية بالحاكم، فللحاكم حق السمع والطاعة من الأفراد في غير معصية ومرتبطة بطاعة الله والرسول قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾(١). وفى الحديث: **"اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة "**(٢).

وفى البخاري عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: **"بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان"**(٣).

وفى البخاري أيضا: **"على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"**(٤).

وإذا كان حق الحاكم السمع والطاعة فإن للرعية حقوقا أيضا على الحاكم في أن يسوسهم بالعدل وأن يعطى كل ذي حق حقه وأن يحسن إليهم ويترفق بهم و لا يكلفهم بما فوق طاقتهم، وفى البخاري **"ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"**(٥).

٣-ورغم أن العبادة في الإسلام صلة بين العبد وربه إلا أن الإسلام أضفى عليها روحا جماعية فدعا إلى صلاة الجماعة ورغب فيها وجعلها أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين

---

(١) سورة النساء الآية (٥٩).

(٢) الحديث رواه البخاري في الأحكام ١٣/١٣٠ (٧١٤٢).

(٣) الحديث رواه البخاري في الفتن ١٣/٧ (٧٠٥٦).

(٤) الحديث رواه البخاري في الأحكام ١٣/١٣٠ (٧١٤٤).

(٥) الحديث رواه البخاري في الأحكام ١٣/ ١٣٥،١٣٦ (٧١٥٠).

درجة، وفى البخاري: **"صلاة الرجل في جماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة"**[١] وكلما كان عدد الجماعة أكبر كان الثواب عليها أعظم.

ولقد جعل الإسلام مناجاة العبد ربه داخل الصلاة بصيغة الجمع والدعاء فيها بصيغة الجمع قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[٢] بل إن النبي ﷺ لم يرخص لعبد الله بن أم مكتوم أن يصلى في بيته وهو رجل ضرير، فقد أخرج أبو داوود في سننه الحديث، وفى نهايته أن النبي ﷺ قال له: **"لا أجد لك رخصة"**[٣].

بل إنه ﷺ توعد المتخلفين عن الجماعة وعيدا شديدا ففي البخاري: **"والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخلف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم"**[٤].

وهناك شعائر تعبدية لابد أن تؤدى في صورة جماعية توكيدا لروح الجماعة في الإسلام مثل صلاة الجمعة في كل أسبوع، وصلاة العيدين في كل عام مرتين، وفريضة الحج أوجبها الإسلام مرة واحدة في العمر كله.

٤-وفى آداب الإسلام في السلوك والتقاليد وضع الإسلام عدة آداب اجتماعية، أخرج المسلم فيها من الدائرة الفردية الانعزالية إلى السلوك الجماعي والشعور الجماعي، ومن الأمثلة على ذلك إلقاء التحية في الإسلام وإفشاء السلام بين الناس فقال ﷺ: **"وتقرأ السلام على من**

---

(١) الحديث رواه البخاري في الأذان ١٥٤/٢ (٦٤٥).
(٢) سورة الفاتحة الآية رقم (٥).
(٣) جزء من حديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الصلاة ١٥١/١ (٥٥٢).
(٤) رواه البخاري في الإيمان ١٤٨/٢(٦٤٤) ومسلم في الإيمان ٤٥١/١ (٦٥١).

عرفت وعلى من لم تعرف"[١] ورغب في المصافحة عند اللقاء وفى الحديث **"إذا التقى المسلمان فتصافحا تحاتت ذنوبهما من بين أيديهما قبل أن يتفرقا كما تتحات الشجرة ورقها في ليلة شديدة الهواء"**[٢].

وجعل من حقوق المسلم العامة على أخيه المسلم تشميت العاطس وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة وفى الحديث **"حق المسلم على المسلم ست منها "إذا لقيته أن تسلم عليه...**[٣]

وهذه الآداب كلها تجعل الشعور الجماعي جزءا لا يتجزأ من حياة الفرد المسلم.

❁❁❁

المطلب الخامس: مميزات الوسطية في الإسلام

لقد تميزت الوسطية في الإسلام بمميزات عديدة، هذه المميزات تدل على عدالة الإسلام وخيريته فهو الرسالة العالمية الخالدة الذي يعتدل فيه كفتا الميزان مما يجعله أهلا للسيادة والخلود.

ومن أهم مميزات الوسطية في الإسلام ما يلي:-

(١) موافقتها للفطرة البشرية:

الناس جميعا مخلوقون على فطرة واحدة، وهى فطرة الإسلام، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]

---

(١) جزء من الحديث رواه الإمام مسلم في الإيمان ٦٥/١ (٦٣-٣٩).

(٢) الحديث رواه ابن ماجة بمعناه في الأدب ١٢٢٠/٢ (٣٧٠٣).

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب السلام ١٧٠٤/٤(٥-٢١٦٢).

(٤) سورة الروم الآية (٣٠).

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **"ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسان"**)[1].

فكل مولود يولد بطبع متهيء لقبول الحق ومعرفة الله ﷻ والدين الإسلامي جاء وفق هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ورصيد هذا الدين الإسلامي وجذوره عميقة في النفس البشرية، وينقشع الزيف والغطاء عن أهل الفطرة في لحظات الشدة التي تتعرى فيها النفس من خداعها، وتظهر على حقيقتها حيث لا ينفعها إلا ذلك.

فهذا الدين الإسلامي برسالته الوسطية التي تحقق التوازن للكيان الإنساني هو الذي تهتف به الفطرة وتتوجه إليه النفس لتجد فيه راحتها واستقرارها وصلاحها على الدوام.

(٢) تحقيق التوازن:

تميز الإسلام بوسطيته التي تحقق التوازن في جميع الأمور، وبين كل الأطراف، فيعطى كل ذي حق حقه المفروض له.

فالمرء لا يجهد نفسه في العبادة إجهادا يطغى على الكسب والسعي على المعاش، أو على حساب الأسرة والزوجة والأولاد، أو على حساب راحة بدنه هو، ومن ثم جاء الحديث النبوي الشريف الذي يدعو إلى التوازن في الحقوق والواجبات قال ﷺ: **"إن لبدنك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا.... فأعط كل ذي حق حقه"**[2].

وكان النبي ﷺ يربى التوازن في أصحابه عمليا إذا أخطأوا الطريق، فعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال **يا عثمان أرغبت عن سنتي قال: لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب، قال فإني أنام وأصلى، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله**

([1]) الحديث رواه الإمام البخاري في الجنائز ٣/٢٦٠ (١٣٥٨).

([2]) الحديث رواه الإمام البخاري في الصوم ٤/٢٥٥ (١٩٧٤).

يا عثمان فإن لأهلك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، فصم وأفطر، وصل ونم)[١].

ولقد وجه التوجيه السابق نفسه إلى عبد الله بن عمرو بن العاص عندما خاطبه النبي ﷺ قائلا **يا عبد الله: ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل، فقلت بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا. وزاد مسلم في رواية وإن لولدك عليك حقا)**[٢].

٣- التخفيف والتيسير:

فالتكليف في العبادات الإسلامية روعي فيه الاعتدال بحيث لا تتجاوزه طاقة المكلف، ولا يشق على الإنسان أداؤها قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٤].

وطبيعة النفس البشرية تميل إلى الجوانب الدنيوية، وتركن إلى اللذات الحسية، فكانت حكمة المشرع ورحمته بخلقه أن تكون طبيعة هذا الدين الخاتم وسطية بل تميل إلى التخفيف بسبب الضعف البشرى قال تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾[٥].

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة ٤٨/٢ (١٣٦٩).

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في الصوم ٢٥٦/٤ (١٩٧٥) ورواه الإمام مسلم في كتاب الصيام ٨١٤/٢ (١٨٣-١١٥٩).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٤) سورة البقرة الآية (١٨٥).

(٥) سورة الأنفال الآية (٦٦).

فيستطيع كل إنسان أن يأتي بالعبادات والشعائر دون مشقة أو عسر فالصلوات الخمس، وضعها الله ﷻ في أوقات متفرقة من الليل والنهار فليست في وقت واحد من الليل أو النهار بل هي وسط في ذلك.

كما أن آداءها حسب الاستطاعة فمن عجز عن القيام صلى قاعدا، ومن عجز عن القعود صلى مضطجعا وهذا لون من ألوان التيسير والتخفيف بالإضافة إلى أنها تجمع وتقصر في السفر كما في الحديث **"إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه"**[1].

فلا يجوز في الإسلام أن ينشغل الإنسان بأعباء حياته وينسى حقوق ربه التي أوجبها عليه، وأعانه على القيام بها ومن الآيات القرآنية التي تؤكد أن الإسلام يوازن بين مطالب الجسد وأشواق الروح وبين الدنيا والآخرة قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[2].

فالآية تدل على أنه ليس في الإسلام انفصال بين العمل للدين والعمل للآخرة، كما انه ليس فيه تغليب للجسد على الروح ولا للروح على الجسد.

❁❁❁

(1) الحديث رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٥٦٠٠) ط/ العالمية.

(2) سورة القصص الآية (٧٧).

المبحث السادس
الواقعية في القرآن الكريم

من أبرز الخصائص المهمة للدعوة الإسلامية، أنها واقعية في عقيدتها وشريعتها وأخلاقها، فليس فيها مسألة أصلية أو فرعية إلا وتتجاوب مع الفطرة الإنسانية، وتوافق الإنسان فردا كان أو جماعة، وتحقق جميع المصالح، وتنأى عن جميع المفاسد، يلحظ ذلك كل من يتمعن في جزئياتها وكلياتها.

فليس عجبا أن يحتفي القرآن الكريم بالواقعية في جميع مجالاته، لأنه يربط بين الإنسان وبين الوجود كله، ماديا ومعنويا، فتأتى جميع الأحكام، والتشريعات، والأخلاق، التي يعرضها القرآن الكريم متسمة بالبساطة، والوضوح، والتيسير، والواقعية، فيصبغ الحياة كلها بصبغته قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[2].

وسوف أتناول خصيصة الواقعية في القرآن الكريم من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: واقعية العقيدة في القرآن الكريم.

المطب الثاني: واقعية الشريعة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: من دلائل الواقعية في التشريع الإسلامي.

المطلب الرابع: واقعية الأخلاق في القرآن الكريم.

❁❁❁

---

(١) سورة البقرة الآية (١٣٨).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٣).

المطلب الأول: واقعية العقيدة في القرآن الكريم[١]

العقيدة الإسلامية عقيدة واقعية؛ لأنها لم ترض لنفسها أن تكون حبيسة الوجدان، منفصلة عن الحياة، منعزلة عن واقع المجتمع.

كما أنها ترفض أن تعبر عن نفسها تعبيرا مريضا هزيلا في مجموعة من الأخلاق النظرية، مكتفية بفتح حوار حول تلك القضايا التي لا هدف لها، ولا طائل تحتها إلا الثرثرة والهراء.

وكذلك ترفض العقيدة أن تتمثل في قطاع بسيط من الحياة، تاركة معظم القطاعات لغيرها من شرائع البشر، لتضبط مسيرتها، وتنظم شئونها، لأن هذه العقيدة تأبى أن يوجد هذا الانفصال.

وتتجلى الواقعية في آفاق القرآن الكريم واضحة، لا تحتاج إلى تكلف، أو اعتساف، بل إنه لم يتسع كتاب كما اتسع القرآن الكريم حين تحدث عن واقعية العقيدة، فقد ارتفع بها في أسمى آفاق الوحدانية والتنزيه، وعرضها بمختلف الأساليب، عرضا واقعيا بعيدا عن الخرافة والكهانة.

فمن واقعية العقيدة أن القارئ للقرآن الكريم يرى آياته البينة الواضحة، تفصل وظائف الذات العلية في هذا الكون.

١ - فالقرآن لم يترك الإنسان يهيم على وجهه بين الآراء المتضاربة، والعقائد الباطلة، وإنما أراح المسلم حينما أعطاه عقيدة تتجاوب مع الفطرة، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[٢] وقال تعالى:

---

(١) انظر تفصيل واقعية العقيدة في القرآن الكريم في (واقعية المنهج القرآني) للشيخ/ توفيق محمد سبع صـ٥٣ وما بعدها / سلسلة مجمع البحوث الإسلامية العدد (٧٠) شوال سنة ١٣٩٣هـ أكتوبر سنة ١٩٧٣م.

(٢) سورة الإخلاص الآيات (١-٤).

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[2].

٢- ومن واقعية العقيدة الإسلامية أن القرآن الكريم قد حفل بآيات كثيرة، تتحدث عن أسماء الله وصفاته، حتى يستطيع الإنسان أن يفرق بين صفات الخالق والمخلوق، فلا يقع في التشبيه أو التجسيم في الذات الإلهية، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4].

٣- وفى القرآن الكريم آيات قرآنية كثيرة، فيها لمسات كونية، تدل الناس على وجود الله ﷻ ووحدانيته من واقع الكون والحياة، وكلها أدلة نابضة بالحركة، ناطقة بقدرة الله الشاملة، والعلم الواسع، وإرادته القوية، وفيها لمسات كونية رقيقة، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا

---

(١) سورة البقرة الآية (١٦٣).

(٢) سورة الشورى الآية (١١).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

(٤) سورة الحشر الآيات (٢٢-٢٤).

عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2].

وهذه الآيات في القرآن الكريم كثيرة، وكلها تصور وحدانية الله في الذات والصفات، وتدحض القول بتعدد الآلهة، وتحذر من الركون لغير الله، وتبين أن الله ﷻ له القدرة المطلقة، والعلم الواسع.

٤- وفى القرآن الكريم آيات تتناول الحوار مع أهل الكتاب عن الذات الإلهية، فلقد دعاهم الرسول ﷺ إلى التوحيد الخالص، وعدم الشرك مع الله ﷻ بآلهة أخرى، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3] وقال

([1]) سورة آل عمران الآيتان (١٩٠-١٩١).

([2]) سورة النمل الآيات (٥٩-٦٤) وانظر سورة الروم الآيات (٢٠-٢٧) وسورة المؤمنون الآيات (٨٤-٨٩).

([3]) سورة آل عمران الآية (٦٤).

تعـــالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

٥- من واقعية العقيدة الإسلامية الدعوة إلى الإيمان بالقضاء والقدر لما لهذا الإيمان من أثر يحدث التوازن في حياة المسلم فلا يهتز ولا يضطرب، قال تعـالى: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[3].

لقد أراح القرآن الكريم العقل البشـرى، وجنبـه مغبـة التصـورات الباطلـة، والمتاهـات المظلمة، حين أعطاه تصورا واقعيا شافيا بالنسبة لمعرفة الله ﷻ ذاتا وأفعالا وصفاتٍ.

❁❁❁

المطلب الثاني: واقعية التشريع في القرآن الكريم

المقصود بواقعية التشريع في القرآن الكريم، ملاءمته لطبيعة الإنسان فردا كـان أو جماعـة، ولطبيعة الحياة والواقع، سواء كان التشريع من قبل العبادات أو المعـاملات، أو كـان مرتبطـا بالحلال والحرام، أو متعلقا بحقوق الإنسان، أو خاصا بالحدود والقصـاص، ففـي كـل هـذه النواحي جاء التشريع الإسلامي واقعيا يحقق المصلحة العليا للفرد والجماعة.

ولقد راعى القرآن الكريم طبيعة الإنسان وحاجته إلى الغذاء لروحه، فشرع له العبادات؛

---

(١) سورة آل عمران الآية (٦١).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٦٦).

(٣) سورة البقرة الآية (٥١).

ليروي ظمأه ويشبع غلته، وجاءت تلك العبادات محدودة لا تقطع الإنسان عن مجتمعه، فمثلا الحج مرة واحدة في العمر، والصيام أياما معدودات، والزكاة في الحول مرة، والصلوات خمس صلوات في اليوم والليلة.

ولم تأت تلك العبادات على لون واحد، بل نوعها الإسلام، فهناك عبادات بدنيه، وهناك عبادات مالية، وهناك عبادات أخرى بدنية ومالية، وهناك باب آخر لمن أراد أن يتطوع.

وبذلك راعى الإسلام في تشريعه للعبادات طبيعة الإنسان، وحدود طاقته ووسعه، حتى لا يقع في الملل أو ينقطع عن العبادة بالمرة.

وهذه بعض الأمثلة التي تدل على واقعية الإسلام في تشريعه للإنسان في جميع مجالات حياته.

(١) واقعية الإسلام في تعامله مع الغريزة الجنسية:

لقد ركب الله ﷻ في الإنسان عددا من الغرائز والدوافع التي تؤثر في حياته، ومن بين هذه الغرائز الغريزة الجنسية التي من شأنها أن تطلب موضعا تتنفس فيه وتشبع حاجتها.

وقد وقف الإسلام منها موقفا واقعيا لتؤدي دورها، فلم يطلق لها العنان تعربد وتخرب كيف شاءت بلا حدود ولا زواجر شأن الحيوان، كما أنه لم يكبتها ويستقذرها ويصطدم بها، وفى ذلك تعطيل لها ومصادمة لسنة الحياة، وإنما جاء موقف الإسلام موقفا واقعيا رفض فيه الانطلاق المجنون، كما رفض الكبت المرذول، وشرع لها متنفسا حث عليه ورغب فيه وهو الزواج، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾[1].

([1]) سورة النور الآية (٣٢).

كما اعتبره الإسلام آية من آياته فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1] بل إن الرسول ﷺ دعا الرجل الذي يرى امرأة تعجبه أن يعاود أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه، ففي الحديث **"إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه"** وفى لفظ آخر عند مسلم **"إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها، فإن ذلك يرد ما في نفسه"**[2].

واعتبر الإسلام ذلك طاعة وقربى لله ﷻ يقول ﷺ: **"وفى بضع أحدكم صدقة"**[3]. وتقديرا لخطر هذه الغريزة يسر الإسلام السبيل إلى تنفيسها، فدعا إلى تيسير المهور، فقد خطب عمر بن الخطاب ﷺ فقال: (ألا لا تغالوا بصداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي ﷺ ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أُصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقيه من وَرِقْ)[4] أي: من فضة.

فإذا لم يكتف الإنسان بواحدة، فقد أباح الإسلام له التعدد بشروطه، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾[5]

([1]) سورة الروم الآية (٢١)

([2]) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب النكاح ٢/ ١٠٢١ (١٠-١٤٠٣).

([3]) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأذان ٣٧٨/٢ (٨٤١) ورواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ٤١٧/١ (١٤٢-٥٩٥).

([4]) الحديث رواه الحاكم في المستدرك ١٧٥/٢، وكشف الخفاء للعجلوني ٢٦٩/١(٨٤٤) ط/ مكتبة الغزالي دمشق، ومؤسسة مناهل العرفان بيروت.

([5]) سورة النساء الآية (٣).

فإن لم يجد طولا لينكح به الحرة، فما ملكت يمينه، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ﴾[1].

هذان هما المتنفس الوحيد للغريزة الجنسية، وما عداه عدوان حرمه الله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾[2].

وبهذا التشريع القرآني تتجلى واقعية الإسلام في تعامله مع الفرد في تعريف غريزته الجنسية، ومراعاة اختلاف القدرات، وتنوع الرغبات، فلم يصطدم مع رغبة فطرية، كما أنه لم يجعل الناس نمطا واحدا، وإنما جاء القرآن الكريم متجاوبا مع رغبة الإنسان، واختلاف بنى جنسه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾[3].

فإذا لم يجد الإنسان مالا وباءة، فعليه أن يستعفف، قال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[4] وسبيله إلى الاستعفاف الصيام، قال ﷺ: **"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"**[5].

---

(1) سورة النساء الآية (٢٥).
(2) سورة المؤمنون الآيات (٥-٧).
(3) سورة هود الآيتان (١١٨-١١٩).
(4) سورة النور الآية (٣٣).
(5) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الصيام ٨/٩ (٥٠٦٥) فتح الباري، ورواه الإمام مسلم في النكاح ١٠١٨/٢ (١-١٤٠٠).

ومن واقعية التشريع الإسلامي في تعامله مع الغريزة الجنسية، تحريمه لكل ما يثير الغريزة أو يحركها، ومن هذه الأمور ما يلي:

١- تحريم التبرج قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[١].

٢- النهى عن الخلوة بالأجنبية، قال ﷺ: **"إياكم والدخول على النساء، قال رجل: يا رسول الله أرأيت الحمو؟[٢] فقال ﷺ الحمو: الموت"**[٣].

٣- النهى عن مصافحة المرأة الأجنبية، تقول السيدة عائشة -رضي الله تعالى عنها-: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة كان يملكها"[٤].

٤- النهى عن التخنث والترجل قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: **"لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال"**[٥]

٥- النهى عن خروج المرأة متعطرة قال ﷺ: **"إذا استعطرت المرأة فخرجت على القوم ليجدوا ريحها، فهي كذا وكذا"** قال قولا شديدا، وفى رواية للنسائي **"فهي زانية"**[٦].

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٣).

(٢) الحمو: أقارب الزوج من غير المحارم مما يحل للزوجة الزواج منه إذا لم تكن متزوجة. انظر فتح الباري ٣٤٤/١١.

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في النكاح ٢٤٢/٩ (٥٢٣٢). ورواه الإمام مسلم في كتاب السلام ١٧١١/٤ (٢٠-٢١٧٢).

(٤) الحديث رواه الإمام الترمذي في سننه (٣٣٠٦)، والآية رقم (١٣) من سورة الممتحنة.

(٥) الحديث رواه الإمام أحمد ٣٣٩/١، وانظر المعجم الكبير للطبراني ٢٥٢/١١.

(٦) الحديث رواه الإمام مسلم في الصلاة ٣٢٨/١ (١٤٢-٤٤٣)، رواه الإمام النسائي ٢٥٨/٨.

٦- النهى عن الخضوع بالقول، قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾[1].

٧- النهى عن الاختلاط والمزاحمة، لما روى عن النبي ﷺ أنه خرج من المسجد فاختلط النساء مع الرجال في الطريق، فقال رسول الله ﷺ: **"استأخرن فليس عليكن أن تحققن الطريق عليكن بحافة الطريق"** وفى رواية **"ليس للنساء وسط الطريق"**[2].

٨- النهى عن سفر المرأة وحدها دون محرم، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال **"لا تسافر المرأة ثلاثة إلا ومعها ذو محرم"** وفى رواية أخرى **"لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعها ذي محرم"**[3].

وبهذه الضوابط الشرعية سلك الإسلام مسلكا فريدا في حماية المجتمع، وطهارة أفراده، من الفاحشة حيث سد عليهم جميع المنافذ الموصلة إلى الزنا، فوضع هذه التدابير السابقة ليحفظ المجتمع من الفوضى والانحلال.

(٢) واقعية الإسلام في مشروعية تعدد الزوجات:

من أبرز المسائل التي تدل على واقعية التشريع الإسلامي مسألة تعدد الزوجات، الذي يعد مفخرة من مفاخر الإسلام، لأنه يحل مشكلات معقدة تتعرض لها الأمم والأفراد، وليس لها من علاج سواه، فهناك أسباب فردية وأخرى جماعية تدعوا إلى التعدد، أما الفردية فهي:-

١- أن يظهر بعد الزواج أن الزوجة عقيم لا تلد، والزوج له رغبة عارمة في الإنجاب.

---

(١) سورة الأحزاب الآية (١٣٢).

(٢) الحديث رواه الإمام أبو داود في سننه ٣٦٩/٤ (٥٢٧٢).

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في الحج ٢/ ٩٧٥ (٤١٣-١٣٣٨)

٢- أن تمرض الزوجة مرضا يحول بينها وبين صلاحيتها الجسدية، والزوج في حاجة لأن يعف نفسه.

٣- أن يموت الزوج تاركا زوجته وحيدة دون عائل، فيخشى عليها أن تهوى إلى الرذيلة أو الفاقة، فإذا ضمها أحد الرجال إلى زوجاته فهذا عمل مندوب يؤجر عليه.

٤- أن يقع رجل في هوى امرأة ثانية ويتعلق قلبه بها، ولا سبيل لاجتماعهما المباح إلا بالزواج بها.

٥- قد يشتد كره الرجل لزوجته، وتستنفذ كل الوسائل لحمله على حبها وإبقائها، أو لتقدم سنها وعدم وجود عائل لها.

٦- قد يطرأ على الرجل سفر لا يتيسر معه اصطحاب زوجته، ويكون السفر لمدة طويلة، والزوج يخشى على نفسه من الفتنة والانحراف.

أما الدواعي والحالات الجماعية فمنها:

١- أن يتعرض مجتمع ما لزيادة النساء على الرجال زيادة ملحوظة، بحيث يظل عدد كثير من النساء بلا زواج إذا اقتصر الرجل على زوجة واحدة، وهؤلاء إما أن يستعففن وإما أن ينحرفن.

٢- أن يتعرض مجتمع ما لحرب يقتل فيها الرجال، فتترمل الزوجات ويصبحن بلا عائل[1].

هذه الأمور السابقة وغيرها تدل على مراعاة الإسلام لواقع الناس، أفرادا أو جماعات، فشرع التعدد بضوابطه الشرعية، يقول د/ على عبد الواحد وافى، مبينا مراعاة الإسلام لتلك

(1) انظر المنتخب في تفسير القرآن الكريم صـ١٠٦ ط/ مجمع البحوث الإسلامية ط/ الحادية عشرة سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

الظروف: (لما كان السير على نظام وحدة الزوجة مع هذه الأوضاع العامة، والضرورات الخاصة، يفضى لامحالة إلى الكوارث الاجتماعية الخطيرة، ولما كان الدين الإسلامي دينا عاما لجميع الشعوب، وكان حريصا على وقاية الفرد والمجتمع من كل ما يؤدى إلى ضرر أو ضرار، لذلك أباح التعدد في الحدود التي نص عليها القرآن الكريم، فأزال العنت والحرج من حياة الأفراد والأسر، وحقق الصالح العام للنوع الإنساني نفسه، ومنح المجتمعات الإنسانية رخصة تتيح لها تحقيق التوازن بين الجنسين، واتقاء الأضرار التي تنجم عن اختلال هذا التوازن)[1].

ويقول أ/ سيد قطب مبينا واقعية الإسلام في تشريعه لتعدد الزوجات أمام مواجهة تلك الظروف وغيرها: (إن ثرثرة طويلة وعريضة تتناثر حول حكاية (تعدد الزوجات) في الإسلام، فهل هي حقيقة تلك الآفة الخطيرة في حياة المجتمع؟

إنني أنظر فأرى كل مشكلة اجتماعية قد تحتاج إلى تدخل من التشريع إلا مسألة تعدد الزوجات، فإنها تحل نفسها بنفسها... إنها مسألة تتحكم فيها الأرقام، ولا تتحكم فيها النظريات ولا التشريعات.

في كل أمة رجال ونساء، ومتى توازن عدد الرجال مع عدد النساء؛ فإنه يتعذر عمليا أن يحصل رجل واحد على أكثر من امرأة واحدة.

فأما حين يختل توازن الأمة فيقل عدد الرجال عن النساء كما في الحروب والأوبئة التي يتعرض لها الرجال أكثر، فهناك فقط يوجد مجال لأن يستطيع الرجل تعديد زوجاته، فلننظر

---

(1) بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الإسلام د/على عبد الواحد وافى صـ٢٤ وما بعدها.

إذا إلى هذه الحالة، وأقرب الأمثلة لها الآن (ألمانيا) حيث توجد ثلاث فتيات مقابل كل شاب، وهى حالة اختلال اجتماعي، فكيف يواجهها المشرع؟!.

إن هناك حلا من حلول ثلاثة:

الحل الأول: أن يتزوج كل رجل امرأة، وتبقى اثنتان لا تعرفان في حياتهما رجلا، ولا بيتا ولا طفلا ولا أسرة.

الحل الثاني: أن يتزوج كل رجل امرأة فيعاشرها معاشرة زوجية، وأن يختلف إلى الأخريات أو واحدة منهما لتعرف الرجل دون أن تعرف البيت أو الطفل، فإذا عرفت الطفل عرفته عن طريق الجريمة، وحملته ذلك العار والضياع.

الحل الثالث: أن يتزوج الرجل أكثر من امرأة، فيرفعها إلى شرف الزوجية، وأمان البيت، وضمان الأسرة، ويرفع ضميره عن لوثة الجريمة، وقلق الإثم، وعذاب الضمير، ويرفع المجتمع عن لوثة الفوضى، واختلال الأنساب.

والإسلام حين أباح التعدد لم يبحه هكذا بلا قيد ولا شرط، فأي الحلول أليق بالإنسانية، وأحق بالرجولة، وأكرم للمرأة ذاتها وأنفع؟!)[1].

إن من واقعية الإسلام في تشريعه للتعدد أن قيده بطائفة ثقيلة من الشروط.

فشرط لذلك أن يفرد الزوج للزوجة الثانية، أو الثالثة، أو الرابعة، سكننا لائقا مستقلا، وأن يسوى بينهم في الإنفاق والمبيت، وقد بين د/ محمد سعيد رمضان البوطي الحكمة من ذلك فقال: (أولا أن تتغلب العدالة في علاقة الزوج بزوجته على مشاعر الغيرة، التي من

---

(١) السلام العالمي في الإسلام أ/ سيد قطب صـ٧٣، وانظر الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت صـ١٩٧، دار الشروق ط/ السادسة عشر سنة ١٤١٠هـ-سنة ١٩٩٠م.

شأنها أن تنجم بينهم، وأن توجهها إلى تسابق إيجابي لكسب مودة الزوج، ومن ثم لإشاعة أسباب السعادة في البيتين.

الحكمة الثانية: أن لا يقدم على التعدد إلا لضرورة تدفعه إلى ذلك، لأن الذي يعدد بلا ضرورة من قبيل الترف مثلا سيجد تلك الشروط تنغص عليه أحلامه التي لا ضرورة لها، أما الذي تدفعه الضرورة فإنها تخفف من أعباء تلك الشروط، وتجعل الزوج يشعر بأن تحمله للشروط أيسر وأهون من انزلاقه إلى الفاحشة، أو تحطيمه لحياته الزوجية)[١].

وقد فرق الإسلام بين العدل المستطاع، والعدل الذي لا يستطاع، فقد جاء التشريع بالعدل بين الزوجات في غير الأمور القلبية، والعواطف الوجدانية، يقول ﷺ: **"اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلومني في ما تملك ولا أملك"**[٢] وهذا انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٣] لأن الإنسان يعجز عن توزيع عواطفه بالقسط.

كما تبدو واقعية الإسلام في تشريعه التعدد في تقييده له بأن يكون في حدود اثنين، أو ثلاث، أو أربع، قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[٤].

وعن ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- **"أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال النبي ﷺ: اختر منهن أربعا"**[٥].

---

(١) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني د/ محمد سعيد رمضان البوطى صـ١٣١-١٣٢ بتصرف، دار الفكر المعاصر بيروت الأولى سنة ١٤١٧هـ-سنة ١٩٩٦م.

(٢) الحديث رواه الإمام ابن ماجة في كتاب النكاح باب القسمة بين النساء ٦٣٣/١ (١٩٧١).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٤) سورة النساء الآية رقم (٣).

(٥) الحديث رواه ابن ماجة في النكاح ٦٢٨/١ (١٩٥٣)، والترمذي في النكاح ٤٣٥/٣ (١١٢٨).

وعن قيس بن الحارث قال: أسلمت وعندي ثماني نسوة، فأتيت النبي ﷺ: **"فقال اختر منهن أربعا"**[1].

ولعل الحكمة في التقييد بأربع؛ لأن الرجل لا يستطيع أن يعدل بين أكثر من ذلك.

ولعل سائلا يسأل، إذا كان تعدد الزوجات تدعو إليه الضرورة بالنسبة للرجل فلماذا لا تتعدد الأزواج بالنسبة للمرأة؟

والجواب أن تعدد الزوجات لا يترتب عليه أي خدش في مصلحة الأسرة، كما لا يفضي إلى أي اختلاط في النسب.

أما الدعوة إلى تعدد الأزواج، فإن ذلك لو حدث لعصف بالأسرة، واختلطت الأنساب، وانتشرت الأمراض، وعمت العقد النفسية، واجتاز ذلك المجتمع كله، وكل ذلك نظير متعة إضافية تحتاج إليها الزوجة، وهذا لا يمكن أن تقبله الشريعة الإسلامية، ولا المنطق الحكيم، لأن الشريعة الإسلامية تقوم على رعاية المصالح التي تنفع الفرد، وتنهض بالمجتمع، ومع ذلك فإن الشريعة الإسلامية لم تترك المرأة هكذا، وإنما قدمت لها الحل الذي لا يعود بالضرر على الفرد، أو المجتمع، وهو (أن تطلب الفراق من زوجها التي لم تنل منه حقها الطبيعي الذي شرع الزواج سبيلا إليه؛ لتتزوج من رجل غيره، وستجد من القضاء الشرعي كل تأييد وعون، وبذلك ترعى حقها المشروع في المتعة، دون أن تهدر بذلك مصلحة ضرورية من مصالح المجتمع)[2]. ومما سبق يتضح أن تعدد الزوجات بضوابطه وشروطه أبرز دليل على واقعية التشريع الإسلامي.

([1]) الحديث رواه أبو داود في الطلاق ٢/٢٧٢ (٢٢٤١).

([2]) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني د/ محمد سعيد رمضان البوطى ١٣٤، مصدر سابق.

(٣) واقعية الإسلام في معالجته لنشوز المرأة:

لما كانت النساء يختلفن في الطباع، فمنهن من يؤثر فيها الوعظ والتخويف، أو التهديد والتحذير، ومنهن من يؤثر فيها الهجر ويشق عليها، ومنهن من لا يؤثر فيها غير الضرب، فقد جاء علاج النشوز في القرآن الكريم بالأساليب الثلاثة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ ﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة يبدأ العلاج للنشوز بالكلمة الطيبة، والموعظة المؤثرة، والتوجيه الحكيم، فإن لم تجد هذه الوسيلة، تأتى الوسيلة الثانية وهى الهجر في المضجع؛ وذلك في محاولة لإثارة غريزة الأنثى، عسى أن تنقاد وتنصاع، وإلا يأتي التأديب باليد، وهو علاج يجدي في بعض الزوجات بضوابطه الشرعية.

وينبغي على المسلم أن يراعى هذا الترتيب، وأن يتدرج من الضعيف إلى القوى، ثم إلى الأقوى، فإن حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ولم يتجاوزه إلى غيره.

قال ابن العربي: (ومن أحسن ما سمعت في تفسير هذه الآية، قول سعيد بن جبير فقد قال: يعظها فإن هي قبلت وإلا هجرها، فإن هي قبلت وإلا ضربها، فإن هي قبلت وإلا بعث حكما من أهلها وحكما من أهله فينظران ممن الضرر، وعند ذلك يكون الخلع)[2].

---

(1) سورة النساء الآية (٣٤).

(2) تفسير آيات الأحكام لابن العربي ١/١٢٠ ط/ دار السلام.

وعن على بن أبى طالب ﷺ قال: (يعظها بلسانه، فإن انتهت فلا سبيل له عليها، فإن أبت هجر مضجعها، فإن أبت ضربها، فإن لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين)[1].

ولابد هنا من كلمة، يرد بها على أعداء الإسلام، الطاعنين في دين الله، الذين يزعمون أن الإسلام أهان المرأة، حين أذن للرجل أن يضربها، ناسين أو متناسين أن الضرب غير المبرح هو العلاج الأخير، والدواء المر الذي يؤخذ عند الضرورة لمن لم ينفع معها الوعظ، والإرشاد، ولا الهجر في المضجع.

والمتأمل في حال بعض النساء الآن، يرى أن منهن من لا يقومهن إلا التأديب، فمسألة الضرب ليست إلا طريقا من طرق الإصلاح في الحالات الشاذة.

يقول الأستاذ/ رشيد رضا: (وأما الضرب فاشترطوا فيه أن يكون غير مبرح، والتبريح هو الإيذاء الشديد، وقد روى عن ابن عباس تفسير الضرب بالسواك ونحوه، أي: كالضرب باليد، أو بقصبة صغيرة وهكذا.

ثم قال: يستكبر بعض مقلدة الإفرنج في آدابهم من مشروعية ضرب المرأة الناشز، ولا يستكبرن أن تنشز وترتفع عليه فتجعله هو رئيس البيت مرؤوسا بل محتقرا، وتصر على نشوزها، حتى لا تلين لوعظه ونصحه، ولا تبالي بإعراضه وهجره، ولا أدرى بم يعالجون هؤلاء النواشز؟ وبما يشيرون على أزواجهن أن يعاملونهن به؟

إن مشروعية ضرب النساء ليست بالأمر المستنكر في العقل أو الفطرة فيحتاج إلى التأويل، فهو أمر يحتاج إليه في حال (فساد البيئة) وغلبة الأخلاق الفاسدة، وإنما يباح إذا رأى الرجل أن رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه، وإذا صلحت البيئة، وصار النساء يعقلن النصيحة،

---

(1) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن للشيخ محمد على الصابوني ٤٤٢/١. ط/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الأولى سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

ويستجبن للوعظ، أو يزدجرن بالهجر، فيجب الاستغناء عن الضرب، فلكل حال حكم يناسبها في الشرع، ونحن مأمورون على كل حال بالرفق بالنساء)[١].

ويقول د/ عبد العظيم المطعني: (النساء على أربعة مستويات:

١- نساء لا يؤدبن لأنهن مؤدبات، فهن ذوات حظوة عند بعولتهن.

٢- نساء يؤدبن بالوعظ المجرد، وهن يلين المستوى الأول في الكرامة.

٣- نساء يؤدبن بالهجر في المضاجع.

٤- نساء يؤدبن بالضرب، لأنهن بليدات الحس، سيئات الطبع، فهؤلاء هن اللاتي شرع الإسلام ضربهن، ومن يلم الإسلام على هذا التشريع فهو قصير النظر، قليل البصر، ضحل الفكر، عديم الفقه في أمور الدنيا والدين)[٢] هذا إذا كان النشوز من جهة الزوجة.

أما إذا كان النشوز من جانب الزوج أو إذا خافت المرأة أن يطلقها زوجها فتعالجه المرأة بما يأتي:-

١- أن تطلب منه إبقاءها في عصمته وتتنازل عن حقها في المبيت أو النفقة، فعن ابن عباس قال: (خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله لا تطلقني، وأسكني، واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت هذه الآية ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾[٣].

---

(١) تفسير المنار ٧٤/٥ بتصرف واختصار.

(٢) المرأة في عصر الرسالة بين واقعية الإسلام وأوهام المرجفين ١٧٣-١٧٤ دار الفتح للإعلام العربي سنة ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٣) سورة النساء الآية (١٢٨)، وانظر تفسير ابن كثير ٥٦٢/١.

يقول الأستاذ/ رشيد رضا: (أي فلا جناح عليها ولا عليه في الصلح الذي يتفقان عليه بينهما، كأن تسمح له ببعض حقها عليه في النفقة أو المبيت معها، أو في حقها كله، أو فيهما، أو في أحدهما لتبقى في عصمته مكرمة)[1].

وإما أن تطلب الطلاق مع تنازلها عن كل ما لها قبله من حقوق، أو عن بعضها، كما تشير الآية السابقة.

والمتأمل في هذا العلاج السابق، يلحظ واقعية الحل الإسلامي إذا كان النشوز من جانب الزوج، يقول د/ محمود محمد عماره: (يقوم الحل الإسلامي هنا على ركيزتين:

الأولى: جماعية القيادة في سفينة واحدة على أثباج بحر غاضب، فمن حق الزوجة أن تتعاون مع زوجها، بحثا عن حل ينقذ السفينة من غرق لن يستثنى منه أحدا، إن للسلطان نشوة تستخف أصلب النفوس كما تستخف الخمر أقوى الرؤوس، وإذا فليس هناك رجل مهما بلغت حكمته، أو قوة خلقه جديرا بأن يؤمن على سلطان مطلق.

الثانية: أنه لا يفرض الحب بالقانون على كلا الزوجين، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، لكنه فقط يثير في أعماق النفوس بقايا من الود القديم، مبعثرة هناك في الحنايا، يوقظها لتتنامى وتبعث من جديد، فإذا لم يكن حب، فما كل البيوت بنيت على الحب، ويكفى المروءة حارسا على البيت)[2].

([1]) تفسير المنار ٣٦٣/٥.

([2]) نحو أسرة بلا مشكلات د/ محمود محمد عمارة صـ١٣٤-١٣٥ دار المنار، ط/ الأولى سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

وإذا كان النشوز بين الزوجين راجعا إليهما معا، فقد جاء علاجه في القرآن الكريم علاجا واقعيا يوضحه قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

وتتجلى الواقعية في اشتراط كون الحكمين من الأهل، لأن الأقارب أعرف بحال الزوجين، وأحرصهم على الإصلاح ولم الشمل، ورأب الصدع، وأبعدهم عن التهمة، والميل إلى أحد الزوجين، يقول الألوسي: (وخص الأهل لأنهم أطلب للصلاح، وأعرف بباطن الحال، وهذا على وجه الاستحباب وإن نصب من الأجانب جاز)[2].

ومن هنا يتضح واقعية الإسلام في معالجته النشوز الأسرى، إذا كان سببه الزوجة، أو الزوج، أوهما معا.

(٤) واقعية الإسلام في تشريعه للطلاق:

إن اختلاف الزوجين ونزاعهما قد يمتد ويستعصى على العلاج، ولا تنجح محاولات الإصلاح، فماذا يفعل الإنسان إذا نخر السوس في عضو منه، وأصبح يهدد حياته؟

إن الضرورة تقضى ببتر هذا العضو علاجا من خطر محقق، ولن يغض من فكرة التداوى أن يخطئ مريض في تعاطى الدواء، أو يسرف فيه، وهكذا شرع الإسلام الطلاق ضرورة لا مناص منها، ولا محيد عنها.

وكيف يُحرم الطلاق والأسرة تعيش في جو مليء بالمنغصات؟ وكيف يطلب من الزوج أن يصبر على امرأة لا ينفع معها علاج؟ أم كيف تكلف امرأة أن تعاشر زوجا لا دين له ولا

---

(١) سورة النساء الآية (٣٥).

(٢) روح المعاني للألوسي ٢٦/٥ دار الفكر العربي.

خلق؟ لذلك شرع الإسلام الطلاق مراعاة لتلك الحاجات، وطردا لتلك المفاسد، التي تحيل رحمة الأسرة إلى نقمة، وتقلب جنتها نارا تلظى، فكان لزاما أن يعالج ذلك بالدواء المر، وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على مشروعة الطلاق.

فمن نصوص القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠ ﴾[3].

وأما من السنة عن عائشة ﵂ أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: **"لقد عذت بعظيم ألحقي بأهلك"**[4].

وفى رواية أخرى عن أبى أسيد الساعدي ﵁ قال: فلما دخل عليها النبي ﷺ قال: هبي نفسك لي، قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال قد عُذت بمعاذ، ثم خرج علينا فقال يا أبا أسيد: أكسها رازقين وألحقها بأهلها[5].

---

(1) سورة البقرة الآية (٢٢٩).

(2) سورة البقرة الآية (٢٣٦).

(3) سورة النساء الآية (١٣٠).

(4) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الطلاق ٢٦٨/٩ (٥٢٥٥).

(5) البخاري في الموضع السابق.

فقد دل هذا الحديث على أن الطلاق قد وقع من النبي ﷺ لما صدر عن هذه المرأة من سوء أدب في حديثها مع النبي ﷺ فدل ذلك على مشروعيته، ولذلك بوب الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله: (باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق)[1].

وهذا يكشف عن مشروعية الطلاق في الإسلام، وقد أفاض العلماء في الكشف عن أسرار واقعية الإسلام في تشريعه للطلاق.

فيذكر الإمام ابن القيم بيان الحكمة من تحريم المرأة بعد الطلاق الثالث إلا إذا نكحت زوجا غيره فيقول: (إذا عُلم أنها بعد الثالثة أنها لا تحل له إلا بعد تربص ثلاثة قروء، وتزوج بزوج راغب في نكاحها وإمساكها، وأن الأول لا سبيل له إليها حتى يدخل بها الثاني دخولا كاملا، يذوق فيه كل واحد منهما عسيلة صاحبه، بحيث يمنعها ذلك من تعجيل الفراق، ثم يفارقها بموت أو طلاق أو خلع، ثم تعتد من ذلك عدة كاملة، تبين له حينئذ يأسه بهذا الطلاق الذي هو من أبغض الحلال إلى الله وعلم كل واحد منهما أنه لا سبيل له إلى العودة الثالثة لا باختياره ولا باختيارها)[2].

(٥) من واقعية التشريع في شهادة الرجال والنساء:

لقد راعى الإسلام في باب الشهادة أمرين:

الأول: أن يكون الشاهد عدلا ضابطا ليس بينه وبين المشهود عليه خصومة تحمله على أن يشهد عليه، ولا قرابة تدفعه إلى أن يشهد له.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩/٢٦٨.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزيه ٢/٩٣-٩٤. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط/ الكليات الأزهرية سنة ١٣٧٨هـ-١٩٦٨م.

الثاني: أن تكون هناك علاقة بين الشاهد والواقعة التي يشهد فيها[١].

فإذا لم يتحقق أمر من الأمرين ردت الشهادة، سواء كان الشاهد رجلا أو امرأة.

وانطلاقا من هذه القاعدة فقد رفض الشارع شهادة المرأة في الجنايات، وكم كان واقعيا في ذلك؛ لأن تعامل المرأة في الجرائم والجنايات نادرا معدوما، ولأن طبيعتها لا تستطيع أن تقاوم رؤية الدم والقتل، وعلى العكس من ذلك، شهادتها في الرضاع والحضانة والنسب فإنها مقبولة، بل هذه من الشهادات التي لا يقبل فيها إلا شهادة النساء[٢].

أما المعاملات المالية وما فيها من دعاوى وخصومات، فلكل من الرجل والمرأة صلة بها، غير أن صلة الرجل أقوى، ولذا فقد راعى الإسلام هذه التفرقة وجعل الأولوية لشهادة الرجل، مع قبوله لشهادة المرأة، غير أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ ﴾[٣].

---

(١) انظر المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني د/محمد سعيد رمضان البوطى صـ١٤٧، مصدر سابق.

(٢) انظر الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية صـ١٥٢ وما بعدها بتصرف تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى / بدون ذكر الطبعة /سنة ١٩٥٣م.

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٢).

وقد بين الله تعالى في هذه الآية الحكمة من جعل شهادة المرأتين بديلا عن شهادة الرجل الواحد، فقال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ لأن المرأة عرضة للنسيان في مثل هذه الأمور، لقلة ممارستها لها، وفى هذا النظام الواقعي مراعاة لحال الرجل وحال المرأة.

(٦) من واقعية الإسلام في تشريعه للملكية الفردية والجماعية:

تتجلى واقعية الإسلام في مراعاته لميل النفس إلى حب المال باعتباره فطرة طبيعية، وباعتباره الطريق إلى هدف آخر في تعمير الأرض، وذلك لأن الملكية الفردية تغرى الإنسان ببذل أقصى جهد في عمله، أما كون الملكية فطرية فذلك ما يدل عليه الواقع الإنساني، وتشهد به آيات القرآن الكريم، حيث تقول عن طبيعة الإنسان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾[2] وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾[3].

فالنفس تحرص عليه وتضن به قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾[4].

ولا يشبع الإنسان من طلب المال وتحصيله، ففي الحديث عن النبي ﷺ: **"لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب لتمنى أن يكون له ثان، ولو كان له ثان لتمنى أن يكون له ثالث، ولا يملأ جوف**

---

(١) سورة العاديات الآية (٨).

(٢) سورة الفجر الآية (٢٠).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٤).

(٤) سورة الإسراء الآية (١٠٠).

ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب"[١].

وهذه تقديرات واقعية تؤكد حب الإنسان للمال، وميله إليه وحرصه عليه، حرصا لا يستطيع أن ينفك عنه أو يتخلص منه.

ومن هنا كان التشريع الإسلامي واقعيا، حين أقر وأكد على حق الإنسان في الملكية الفردية الخاصة، وقد ظهر ذلك من خلال آيات كثيرة، أضافت الملكية الخاصة إلى الأفراد، مقررة مشروعيتها في وضوح وجلاء، ومن هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[٥].

وقد جاءت السنة تقرر هذا الحق في قول الرسول ﷺ: **"كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه"**[٦].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم بمعناه في كتاب الزكاة ٢/٧٢٥ (١١٧-١٠٤٨).

(٢) سورة يس الآيات (٧١-٧٣).

(٣) سورة الإسراء الآية (٣٤).

(٤) سورة التوبة الآية (١٠٣).

(٥) سورة البقرة الآية (٢٧٩).

(٦) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ٤/٢٨٦-٢٨٧ (١٩٢٧) وقال حديث حسن غريب ورواه ابن ماجة في كتاب الفتن ٢/١٢٩٨ (٣٩٣٣).

وقد نبه الرسول ﷺ في خطبة الوداع على ذلك حين قال: **"إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"**[١].

كما صان الإسلام الملكية الخاصة حين حرم السرقة، والغصب، والنهب، ووضع حدا للسرقة قال فيه تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[٢].

وفى التحذير من الغصب قال ﷺ: **"من اقتطع من مال امرئ مسلم بغير حق بيمين كاذبة لقي الله ﷻ وهو عليه غضبان"**[٣] وقال أيضا ﷺ: **"من اقتطع شبرا من الأرض بغير حق طوقه يوم القيامة سبع أراضين"**[٤] بل بلغ من حرص الإسلام على الملكية الخاصة أن جعل من يموت في سبيل المحافظة عليها شهيدا ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **"من قتل دون ماله فهو شهيد"**[٥].

وإلى جوار الملكية الخاصة هنالك في الإسلام الملكية العامة، وضابطها (كل أمر فيه مصلحة ضرورية للجماعة ويترتب على احتباس فرد له أو أفراد ضرر بمصالح المسلمين، لذلك لابد من جعله ملكية جماعية)[٦].

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب العلم ١/٢٤٠ (١٠٥) ورواه ابن ماجة في كتاب المناسك ٢/١٠١٥ (٣٠٥٥).

(٢) سورة المائدة الآية (٣٨).

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٤٣٣ (٧٤٤٦) ورواه الترمذي في التفسير ٥/٢٠٩ (٢٩٩٦) وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢/٤٣٢.

(٥) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب المظالم ٥/١٤٧ (٢٤٨٠).

(٦) النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة د/ حسن عبد الحميد حسن صـ٨٦ ط/الرياض سنة١٩٨١م.

ويُستدل على الملكية العامة بقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1].

يقول د/ سعد الدين صالح: (هذا مثال ويقاس عليه ما يتعلق بملك المسلمين عامة، كموارد بيت المال المختلفة، فهي ملكية عامة للمسلمين، تنفق في مصالحهم العامة، ولا تخضع لهوى فرد أو أفراد)[2].

ويستدل على الملكية الجماعية بقول الرسول ﷺ: **"المسلمون شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار وثمنه حرام"**[3] ويلاحظ أن هذه الأشياء الثلاثة لا يتعلق بها جهد الأفراد، وإنما هي هبة من الله لا دخل للإنسان فيها، وعلى ذلك فيقاس عليها غيرها، مثل المعادن، والمرافق الأساسية، والأشياء التي تمنع طبيعة تكوينها أن يختص الأفراد بحيازتها.

وكم كان الإسلام واقعيا في حرمة تخصيص إنسان بملكية البحار والأنهار، لأن الماء هو مصدر الحياة للزروع، والحيوانات، وبنى الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4].

ولو امتلك الإنسان الماء فربما ضن به على غيره؛ فأودى بحياته وحياة الملايين، لأن الماء لا يقل عن الهواء، واحتباس الهواء ولو فترة يسيرة يزهق روح الإنسان، ومن ثم فقد اختص الله ﷻ بملكيته حتى لا يبغى أحد على أحد.

---

(١) سورة الجن الآية (١٨).

(٢) انهيار الشيوعية أمام الإسلام د/ سعد الدين صالح صـ٢٣٤ ط/أولى سنة ١٩٨٩م دار الأرقم.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الرهون ٨٢٦/٢ (٢٤٧٢).

(٤) سورة الأنبياء الآية (٣٠).

(٧) واقعية الإسلام في تشريعه للحدود:

من مظاهر واقعية الإسلام في التشريع، اتخاذه العقوبة ذريعة لمنع الجريمة، وردع الجاني، وزجر غيره، ومنع تكرار وقوعها، وحماية الفضيلة، وصيانة المجتمع من تحكم الرذيلة فيه، كما أن في تشريعها مصلحة الناس.

والمصالح التي حماها الإسلام هي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ولا تتوافر الحياة الإنسانية بدون هذه المصالح، التي يعد طلبها ضرورة إنسانية متفق عليها بين الناس، والمحافظة عليها، وفرض العقوبات على من اعتدى عليها، بديهة لا تختلف حولها العقول، ولذلك يخطئ من يهجم على العقوبة في الإسلام، وينعتها بالهمجية، والوحشية، والرجعية، وتتمثل واقعية الإسلام في تشريعاته للحدود فيما يأتي:

١ - ذلك أن الشريعة تتجه في الجريمة التي يكون حق العبد فيها غالبا، كجرائم الدم، إلى شفاء غيظ المجني عليه أولا، وليس ذلك اتفاقا، بل هو محض العدل والرحمة بالمجتمع، ذلك لأن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾[1].

ومن تأمل في تشريع القصاص وجد أنه العلاج الوحيد؛ لشفاء غيظ المجني عليه، ذلك لأن من فُقئت عينه لا يشفيه مال الجاني مهما كثر، ولا سجن الجاني مهما طال، ولكن يريحه

---

(١) سورة المائدة الآية (٣٢).

ويهدئ من ثورته ويخفف من لوعته، أن يرى جانيه وقد فقئت عينه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1].

كما أن من لطم إنسانا في جمع من الناس، لن يشفى صدر المجني عليه إلا إذا وَجَّه إليه نفس اللطمة في محفل من الناس.

وهكذا كانت العقوبة في الإسلام تتساوى مع الجريمة، فلا ظلم في القصاص، لأن الظلم كل الظلم في ترك القصاص.

ولاشك أن تشريع القصاص يمثل واقعية الإسلام في معالجة نفسية المجني عليه، فليس هناك من سبيل إلى شفائه غير أن يأخذ حقه، كما أن في حالة عفو المجني عليه يجب أن يُعطى المال الذي يطلبه، ولا يتقيد بالدية إذا كانت الجريمة عمدا وليست خطا وكان ذلك برضاه.

أما في حالة سقوط القصاص بالعفو، أو بتعذر إقامته، فإن العقوبة البدنية لا تذهب نهائيا عن الجاني بل لولى الأمر أن يعذره بما يراه ردعا وزجرا لغيره.

٢- كما أن من واقعية التشريع في العقوبة أنه لا يطل دم في الإسلام، فليس هنالك جريمة قتل من غير عقوبة، إما بالقصاص، أو الدية التي تُدفع لورثة القتيل، إما من ماله أو مال عائلته، أو من بيت المال، وفى ذلك طب للقلوب المجروحة، والنفوس المذبوحة، ومعنى هذا أن الإسلام ليس فيه جناية قتل تقيد ضد مجهول ويذهب الدم هدرا، ويسكت عن ذلك المسؤولون من رجال الشرطة والحسبة، وكأن ذهاب نفس أمر يسير ليس لها على المجتمع حق الحماية والرعاية، وإنما على نظام الحكم، ورجال الشرطة، أن يبحثوا عن القاتل حتى يصلوا، فإن عجزوا بعد البحث كانت القسامة، وهى: أن يحلف خمسون رجلا من أهل القرية التي

([1]) سورة البقرة الآية (١٧٩).

وقع فيها أو حولها القتل، ويقولون في الحلف أنهم لم يقتلوه ولم يعرفوا له قاتلا، ويكون أولئك الحالفون من أهل العدالة والصدق، وفى هذه الأيمان حمل على من يعرف القاتل أن يدل عليه، وإذا حلف الخمسون ولم يعرف القاتل وجبت الدية من بيت المال، وإذا دل حكم القسامة فإنما يدل على حرمة دم الإنسان[1].

٣- **عموم العقاب في الحدود**: من مظاهر واقعية الإسلام في تشريعه للحدود، أنه لا يفرق بين الحاكم والمحكوم، والكبير والصغير، والشريف والضعيف، فالضعيف قوى بحكم الشرع حتى يؤخذ الحق له، والقوى ضعيف بحكم الشرع حتى يؤخذ الحق منه.

فالناس يتساوون في العقوبة ويتفاضلون بالتقوى، فالحدود في الإسلام تقام على الجميع أيا كان مرتكبها، أمير أو ابن أمير، وقصة المرأة المخزومية مشهورة ومعلومة، حيث رفض الرسول ﷺ من أسامة أن يشفع فيها وغضب وقال: **"أتشفع في حدٍّ من حدود الله"** ثم قال: **"ما بال أقوام يتشفعون في حد من حدود الله، إنما أهلك الذين من قبلكم أنه إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف قطعوه، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها"**[2].

فالحدود من واجبات الوالي وليست من حقوقه، ومن ثم تسرى على الحكام أنفسهم، فالناس يتفاضلون بالفضيلة لا بالرذيلة، فليس لأحد امتياز خاص في الإجرام، ولو كان هو الإمام، فشخصية الحاكم في الإسلام ليست مصونة، إنما يتساوى مع الناس، ولا يجوز له أن يعطل حدا ولو بالنسبة له، وفى هذا الحكم راحة لنفسية أفراد المجتمع، إذ لو كان السلطان وأعوانه وبطانته تتميز عن الأمة بهذه الأمور لأدى ذلك إلى فتن وقلاقل، ونما روح الشعور

---

(١) انظر العقوبة في الإسلام/ الشيخ محمد أبو زهرة صـ٩ وما بعدها، ط/ دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
(٢) الحديث رواه أبو داود في سننه في كتاب الحدود ١٣٢/٤ (٤٣٧٣).

بالدونية والمهانة، وأحس الجميع بالنقص، وامتياز الآخرين عنهم، كما أدى ذلك إلى زيادة طغيان السلطان والأعوان، إذ لا يصدهم أحد، هذا ولا فرق في إقامة الحدود على الحكام بين أن تكون من حقوق الله، أو من حقوق العباد.

ولعل الحكمة من ذلك، أن الشريف والسلطان إذا رتعا في الشر دون أن يأخذ الناس على أيديهم رتع الناس من ورائهم (فالناس على دين ملوكهم) وعندئذ تفقد الأحكام رهبتها وروعتها وهيبتها ولا يمكن أن يرضى الناس بحكم يعفى الحاكم من تنفيذه على نفسه، ولا يعفى صغار الناس، وإذا أُعفى ولاة الأمور تجرأ العصاة على الشر فهلكت الأمة، وعم الفساد.

٤- **القصاص في اللطم والضرب**: يرى كثير من الفقهاء، أن اللطم والضرب لا يقتص منهما؛ لعدم ورود نص قرآني بوجوب القصاص فيهما، والتعذير يغنى في ذلك، كما أن القصاص -في رأيهم- متعذر، فالضرب لا يساوى الضرب، والأثر يختلف، فمن الناس من تؤثر فيه الضربة الصغيرة، ومنهم من لا يتألم بالضرب الكثير، غير أن هنالك من الفقهاء من يرون وجوب القصاص في الضرب واللطم وهذا هو الراجح.[1]

ولذا كان الرسول ﷺ يطبق ذلك فعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينما رسول الله ﷺ يقسم قسما فأقبل رجل فألب عليه فطعنه رسول الله ﷺ بعرجون كان معه فجرح وجهه فقال له رسول الله ﷺ: **"تعالى فاستقد منى، فقال له الرجل: قد عفوت يا رسول الله"**[2].

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ وانظر العقوبة في الإسلام للشيخ محمد أبو زهرة صـ٤٠٧-٤٠٨.

(٢) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الديات ١٨٢/٤ (٤٥٣٦).

وعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ بعث أبا جهم بن حذيفة مصدقا -أي جامعا للصدقات- فلاحاه رجل في صدقته فضربه أبو جهم فشجه، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: القود يا رسول الله، فقال ﷺ: **ولكم كذا وكذا فرضوا**، فقال النبي ﷺ: **إني خاطب العشية على الناس، ومخبرهم برضاكم**، فقالوا نعم، فخطب رسول الله ﷺ فقال: **إن هؤلاء أتونى يريدون القصاص، فعرضت عليهم كذا وكذا فرضوا، أرضيتم؟ فقالوا لا، فهم المهاجرون، بهم فأمرهم رسول الله ﷺ أن يكفوا فكفوا عنهم، ثم دعاهم فزادهم، فقال: أرضيتم؟ فقالوا نعم**)[1].

فهذه سنة رسول الله ﷺ تؤكد ظاهر القرآن الكريم، وتشفى صدور قوم مؤمنين، ولعل الحكمة من وراء ذلك، حتى لا يتساهل الناس في الضربة واللطمة لو قيل ليس فيهما قصاص، يقول الإمام ابن القيم في ذلك: (إن ضمان النفوس والأموال على العدل، كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ ﴾[3]، فأمر بالمماثلة بالعقوبة والقصاص، فيجب اعتبارها بحسب الإمكان، والأمثل هو المأمور به، فهذا المكلوم المضروب قد اعتدى عليه، فالواجب أن يفعل بالمعتدى كما فُعل به، فإن لم يتمكن كان الواجب ما هو الأقرب والأمثل، وسقط ما عجز عنه العبد من المساواة في كل وجه، ولا ريب أن لطمة بلطمة، وضربة بضربة في محلها، بالآلة التي ضربه بها، أو بمثلها، أقرب إلى

---

(١) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الديات ٤/١٨١-١٨٢ (٤٥٣٤).

(٢) سورة الشورى الآية (٤٠).

(٣) سورة النحل الآية (١٢٦).

المماثلة المأمور بها حسا وشرعا من تعذيره بغير جنس اعتدائه به، وقدرته وصفته وهذا هدى رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين[١].

(٥) ومن واقعية الإسلام في تشريعاته للحدود أن جعل حد الأرقاء على النصف من حد الحرائر، قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[٢] فالأمة غير المتزوجة تجلد إذا زنت خمسين جلدة، وأما الحرة فتجلد مائة جلدة، لقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[٣].

يقول الشيخ رشيد رضا عن الحكمة في التفرقة بين الأمة والحرة: (والحكمة في ذلك، كون الحرة أبعد عن دواعي الفاحشة، والأمة عرضة لها وضعيفة عن مقاومتها، فرحم الشارع ضعفها، فخفف العقاب عنها)[٤].

ومن هنا يتبين أن أحكام الحدود والقصاص في الإسلام تقوم جميعها على مراعاة واقع الإنسان من حيث هو بشر فيه نوازع الخير والشر، وله ميول ورغبات، ومن حيث هو مؤلف من جسد وروح ذكر وأنثى حر وعبد فتأتى أحكام الحدود لتراعى كل هذه الجوانب فتحقق المصلحة للفرد والمجتمع.

❁❁❁

---

(١) إعلام الموقعين ابن القيم ٢٧٦/١.

(٢) سورة النساء الآية (٢٥).

(٣) سورة النور الآية (٢).

(٤) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٢١/٥.

المطلب الثالث: من دلائل الواقعية في التشريع الإسلامي

١ - قيامه على التيسير ورفع الحرج:

قال تعالى في القرآن الكريم، نافيا الحرج عن دينه ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[١] وقال تعالى في ختام آية الطهارة في سورة المائدة: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٢] ويقول تعالى في ثنايا آية الصوم: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾[٥] وبعد أن ذكر الله ﷻ المحرمات من النساء، وإباحة ما وراء ذلك بشرطه قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[٦].

والحكمة في التيسير ورفع الحرج أن الإسلام رسالة للناس أجمعين في جميع الأعصار والأمصار، ورسالة هذا شأنها لابد أن تتناسب مع حاجات الأجيال والعصور.

وقد كشف الإمام الشاطبي عن الحكمة في ذم الإسلام للغلو في الدين فقال:

(**الأول**: الخوف من الانقطاع في الطريق، وبغض العبادة، وكراهة التكليف، وينتظم تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه في جسمه، أو عقله، أو ماله، أو حاله.

---

(١) سورة الحج الآية (٧٨).
(٢) سورة المائدة الآية (٦).
(٣) سورة البقرة الآية (١٨٥).
(٤) سورة البقرة الآية (٢٨٦).
(٥) سورة الطلاق الآية (٧).
(٦) سورة النساء الآية (٢٨).

الثاني: خوف التقصير في الواجبات عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالمكلف المختلفة الأنواع، مثل قيامه على أهله وولده إلى تكاليف أخرى، فربما كان التوغل في بعض الأعمال شاغلا عنها، وقاطعا بالمكلف دونها، وربما أراد أن يقوم بهذا وتلك من المبالغة في الاستقصاء، فانقطع عنهما معا)[1].

وإذا كان الإسلام قد بُنِيَ على اليسر ورفع الحرج في جميع عباداته؛ فإنه بصفة خاصة شرع ألوانا من الرخص اعترافا بضعف الإنسان، وتعزيزا لظروف حياته، ففي العبادات جاءت أنواع من التخفيفات منها:-

(١- التخفيف بالإسقاط: كإسقاط العبادات عند وجود أعذارها، وإسقاط الصلاة عن الحائض والنفساء، وعدم وجوب الحج على غير المستطيع، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[2].

٢- التخفيف بالتنقيص: كقصر الصلاة للمسافر، وتنقيص ما عجز عنه المريض من الصلاة، وعند القتال يسقط الركوع والسجود واستقبال القبلة، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾[3].

كما فرض الله ﷻ الصلاة على الخائفين من العدو بكيفية خاصة، جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا

---

(١) الموافقات للشاطبى ٤٤٠/٢ بتصرف ط/ دار المعرفة بيروت الثانية سنة ١٩٩٦م.

(٢) سورة آل عمران (٩٧).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٣٩).

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[1].

٣- التخفيف بالإبدال: كإبدال الوضوء والغسل بالتيمم، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[2] وكإبدال بعض أحكام الحج والعمرة بالكفارات، قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾[3].

٤- التخفيف بالتقديم: كتقديم العصر إلى الظهر، والعشاء إلى المغرب، في السفر والمطر على خلاف بين الفقهاء، وتقديم الزكاة على حولها، والكفارة على حنثها.

٥- التخفيف بالتأخير: كتأخير الظهر إلى العصر، وتأخير رمضان للمريض والمسافر، وتأخير الصلاة عن وقتها في حق المشتغل بالجهاد.

٦- التخفيف بالترخيص: كصلاة المتيمم مع الحدث، وكشرب الخمر لإساغة الغصة إذا لم يوجد غيرها، وكالتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه.

---

(١) سورة النساء الآيتان (١٠٢-١٠٣).

(٢) سورة المائدة الآية (٦).

(٣) سورة البقرة الآية (١٩٦).

٧- التخفيف بالتغيير: كتغيير نظام أو كيفية صلاة الخوف)[١].

ومن مظاهر التيسير في الإسلام تغليب جانب الإباحة على التحريم، قال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[٢].

فالزينة وأكل الطيبات أباحهما الإسلام، واستنكر من يحرمها قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾[٣].

كما أنكر على كل من حرم شيئا ظنا أو جهلا مطالبهم بالدليل والبرهان، قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ ﴾[٥].

يقول الإمام ابن القيم معبرا عن تلك الواقعية التي جاءت لتراعى مصالح الناس: (الشرائع كلها في أصولها وإن تباينت متفقة، مركوز حسنها في العقول، موافقة للإنسان، ولو

---

(١) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ١٩٢/٢-١٩٣، ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) سورة الأعراف الآية (١٧٥).

(٣) سورة الأعراف الآية (٣٢).

(٤) سورة الأنعام الآية (١٤٨-١٥٠).

(٥) سورة الأنعام الآية (١٤٣).

وقعت على غير ما هي عليه لخرجت عن الحكمة والمصلحة والرحمة، بل من المحال أن تأتى على خلاف ما أتت عليه ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[1].

وحاجة الناس إلى تلك الشرائع ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شيء، لأن مبنى الشريعة على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد، فمبناها على الوحي المحض، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه، حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك، وليس من سبيل إلى سعادة الإنسان إلا بالعبور على هذا الجسر)[2].

٢- التدرج في التشريع:

من دلائل الواقعية في القرآن الكريم أنه مضى على سنة التدرج في النهى عن العادات المتأصلة، والمسائل المألوفة، التي يكون عنصر الزمن مهما في تغييرها واستئصالها من جذورها، ولعل أبرز مثالين على ذلك ما يلي:-

١- تدرج القرآن الكريم في تحريم الخمر.

٢- تدرج القرآن الكريم في تحريم الربا.

أما المثال الأول: وهو تدرج القرآن الكريم في تحريم الخمر، فقد ورد فيه خمس آيات إحداها مكية، وسائرها مدنية، وها هي بترتيب سورها في النزول، الآية الأولى من سورة النحل، وهى قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[3].

---

(1) سورة المؤمنون (٧١).

(2) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٣/٢ ط/صبيح.

(3) سورة النحل الآية (٦٧).

والآية الثانية، قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[1] والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾[2] والآيتان الرابعة والخامسة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[3].

ففي الآيتين الأخيرتين تحريم صريح بقوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ وفيها بين الله ﷻ حكمة التحريم، حيث علق فلاح المؤمنين على اجتنابها بقوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ كما صورت الخمر والميسر بأنهما حبالة الشيطان، تستدرج المؤمنين إليها، ليوقع بينهم، وليبعدهم عن مصدر القوة والعزة، ثم تهدد وتتوعد من يشربها بقوله ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ ويجعل الخمر والميسر والأنصاب والأزلام في دائرة خبيثة هي عمل الشيطان.

أما آية النساء ففيها حظر وتحريم جزئي؛ حيث يحرم الصلاة في حالة السكر، وينشئ صداما وصراعا في عقل المسلم وقلبه، بين رغبته في الشراب، وبين أول ما يحاسب عليه المرء في قبره وهى الصلاة، وهذا الحظر الجزئي أوقع شارب الخمر في حرج شديد، فمن أين له الوقت الكافي للشراب والصلاة تستوعب النهار كله، بل شطرا من الليل؟ وفى ذلك يقول تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ

---

(1) سورة البقرة الآية (٢١٩).

(2) سورة النساء الآية (٤٣).

(3) سورة المائدة الآيتان (٩٠-٩١).

﴿ ١١٤ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾[3].

والمدة بين مواقيت الصلاة لا تكفى الإنسان لكي يشرب ثم يفيق، وأن يسكر ثم يصحو، فهي ليست بكافية، فوق أنها تنغص على المعتادين للشراب متعتهم بها، وتجعل من محاولة شربها مشكلة، حيث تنشئ جوا نفسيا لا يعين الشارب على التمتع بشربها، فإذا أضيف لذلك فوق الصلاة، تقلب الإنسان في الحياة هنا وهناك سعيا وراء الرزق، مما يتطلب صحوة ويقظة وعقلا تتضاعف أهمية هذا الحظر الجزئ، ومن ثم فقد انتهى فريق من المؤمنين من شربها قبل نزول التحريم الصارم الصريح.

أما آية البقرة فتعقد موازنة بين إثم الخمر والميسر، ونفعهما، وتقضى الموازنة بتغليب جانب الإثم على النفع، ﴿ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾ والإثم هنا الضرر، وما تجره الخمر والميسر من مفاسد، بدليل مقابلته بالنفع، وليس المراد بالإثم الحرمة، فإن التحريم لما يقع بعد، وهذه الموازنة هزت ضمائر المسلمين، ولم يك باستطاعتهم أن يقدموا على الشرب مطمئنين.

فعن سعيد بن جبير ﷺ قال: لما نزلت ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ ﴾ فكرهها قوم لقوله تعالى: ﴿ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ ﴾ وشربها قوم لقوله تعالى: ﴿ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ حتى نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ قال: فكان يدعونها في حال الصلاة، ويشربونها في غير حين الصلاة، حتى نزلت: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ

---

(١) سورة هود الآية (١١٤).
(٢) سورة الإسراء الآية (٧٨).
(٣) سورة النساء الآية (١٠٣).

فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[1] فقال عمر: ضيعة لك اليوم، قرنت بالميسر[2].

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: عندما أنزلت آية المائدة **"حرمت الخمر"**[3] وفى الأثر السابق عن سعيد بن جبير أن قوما كرهوا الخمر وتركوها لقوله تعالى: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وهؤلاء هم الذين أدركوا فحوى الآية، واستشفوا ما فيها من تعريض بالانتهاء عنها، وإرهاصات بتحريمها، ولعل قلقهم وسؤالهم واستفتاءهم دليل على ذلك.

هذا والعرب الذين نزل القرآن بلسانهم يفهمون تلك الإشارات، ويدركون ما وراءها، ويتأملون وصف القرآن لها بالإثم، ووصف الإثم بأنه كبير، وتكرار الإثم مرتين، وجعله في مقابل المنافع، كل ذلك أشاع من حول الخمر جوا كريها يشعر بالذنب والمعصية، وهو أسلوب في التنفير، أدركوه ببصائرهم مع ما فيه من تلميح وتعريض.

ثم كانت آية النحل الآية الأولى في هذا الصدد، والتي جاءت في معرض مظاهر قدرة الله ﷻ في خلقه، وتعداد نعمه على عباده، وقد صرحت الآية بعطفها على الآية السابقة بأن الله ﷻ يضع أيدينا على مناط العبرة من نعمه، حيث يقول: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[4] أي نسقيكم منها ما تعلمون من الشراب الحلال،

---

(1) سورة المائدة الآيتان (٩٠-٩١).

(2) جامع البيان للطبري ٢/٢١١.

(3) المصدر السابق.

(4) سورة النحل الآيتان (٦٦-٦٧).

وإسقاء اللبن الخالص والشراب الطهور الحلو يأتي من النخيل والأعناب التي لم تفسده يد إنسان، فلا يحيل النعمة نقمة، أما قوله تعالى: ﴿نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ فليس هذا من حديث النعمة، إنما هو بيان لمسلك الإنسان تجاه نعم ربه عليه، حيث يفسد الشراب النافع؛ فيحيله إلى خبيث ضار، تعافه النفوس، وتمجه الطباع، فكأنما -والله أعلم- يقصد بها العتاب لبنى الإنسان على إفسادهم أمانة الله ونعمه التي هي محض كرم الله وفضله، يدل على ذلك أن الله ﷻ لا يمتن على عباده بما يفسد عقولهم، وإنما يستنكر ويعاتب من يفسدون نعمه، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ وقوله: ﴿نَتَّخِذُونَ﴾ فأضاف الإسقاء إلى ذاته، والاتخاذ إلى العباد، ثم انظر إلى اللبن الخالص السائغ، في مقابلة السكر المفسد، فكأن الله ﷻ يقول: إنما يخلق بيده الرحيمة طاهر مبرءا، وما يتدخل في صنعه البشر ينقلب في أيديهم إلى فساد حينا، وإلى صلاح حينا آخر.

والخلاصة: أن آية النحل تتضمن عتابا واستنكارا لمن يتخذون السكر، وفى هذا العتاب تعبئة وتنفير وتهيئة لما سيكون من تحريمها في المستقبل.

وهذا التدرج في المراحل السابقة إنما كان متجاوبا مع واقعية نفوس المسلمين، وتعودهم شرب الخمر، ولذا لم تحرم مرة واحدة، وإنما تدرج التشريع في التحريم حتى تهيأت نفوس المؤمنين، بل استشرفت واستعجلت وتضرعت، فلما جاء التحريم استقبلته النفوس بالرضا والتسليم.

أما المثال الثاني: وهو تدرج القرآن الكريم في تحريم الربا.

لقد كان أهل الجاهلية يستثمرون أموالهم بطرق شتى، من أهمها الربا، وبلغ من انتكاستهم أن جعلوه أصلا وقاسوا عليه البيع، فقالوا كما حكى القرآن الكريم عنهم: ﴿ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[1] فكان الغنى يقرض الفقير ويطلب منه زيادة، بل كان المدين يقول: أخرني في الأجل وأزيدك في الدين، سواء كان القرض إنتاجيا أم استهلاكيا، فلما جاء الإسلام تدرج في النهى عن هذا الأسلوب الذي ترتب عليه مساوئ كثيرة، اقتصادية وخلقية ودينية.

ولقد تدرج الإسلام الحنيف في تحريم الربا تدرجا حكيما، وذلك شأنه في معالجة الأمراض الاجتماعية المتمكنة فمرَّ في تدرجه بأربعة أدوار:

الدور الأول: نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[2] وهذه الآية مكية، تعد موعظة سلبية، حيث تبين أن الربا لا ثواب له، بخلاف الزكاة التي أريد بها وجه الله.

الدور الثاني: وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[3] وفى هذه الآية تلويح بالتحريم، حيث إنها تحكى طرفا من سيرة اليهود واستحلالهم الربا.

أما الدور الثالث: ففيه نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[4] وفى الآية نهى عن الربا الفاحش.

أما الدور الرابع: فقد نزل فيه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ

([1]) سورة البقرة الآية (٢٧٥).

([2]) سورة الروم الآية (٣٩).

([3]) سورة النساء الآيتان (١٦٠-١٦١).

([4]) سورة آل عمران الآية (١٣٠).

ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾[1] ففي هذه الآية نهى حاسم، وتحريم قاطع للربا بكل صوره وأشكاله.

تلك هي الأدوار التي مر بها التشريع الإسلامي في انتشال المجتمع الجاهلي من وهدة الربا، وأسلوبه الآسن، ومنطقه العفن، الذي لايرحم ضعيفا، ولا يعذر معسرا، ولو كان أول ما نزل تحريمه مباشرة لما استطاع المجتمع ذلك، وإنما راعى الإسلام أن معالجة تلك العادة تحتاج إلى تدرج وتمهل؛ حتى تستقيم الفطرة، ويحيا الضمير، فكانت الإشارة تلو الإشارة، ثم جاء التحريم بعد أن استوت نفوس المسلمين، وسمت قلوبهم، فسرعان ما استجابوا إلى ما دعاهم الإسلام إليه فوقع في نفوسهم محل الرضا والقبول[2].

٣- مرونة التشريع بحيث يلبى متطلبات الحياة المتجددة:

من الثابت أن أحكام الدين منها ما يتعلق بالعقائد، وهى ثابتة لا تتغير، ولا تتبدل، ومنها ما يتعلق بالشعائر التي تحدد صلة الإنسان بربه، وهى أركان الإسلام، من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وهذه ثابتة في أسسها؛ بيد أن الاجتهاد يدخل عليها في كثير من جزئياتها، ومنها ما يتعلق بالأخلاق ترغيبا وترهيبا، وهذه ثابتة في مجموعها، تلك الثلاثة لا يحتاج الناس إلى تغيير فيها، بل هم في حاجة إلى ثباتها واستقرارها، لتستقر الحياة، أما الأنظمة المختلفة من معاملات مالية، وعقوبات، وأنظمة إدارية، وسياسية، ونحو ذلك، فهذه الأنظمة منها ما هو ثابت دائم، وهو ما يتعلق بالأسس والمبادئ، وهو ما جاءت به النصوص قطعية الثبوت والدلالة مما لا يختلف حوله الأفهام، ولا تتعدد فيه الرؤى، ولا يعمل فيها الزمان والمكان والحال.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٧٨).

(٢) انظر تفسير آيات الأحكام للشيخ/ محمد على الصابوني ١/٣٥٧-٣٧٠، دار السلام ط/ الأولى سنة ١٤١٦هـ.

أما القسم الثاني فهو ما يقبل المرونة والتغيير، وهذا ما يتعلق بتفصيل الأحكام في شئون الحياة المختلفة من كيفيات وإجراءات ونحو ذلك.

وبهذا فمن المعلوم أن الأصول ثابتة خالدة، أما الفروع فهي متغيرة متطورة، ولا غنى للإنسان في حياته عن الثبات في جانب العقائد، والتغير والتطور في جانب الشرائع، ولذلك أسباب منها:

(١) أن الشارع ترك منطقة واسعة خالية من أي نص ملزم وهى منطقة العفو، ففي الحديث **"ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت فهو عفو، فاقبلوا من الله عافية"**[١].

(٢) إن معظم النصوص الشرعية جاءت بمبادئ عامة، فلم تتعرض للتفصيلات والجزئيات إلا فيما يتغير كثيرا بتغير الزمان والمكان، وما عدا ذلك جاء بصيغة التحريم.

(٣) أن النصوص الشرعية التي جاءت في الأحكام الفرعية تتسع لتعدد الأفهام والتيسيرات، فمن الناس من يأخذ بالفحوى، ومن الناس من يأخذ بحرفية النص، ومنهم المتشدد والمترخص، ولابدَّ من ذلك لطبيعة اللغة، ولطبيعة البشر وطبيعة التكليف)[٢].

فالتشريع الإسلامي تشريع مرن، واجه ويواجه تطورات الحياة، وتقلبات الأزمان، ففي فجر الإسلام وصدره الأول واجه حضارتين كبيرتين، هما حضارة الفرس في العراق

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب اللباس ٤/٢٢٠ (١٧٢٦) ورواه ابن ماجة في الأطعمة ٢/١١١٧ (٣٣٦٧).

(٢) انظر بينات الحل الإسلامي د/ يوسف القرضاوي صـ٧٤-٧٥ بتصرف ط/ مكتبة وهبة ط الأولى سنة ١٩٨٨م.

وخراسان، وحضارة الروم في الشام ومصر، ولم يقف مكتوف اليدين بل أوجد لكل مشكلة حلا، وقدم لكل داء دواء، وهذا يدل على مرونة التشريع وواقعيته التي تلائم كل زمان ومكان.

المطلب الرابع: واقعية الأخلاق في القرآن الكريم[١]

الأخلاق القرآنية أخلاق واقعية، لأنها ليست مثاليات تعجز قدرات البشر عن تحملها، وتستعلي على طاقتهم، بل هي في الطاقة المتوسطة المقدورة لجميع الناس وآحادهم، فراعت الضعف البشرى، والدوافع الإنسانية، فتتعامل مع البشر على أنهم بشر، لا على أنهم ملائكة معصومون من الخطأ، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾[٣] فالتكليف لا يتوجه للإنسان إلا في حدود وسائله، وفيه إمكانية التحمل، ولا يستنفذ قوى الإنسان وطاقته.

وتتجلى الواقعية للأخلاق في القرآن الكريم فيما يلي:-

١- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام ارتباطها بالعقيدة، والعبادة، فشعائر الإسلام وعباداته تهذب النفس، وتسموا بالإنسان إلى مراتب الكمال البشرى؛ وتورثه الأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٥] وقال

---

(١) انظر تفصيلات واقعية الأخلاق في القرآن الكريم في الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي، صـ١٥٢ وما بعدها، مكتبة وهبة ط/ الرابعة سنة ١٤٠٩هـ-سنة ١٩٨٩م.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٣) سورة الطلاق الآية (٧).

(٤) سورة العنكبوت الآية (٤٥).

(٥) سورة التوبة الآية (١٠٣).

تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[1].

٢- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنها تتكون عن طريق التربية، فالإنسان يولد وعنده استعداد للخير والشر، فليس ملاكا ولا شيطانا، ومن ثم دعاه القرآن الكريم إلى مجاهدة النفس وإصلاحها، فهي في وسعها وميسورها، قابلة للارتقاء والصعود والتزكية، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[6].

---

(1) سورة البقرة الآية (١٩٧).

(2) سورة الشمس الآيات (٧-١٠).

(3) سورة النازعات الآيتان (٤٠-٤١).

(4) سورة الأعلى الآية (١٤).

(5) سورة التحريم الآية (٦).

(6) سورة لقمان الآيات (١٣-١٦).

٣- أن القرآن الكريم حين يتحدث عن الأخلاق الفاضلة أو السيئة، لا يتحدث عنها حديثا مجردا، وإنما يجسدها في شخص، أو يحركها في قصة مؤثرة، تترك أثرها الإيجابي في نفوس الناس، ومبينا أثرها العملي في حياة الناس.

فمثلا حين يتحدث عن السطو على البيوت في غير أوقات الزيارة، وبدون استئذان، يذكر قصة واقعية حدثت بالفعل، بيد أنه لا يسمى أشخاصا حتى لا يهزأ بهم أحد، وإنما يركز على الدرس والعبرة منها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ ﴾[2].

٤- القرآن الكريم يربط المسلم بالصادقين لا بالصدق المجرد، فهو يعول على القدوة العملية قبل الدروس النظرية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[3].

---

(1) سورة الحجرات الآيات (٢-٥).

(2) سورة النور الآيتان (٢٧-٢٨).

(3) سورة التوبة الآية (١١٩).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2].

٥- الأخلاق في الإسلام تدعوا إلى المحبة، ولكنها لا تهمل الكره، فهي تدعو إلى محبة المسلمين وبغض الكافرين، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[6].

٦- الإنسان يسعى للكمال ولا يبلغ الكمال المطلق، فلم يفرض الإسلام على أهل التقوى أن يكونوا برءاء من كل عيب، أو تخلو حياتهم من كل خطأ، فقد وصف الله ﷻ المتقين،

---

(١) سورة الزمر الآية (٣٣).
(٢) سورة الأحزاب الآية (٢١).
(٣) سورة الفتح الآية (٢٩).
(٤) سورة المائدة الآية (٥٤).
(٥) سورة التحريم الآية (٩).
(٦) سورة النور الآية (٢).

وجعل من بينهم من يقع في الإثم والصغائر، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

٧- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنها تفرق بين الكبائر والصغائر، وبين المجاهرة بالمعصية والتستر عليها، كما أنها تستثنى حالة الإكراه والفتنة للوقوع في المعصية، قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[7] وقال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٣٣).
(٢) سورة النجم الآية (٣٢).
(٣) سورة الفرقان الآيتان (٦٣-٦٤).
(٤) سورة النساء الآية (٣١).
(٥) سورة النجم الآية (٣٢).
(٦) سورة النساء الآية (١٤٨).
(٧) سورة النحل الآية (١٠٦).

يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

٨- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنها راعت الظروف الاستثنائية لفترة مؤقتة، ولظروف خاصة خروجا من الأصل والقاعدة، فحرم الإسلام الكذب لكنه رخص فيه في أمور استثنائية عارضة، مثل الكذب على الأعداء لتضليلهم عن الحقيقة، والصلح بين الزوجين والمتخاصمين، ففي الحديث: **"ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرا أو ينمى خيرا"**[2].

وكذلك حرم الإسلام الإفساد في الأرض، وهدم المباني، إلا أنه أجاز ذلك في أثناء الحرب مع الأعداء، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[4].

٩- ومن واقعية الأخلاق في القرآن الكريم أنه جعل كل إنسان مرتبطا بعمله، فلم يحمله وزر غيره، ولم يورثه خطيئة آدم، فتظل تلاحقه وتطارده حتى الموت، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا

---

(١) سورة آل عمران الآية (٢٨).

(٢) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين ٤/٢٨٠-٢٨١ (٤٩٢٠).

(٣) سورة الحشر الآية (٢).

(٤) سورة الحشر الآية (٥).

كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[3].

١٠- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنها راعت التفاوت الفطري بين الناس، فالناس جميعا ليسوا في درجة واحدة، ولا في مستوى واحد، من حيث الالتزام بمبادئ الإسلام وتعاليمه، وهذا يناسب مراتب الإسلام فهناك الإسلام والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أهلها من الناس، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[4] فبالرغم من تفاوت المراتب إلا أن القرآن قرر بأنهم جميعا من المصطفين، ومن أهل الجنة.

١١- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنه شرع للإنسان أن يرد العدوان بالدفاع عن نفسه، ويقابل السيئة بمثلها، بلا جور ولا عدوان، (وتلك مرتبة العدل) لكن الإسلام حث المسلم عن العفو والصفح عن المسيء، ابتغاء مرضاة الله، على أن يكون ذلك رغبة منه، لا فرضا عليه (وتلك مرتبة الفضل) قال تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى

---

(١) سورة المدثر الآية (٣٨).
(٢) سورة الإسراء الآية (١٥).
(٣) سورة البقرة الآية (٣٧).
(٤) سورة فاطر الآيتان (٣٢-٣٣).

ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[2].

ويتلخص القول في أن الأخلاق القرآنية أخلاق تتلاءم وتتناسق مع واقع الإنسان في أي مرحلة من مراحل حياته، لأنها تراعى جوانب ضعفه وقصوره، وظروفه الطارئة، وأحواله العارضة، ولا تنظر إليه على أنه ملك معصوم، بل على أنه كائن طيني، جبل على الضعف والنسيان، والجدل والتقتير، والكنود والهلع والجحود، وما إلى ذلك من أوصاف لازمة لا ينفك عنها بحال من الأحوال.

كما تتجلى الواقعية في ارتباط الأخلاق بالعقيدة، وفى تكوينها عن طريق التربية، وتقسيمها إلى صغائر هينة وكبائر خطيرة، فوق أنها لا تهمل رغبة الإنسان في الثأر والانتقام من الظالمين المعتدين، ولا تلزم الإنسان أن يعفو ويصفح، بل ترغبه وتحثه، وتعرض أمامه العطاء الجليل لمن فعل ذلك، وإذا نهته عن فعل شيء في وقت، فإنه تبيحه له في وقت الضرورة والاضطرار.

وتبدو الواقعية أروع ما تكون في أمرها الإنسان بالعدل بين الناس، مؤمنهم وكافرهم، دون نظر إلى أديانهم ومعتقداتهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾[4].

❁❁❁

(1) سورة الشورى الآيتان (٤٠-٤١).
(2) سورة النحل الآية (٢٦).
(3) سورة النساء الآية (٥٨).
(4) سورة النساء الآية (١٠٥).

المبحث السابع
الإنسانية في القرآن الكريم

المطلب الأول: الإنسان في القرآن الكريم

المتأمل في آيات القرآن الكريم يمكنه أن يستخرج بالنسبة للإنسان الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن الإنسان أفضل المخلوقات وأشرفها.

الحقيقة الثانية: أن الإنسان مخلوق من حيث الأصل من تراب، ومتكاثر من حيث الجنس من آدم عليه السلام.

الحقيقة الثالثة: أن الإنسان مخلوق منذ البداية في أحسن تقويم، ولم يتدرج من فصيلة أخرى.

الحقيقة الرابعة: أن الإنسان ليس ندا لله.

الحقيقة الخامسة: أن الله منح الإنسان حولا وقوة.

الحقيقة السادسة: أن للإنسان دورا في فهم الوحي الإلهي.

ويمكن توضيح تلك الحقائق وتفصيلها فيما يلي:-

أولا: الحقيقة الأولى: الإنسان أفضل المخلوقات وأشرفها، ثبتت هذه الحقيقة بالنقل والعقل، أما النقل فقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[2]

فواضح من الآيتين أن الإنسان أفضل مما عدا الملائكة من المخلوقات.

---

(١) سورة الإسراء الآية (٧٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٣٤).

أما كونه أفضل من الملائكة فمسألة اختلف فيها العلماء، وسبب الاختلاف أن الآية الأولى فيها ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ وهى تدل بظاهرها على أن هناك بعض المخلوقات لم يفضل عليها الإنسان، وذلك لا ريب ينبغي أن يكون الملائكة، لما ثبت في القرآن والسنة من تباين فضلهم، وهناك من العلماء من يمضى الآية على عمومها ويقول: إن استعمال كلمة كثير لا يدل على أن الحال في القليل بالضد، وممن قال بتفضيل الملائكة على الإنسان مطلقا سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- وهو اختيار الزجاج على ما رواه الواحدي[١].

واحتجوا بقول الله ﷻ عن الملائكة: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[٢] وبقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[٣] واستدلوا بالحديث **"أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني يمشى أتيته هرولا"**[٤].

فخواص البشر أفضل من خواص الملائكة، وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾[٥]

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٥/٦٢١.

(٢) سورة الأنبياء الآيتان (٢٦-٢٧).

(٣) سورة التحريم الآية (٦).

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ /٣١٥-١٠٦.

(٥) سورة الأنبياء الآية (٧).

والبرية تشمل الملائكة، وقول النبي ﷺ: **"إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع"**[١].

ويرى الإمام القرطبي أنه لا طريق إلى القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة، ولا الملائكة أفضل منهم، لأن طريق ذلك الخبر، أو الإجماع، وليس هناك شيء منه[٢].

هذا من ناحية النقل، وأما برهان العقل فيتمثل في الأمور التالية:-

١- (أن النفس الإنسانية تمتاز عن سائر النفوس والموجودات الأخرى بتلك القوى المدهشة العجيبة، ألا وهى القوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء، وهى بذلك أول مفتاح لتسخير كثير من مظاهر الكون للإنسان، وجعلها تحت سلطانه، ومن خصائص هذه القوة التي يتجلى فيها نور معرفة الله ﷻ ويشرق منها ضوء كبريائه، فتهيئ صاحبها بذلك لممارسة العبودية لخالقها العظيم ﷻ فيصبح الإنسان نتيجة ذلك أول مظهر لألوهية الله ﷻ وإذا كان الأمر كذلك فإن من لوازمه الواضحة أن تكون النفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم إذا استثنينا الملائكة)[٣].

٢- أن الإنسان سيد هذا الكون، فقد سخر الله له كل شيء، فكل الكائنات تجرى وفقا لحال هذا الإنسان وخدمته، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ

---

(١) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب العلم ٣/ ٣١٧ (٣٦٤١).

(٢) انظر تفسير القرطبي ١/٢٨٩.

(٣) كبرى اليقينيات الكونية د/ محمد سعيد رمضان صـ٢٤٧-٢٤٨. ط/دار الفكر المعاصر بيروت ١٩٩٣م.

(٤) سورة الجاثية الآية (١٣).

وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

٣- (أن الله ﷻ ركب في الإنسان جملة من الصفات، كالعلم والقدرة والتفكر والنزوع إلى الملك والسيطرة، وهو إنما يؤمن بالله بواسطة ما ركب فيه من هذه الصفات فهو بعلمه الجزئي المحدود يتصور علم الله المطلق، وبملكيته الصغيرة يتصور ملك الله الواسع، ولولا ما أودع الله فيه من هذه الصفات ما تهيأ لإدراك عظمة الله وسلطانه)[2].

والخلاصة أن الإنسان أفضل المخلوقات باستثناء الملائكة، وقد دل على ذلك المنقول والمعقول كما سبق، فمن الواجب أن يعتقد المسلم بذلك، أما أفضليته على الملائكة فموضوع خلاف، ولعل الأسلم ما ذهب إليه الإمام القرطبي بتفويض علم ذلك إلى الله ﷻ.

الحقيقة الثانية: كون الإنسان مخلوقا من التراب، وقد دل على ذلك آيات صريحة في كتاب الله -عز وجل- منها قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾[5] فليس في هذه الآيات تناقض بل هي مراحل لخلق الإنسان.

وأما كون الإنسان تكاثر من آدم عليه السلام فقد دل على ذلك آيات صريحة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

---

(1) سورة إبراهيم الآيتان (٣٢-٣٣).

(2) كبرى اليقينيات الكونية، مصدر سابق صـ٢٤٨ بتصرف.

(3) سورة طه الآية (٥٥).

(4) سورة الحجر الآية (٢٦).

(5) سورة الرحمن الآية (١٤).

وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[4].

الحقيقة الثالثة: أن الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى في أتم مظهر وأحسن صورة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[7] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

---

(١) سورة النساء الآية (١).
(٢) سورة الأعراف الآية (١٨٩).
(٣) سورة الروم الآيتان (٢٠-٢١).
(٤) سورة الحجرات الآية (١٣).
(٥) سورة التين الآية (٤).
(٦) سورة الانفطار الآيات (٦-٨).
(٧) سورة التغابن الآية (٣).

رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[١] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾[٢]

ومن مظاهر التكريم أن الله خلق الإنسان بيده، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾[٤].

وجاء في السنة النبوية الشريفة **"أن الله تعالى خلق آدم على صورته"**[٥]. وقد اختلف العلماء العلماء في عود الضمير على صورته، فمنهم من رده إلى ذات الله -تعالى- وجعل المقصود أي خلقه عليما مريدا سميعا بصيرا، ومنهم من رده إلى آدم أي أنه منذ خلق كانت صورته على الصورة ذاتها التي استمر عليها وعرف بها، وهذا هو رأى الجمهور[٦].

فهذه الآيات تدل بوضوح على أن الإنسان مخلوق من تراب، ثم تناسل من آدم عليه السلام بطريق التزاوج بين الذكر والأنثى وأن جميع الناس مشتركون في ذلك، فلا يمتاز أحد على أحد إذا أنهم متفقون في أصل الخلقة.

---

(١) سورة غافر الآية (٦٤).
(٢) سورة السجدة الآية (٧).
(٣) سورة ص الآيتان (٧٥-٧٦).
(٤) سورة النور الآية (٤٥).
(٥) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في الاستئذان ٥/١١ (٦٢٢٧).
(٦) انظر فتح الباري في شرح الحديث السابق ٥/١١.

الحقيقة الرابعة: أن الإنسان ليس ندا لله بل هو مخلوق لله، لـه دور في الحيـاة، قـال تعـالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[1] وقـال تعـالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾[2]

وقـال تعـالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3] فليس الإنسان رب هذا الكون ومدبره، وإنما هو كائن مخلوق تعتريه حالات التغيير من القـوة والضعف، والجوع والعطش، والصحة والمرض، والموت والحياة.

الحقيقة الخامسة: أن الله ﷻ منح الإنسان حولا وقوة، فهو يجلب لنفسه النفع ويدفع عنها الضرر، بحول الله وقوته لا بشيء من ذاته، فليس الإنسان سلبيا في الحيـاة؛ وإنـما هـو مخلـوق إيجابي ذو قدرة وإرادة، ولذا تحمل الأمانة وفق حكمة الله ﷻ وإرادته.

والآيات الدالة على إرادة الإنسان وقدرته كثـيرة، منهـا قولـه تعـالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ ﴾[4] وقـال تعـالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾[6].

---

(1) سورة هود الآية (٦١).
(2) سورة الذاريات الآيتان (٥٦-٥٧).
(3) سورة البقرة الآية (٣٠).
(4) سورة الأنعام الآية (١٠٤).
(5) سورة الدهر الآية (٣٠).
(6) سورة الكهف الآية (٢٩).

الحقيقة السادسة: أن للإنسان دورا في فهم الوحي الإلهي، والاستنباط منه والقياس عليه، بل والاجتهاد فيما ليس فيه نص، وقد ترك الوحي للعقل أن يهتدي إلى أعظم حقيقتين في مجال العقيدة:-

(١) وجود الله تعالى ووحدانيته، فللعقل أن يستدل بالآيات الكونية والإنسانية على وجود الله ﷻ ووحدانيته قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٩٠-١٩١).
(٢) سورة الطور الآيتان (٣٥-٣٦).
(٣) سورة الذاريات الآية (٢١).
(٤) سورة الأنبياء الآية (٢٢).
(٥) سورة الأنبياء الآية (٢٤).
(٦) سورة المؤمنون (٩١).

(٢) ثبوت الوحي والنبوة والرسالة، فالعقل هو الذي يثبت إمكانية ذلك ووقوعه، فهو الحكم الأول والأخير في القضية، ولا مدخل للنقل في هذا، إذ كيف يُستدل بما لم يثبت بعد، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

بل إن الوحي يأمر العقل بأن يجول في آفاق هذا الكون قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[5].

بل يأمره أن يكتشف من ظواهر الكون ما يستطيع، وأن يسخر من قواه ما قدر عليه قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة سبأ الآية (٤٦).
(٢) سورة يونس الآية (١٦).
(٣) سورة يونس الآية (١٠١).
(٤) سورة الذاريات الآية (٢٠).
(٥) سورة فصلت الآية (٥٢).
(٦) سورة الجاثية الآية (١٦).
(٧) سورة إبراهيم الآيات (٣٢-٣٤).

بل إن القرآن الكريم ترك للعقل أن يخترع في أمور الدنيا ما يشاء في حدود الحق والعدل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾[١] وقال الرسول ﷺ: **"أنتم أعلم بأمور دنياكم"**[٢].

بل أباح الإسلام للعقل أن يقتبس من تجارب الآخرين، ويهتدي بتراثهم، وينتفع بمعلوماتهم، فقال تعالى: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾[٦].

فالقرآن الكريم لم يجمد العقل الإنساني، ولم يقف أمامه، بل كان هاديا ومعينا له فأعطاه الحرية في كثير من المجالات، ودعاه إلى العمل والنظر والتأمل والاعتبار والاستبصار والتفكر، ونفى عنه الجمود والتبعية والتقليد والظن، ثم رسم له الحد الذي يجب أن لا يتعداه، وأن يعترف بقصوره أمامه، وهو عالم الغيب فليس للعقل مدخل فيه قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى

---

(١) سورة القصص الآية (٧٧).
(٢) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب الفضائل ١٨٣٦/٤ (٢٣٦٣).
(٣) سورة الحشر الآية (٢).
(٤) سورة الحج الآية (٤٦).
(٥) سورة محمد الآية (١٠).
(٦) سورة الأحقاف الآية (٤).

ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

ومما سبق يتضح أن الإنسان مخلوق مكرم لم يتدرج من جنس آخر كما يزعم القائلون بالتطور، وأنه عبد ضعيف خاضع مربوب لإله قادر منحه الحول والطول، وحباه العقل والفكر، وأن الإنسان ليس له أن يشرع لنفسه وإنما حسبه أن يعمل عقله في فهم النص المنزل وأن يستنبط من الآيات المحكمات ما يهتدي به في حياته.

المطلب الثاني: إنسانية العقيدة الإسلامية في تبليغها

إن الباحث في كتاب الله ﷻ يجد أن الآيات القرآنية الكريمة التي تتعرض للدعوة إلى العقيدة الإسلامية ونشرها بين الناس، ليس من أهدافها إطلاقا قسر الناس على الدين، وإكراههم على اعتناقه، والانضواء تحت لوائه، فقد شرع الله ﷻ الجهاد لأغراض نبيلة، وبواعث إنسانية رفيعة.

أما الهدف الأول: فهو رد الاعتداء، ذلك أن الإسلام الحنيف ليس دين استسلام وخزي، وليست الفضيلة فيه هي أن نركن إلى الدعة والمذلة، وإنما الفضيلة في الإسلام هي رد الاعتداء، ولذلك شرع الله ﷻ القتال لمنع الفساد والإفساد، وقرر ﷻ حق الدفاع عن النفس، والانتصار لها، في الوقت الذي ندد فيه بالظلم والظالمين، فجاء في سورة الشورى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ

(1) سورة الأنعام الآية (٥٩).
(2) سورة لقمان الآية (٣٤).

وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[2].

فهذه الآيات حددت الباعث على الجهاد بصراحة، وأقرت الدفاع عن النفس، ورد الظلم والطغيان، والوقوف في وجه المعتدين.

أما الهدف الثاني: فهو حماية نشر الدعوة، تلك الرسالة التي كُلفت بها الأمة الإسلامية قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[3].

والنصوص القرآنية التي تأمر النبي ﷺ بتبليغ الرسالة كثيرة، وليس منها إطلاقا إكراه الناس على الدخول في الدين، بل إن ذلك لا يجوز كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[4].

---

(1) سورة الشورى الآيات (٣٩-٤٢).

(2) سورة الحج الآيات (٣٩-٤١).

(3) سورة الحج الآية (٧٨).

(4) سورة البقرة الآية (٢٥٦)

وقد فهم المسلمون الأوائل هذه الأهداف النبيلة، والأغراض الإنسانية السامية، وانطلقوا بها إلى أمم الأرض شرقا وغربا، لا يريدون ملكا، ولا ثروة ولا جاها ولا استعلاءً، بل أرادوا إخراج الناس من الضلال إلى الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

يقول أ/ على الطنطاوي: (لقد وصف الإمام العبقري ابن تيمية الفتح الإسلامي بكلمة جامعة لو كان إعجاز بعد القرآن الكريم لقلت إنها من معجزات البيان، وهى أن المسلمين الأولين لم ينقلوا الإسلام إلى الأمم، ولكن نقلوا الأمم إلى الإسلام، إن هذه الكلمة القصيرة سر الفتح الإسلامي ومزاياه، وعلة بقائه واستمراره، فإنها لم تدر في الأرض رحا حرب، ولم يطئها جيش فاتح إلا ابتغاء أرض يضمها إلى أرضه، أو شعب يحكمه مع شعبه، أو غنائم ينالها، أو ثأر يطلبه، أو خيرات يستولى، عليها، أو كنز يملكه، هذه هي غايات الحروب، وهذه هي مقاصد الفاتحين.

أما المسلمون فقد خرجوا يعلنون كلمة الله، وينشرون دينه، ويبذلون في سبيل الله دمائهم وأرواحهم، ويفارقون من أجله ديارهم وأموالهم، لا يريدون علوا في الأرض ولا استكبارا، ولا يبتغون دنيا، ولا يريدون مالا، وكانت غايتهم إصلاح البشر في أخلاقهم ومعايشهم، وسعادة الناس في دنياهم وآخرتهم، فكانوا يحملون إليهم مفتاح هذه السعادة وهو القرآن الكريم)[1].

تلك هي بواعث الجهاد في سبيل الله وأهدافه، وقد صرح القرآن الكريم بتحريم كل قتال لغيرها، وأكدت أحاديث النبي ﷺ على ذلك، وسجل التاريخ هذا التحريم.

---

(1) انظر آيات الجهاد في القرآن الكريم د/ كامل سلامة الدقس صـ٨٨ الناشر دار البيان ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

ومن ثم فيتضح مما سبق أن كتاب الله ﷻ لا يحرض في جهاده على شيء أكثر من هداية الناس إلى الدين الحق، واتباع سبيل الله، بل إن المشرك المحارب يفسح له الإسلام المجال ويمنحه الفرصة لسماع كلام الله ﷻ وحقن دمه، دون إكراه على اعتناق الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[1].

(٢) كما تتجلى إنسانية الإسلام في العقيدة في اعتماده على مخاطبة العقل وإقناعه بالدليل والبرهان: فالمولى ﷻ يوجه نبيه في حواره مع المشركين إلى أن يفترض أن لهم آلهة أخرى، ثم يحاورهم على ذلك الأساس، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

فأسلوب الحوار في القرآن الكريم يعتمد على العقل المجرد من العوامل والمؤثرات الخارجية، وقد ضرب إبراهيم عليه السلام مثلا باهرا في هذا الصدد، حيث افترض تجرده من النبوة، بل تجرده من الإيمان بالله ﷻ ومعرفته، وتدرج مع الخصم مع أنه مؤمن في الحقيقة، وغرضه هو: نفى وجود أي مؤثر مع الحوار غير عقله، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ

---

(١) سورة التوبة الآية (٦).

(٢) سورة الإسراء الآيتان (٤٢-٤٣).

(٣) سورة الأنبياء الآيات (٢٢-٢٤).

يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

(٣) ومن إنسانية الإسلام في عرض العقيدة إنصافه للخصوم من شتى الوجوه وإعطاء الخصم حقه:

وأهم حقوق الخصم هي:

(الحق الأول: التجرد من المؤثرات والاحتكام إلى حكم يرتضيه الطرفان.

وأما الحق الثاني فهو: (حماية الخصم أثناء المحاورة، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[2]

فالخصم هنا لا يوصف بأنه مخطئ أو مصيب، فهو مصون من الأذى حتى يصدر عليه الحكم.

أما الحق الثالث: فهو إعلان المساواة للخصم، وهذا الحق يشعر الخصم بمساواته مع من يحاوره، وهذا أقصى ما يمكن من عدالة تمنح للخصوم)[3].

وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ ﴾[4]، فمع إيمانه ﷺ بأنه نبي، وأنه على الحق المبين، وأن

---

(١) سورة الأنعام الآيات (٧٦-٧٩).
(٢) سورة يس الآيتان (٧٨-٧٩).
(٣) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم عبد الحليم حفنى٣٢ الهيئة العامة للكتاب ط/ الثانية ١٩٨٥م.
(٤) سورة القصص الآية (٨٥).

مجادليه على باطل، إلا أنه يشعرهم بالمساواة معه في صورة لا يعلم أيهما على الهدى وأيهما في الضلال، أهو أم هم؟.

بل إن القرآن الكريم في آية أخرى يشعر الخصم بأنه هو المتفوق، وفى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

فالقرآن الكريم يسلم لهم جدلا أن المشركين على حق، وأن المؤمنين مجرمون، ثم يجادلهم بالحجة البالغة إلى أن يقنعهم بخطأ ما هم عليه.

ومن هذا القبيل أيضا، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقد صرح القرآن الكريم في موطن آخر داعيا الخصوم إلى المساواة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

فهذه الآيات تكشف عن مساواة الإسلام للخصوم عند عرض قضاياهم، وعدم إيذائهم وإحراجهم، بل إشعارهم بأنهم هم المتفوقون الظافرون، ثم يكر عليهم بالحجة والبرهان؛ فيلزمهم الحجة الدامغة.

---

(١) سورة سبأ الآيات (٢٤-٢٧).

(٢) سورة الملك الآيتان (٢٨-٢٩).

(٣) سورة آل عمران الآية (٦٤).

(٤) كما تتجلى إنسانية الإسلام في الرفق بالمهزوم في لحظة الانتصار:

وفى هذا امتداد للرفق به في جميع مراحل المحاورة، بل في ساعة النتيجة، حيث يركز الإسلام على إعلان النتيجة وإبرازها بغية نشر الدين نفسه، أما الخصم فإن القرآن الكريم لا يهدف إلى النيل منه، أو إيذائه؛ لأنه لا يعنيه كثيرا الأشخاص كثروا أم قلوا، ومن ثم لا يوليهم اهتماما شديدا، بالإضافة إلى أنه لا فائدة تعود عليه من إيذاء الخصوم الذين قد يزدادون بُعدا ونفورا، في الوقت الذي يهدف القرآن الكريم إلى نشر الدين وجذب قلوب الناس إليه.

❁❁❁

المطلب الثالث: إنسانية العبادة في الإسلام[1]

لم يكتف الإسلام الحنيف بإعلان إنسانية الإنسان، وإنسانيته في عرض العقيدة على المدعوين، بل جعل من مظاهرها التي تؤكدها عمليا كثيرا من العبادات والشعائر المفروضة التي يقوم عليها صرح الإسلام العظيم، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وكل هذه العبادات تؤكد المساواة بين بنى الإنسان، وتزيل الفوارق والشارات.

(أ) فالصلاة مثلا تقدم الصف الأول على الصف الثاني، وإن كان من في الصف الأول أقلهم مالا، وأضعفهم جاها، وأقلهم عشيرة، فمن تأخر عن أول وقتها كان في الصفوف المؤخرة مهما كان مركزه، ولو تأمل الإنسان في صف واحد من صفوف المسلمين، في أي مسجد من المساجد، لوجد الغنى بجوار الفقير، والعالم بجوار الأمي، والشريف بجانب المغمور، والحاكم يساوى منكبه منكب الخادم، لا فرق بين واحد وآخر في الأقوال أو الأفعال.

---

(١) يراجع كتاب العبادة في الإسلام د/ يوسف القرضاوي ط/ مكتبة وهبة / ط/ الخامسة عشرة سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

والصلاة أيضا تتلاءم مع واقع الإنسان من حيث عددها، فالصلاة المفروضة خمس صلوات في اليوم والليلة، وهى متوزعة على أوقات الليل والنهار، لتعطى للإنسان طاقة روحية وزادا إيمانا من حين لآخر، كما أنها أقوال وأفعال محددة، لا تعب فيها ولا مشقة.

وفوق ذلك ففي الصلاة تذوب الفوارق بين الناس فقد يتقدم الفقير على الغنى، إذا كان أقرأ منه وأفقه، وفى صلاة الجماعة يتعارف المسلمون ويتآلفون وتذوب بينهم الفواصل، وتنمحي الشارات، وهم يقومون ويركعون ويسجدون ويرددون كلمات واحدة خلف إمام واحد فينموا الشعور الإنساني وكما أن الصلاة تدعو لترك الفحشاء والمنكر، موقنا المسلم أن الطريق المستقيم هو صراط النبيين والصالحين الذين يكفون أذاهم عن خلق الله، وينتهون عما حرم الله ﷻ.

(ب) ومن صور الإنسانية في العبادات فريضة الصيام فالله ﷻ قد فرضه على الإنسان ليتحرر من سلطان غرائزه، ويتغلب على نزعات شهوته، فيرقى بروحه وتقوى إرادته، ويتربى على الصبر، وذلك هدف رئيسي من أهداف الصيام.

وتتجلى الإنسانية في أعلى صورها حينما يتذكر الصائم جوع الجائعين وفقر البائسين، فمن نشأ في أحضان النعمة، لم يعرف طعم الجوع، وربما ظن أن الناس كلهم مثله، يجدون ما يجد، فحينما يصوم الغنى يحس بآلام الفقراء والمحتاجين، ويتساوى معهم في الإحساس بالجوع، فيشعر أن هناك معدا جائعة، وبطونا خاوية، فيرق قلبه للمحتاجين، ويمد يده للمساكين، ويرحم الأشقياء، فلم يشرع الله الصيام تعذيبا للبشر، وإنما شرعه الله إيقاظا للروح وتقوية للعزيمة والإرادة، وتعريفا بالنعمة، وتربيه لمشاعر الرحمة بين المسلمين.

(ج) ومن العبادات التي تتجلى فيها إنسانية الإسلام عبادة الزكاة، التي هي الفريضة الثانية في الإسلام، وقد جاءت في القرآن الكريم بلفظ الزكاة تارة، وطورا بلفظ الصدقة، وأحيانا بلفظ النفقة، وهذه الفريضة من رسالتها أن تعين الفقراء والبائسين، وأن تساعد المحتاجين والمساكين، ومنذ فجر الإسلام في مكة والمسلمون يستخفون بدينهم من اضطهاد الكفار، كان للزكاة والنفقة موضع يستوقف القارئ لكتاب الله ﷻ فالعقبة التي كان على كل إنسان أن يجتازها تتمثل في البر والتعامل الإنساني مع الرقيق، وإطعام المساكين واليتامى، يقول تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

ولقد قص القرآن في سورة القلم قصة أصحاب الجنة، الذين وقفوا موقفا لا إنسانيا مع الفقراء والمحتاجين، حيث عزموا على قطف ثمار بستانهم في جنح الليل البهيم، وفى غفلة من الفقراء والمحتاجين، فكان عقاب الله ﷻ لهم، قال تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

وفى سورة الماعون جاء من صفات الذين يكذبون بيوم الدين صفات لا إنسانية وهى زجر اليتيم، والقسوة عليه ونهره، وعدم الحض على إطعام المسكين، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾[3].

([1]) سورة البلد الآيات (١١-١٨).
([2]) سورة القلم الآيات (١٩-٢٠).
([3]) سورة الماعون الآيات (١-٣).

بل إن سورة فصلت تنذر المشركين بالويل والثبور، وتجعل من صفاتهم البارزة أنهم لا يؤتون الزكاة قال تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ ﴾[1].

وعلى الضد من ذلك نقرأ مدح الله ﷻ للمؤمنين، الذين ينفقون أموالهم على الفقراء والمحتاجين، فيقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٨ ﴾[2].

تلك هي عناية القرآن الكريم المكي بالفقراء والمساكين، والسائلين والمحرومين.

أما القرآن المدني فقد نظم الزكاة تنظيما لم يسبق إليه نظام أرضى بشرى، فقد جعلها القرآن المدني عنوانا للدخول في الإسلام، يستحق به الإنسان أخوة المسلمين، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[4].

والزكاة في الإسلام ليست تبرعا يتفضل به الغنى على الفقير والقادر على العاجز والواجد على المعدوم، لا، إنها أوسع من ذلك وأعمق، فهي نظام فريد عالج بها الإسلام مشكلة البائسين وحافظ على إنسانيتهم، ولا يذهب الظن بأحد الناس أن يعتقد أن الزكاة تجرح من كرامة المحتاج، وتخفض من مروءته، فإنها حق للفقير في مال الغنى، يتولى تحصيله الإمام أو من ينوب عنه، قال تعالى لرسوله ﷺ في القرآن الكريم: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم

---

(١) سورة فصلت الآيتين (٦-٧).

(٢) سورة الشورى الآية (٣٨).

(٣) سورة التوبة الآية (٥).

(٤) سورة التوبة الآية (١١).

بِهَا ﴾[1] فيد الحاكم هي التي تجبى الزكاة، وهى التي توزعها في مصارفها، وقد وكل الإسلام أمر تحصيل الزكاة إلى ولاة الأمور، لا إلى الأفراد لحكم سامية منها:-

(١- أن كثيرا من الأفراد قد تموت ضمائرهم أو يصيبها السقم والهزال، فلا ضمان للفقير إذا ترك حقه لمثل هؤلاء.

٢- في أخذ الفقير حقه من الدولة لا من الغنى حفظ لكرامته، وصيانة لماء وجهه أن يراق بالسؤال إلى ذي مال.

٣- إن ترك هذا الأمر للأفراد يجعل التوزيع فوضى، فقد ينتبه أكثر من غنى لإعطاء فقير، على حين يغفل عن أخر، فلا يفطن له أحد، ربما كان أشد فقرا من غيره.

٤- إن صرف الزكاة ليس مقصورا على الفقراء أو الأفراد فمن الجهات التي تصرف فيها الزكاة مصالح عامة للمسلمين لا يقدرها الأفراد، وإنما يقدرها أولو الأمر في الجماعة المسلمة كإعطاء المؤلفة قلوبهم، وإعداد العدة والعدد للجهاد في سبيل الله)[2].

والمتأمل في الآيات والأحاديث التي تحث على الزكاة يتأكد له أن الزكاة ليست تفضلا من إنسان إلى أخر، وإنما هي حق معلوم للفقير بوصفه أخا للغنى في الإنسانية، لأن المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، فمن حق الفقير الذي لا يستطيع العمل أو يستطيعه ولا يجده، أو يجده ولا يكفيه، من حق هذا الفقير أن يُعفى من الزكاة، وليس من الإنسانية أن يشبع الغنى ويشكو زحمة التخمة ويجوع الفقير ويشكو عضة الجوع، ومرارة الحرمان، كما لا يجوز للمؤمن أن يغفل الأصناف الأخرى الذين

---

(1) سورة التوبة الآية (١٠٣).

(2) فقه الزكاة د/ يوسف القرضاوي، ٧٤٧/٢ وما بعدها ط/ مؤسسة الرسالة بيروت ط/ الثامنة سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

عـددهم الله في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

(د) ومن العبادات التي تحظى باهتمام كبير لرفع إنسانية الإنسان فريضة الحج، التـي هـي الشعيرة الرابعة في الإسلام، وفيها يرتحل الإنسان ببدنه ويهفو بقلبه إلى بيت الله الحرام ويقـف على عرفات الله، ويسعى بين الصفا والمروة، ويطوف ببيت الله الحرام رمـز التوحيـد، والـذي كان يستقبله كل يوم في صلاته خمس مرات، إذا به الآن يلمسه بيديه.

والمتأمل في مناسك الحج بدءً من الإحرام، والتجرد من الثياب التـي يزدهـي بهـا النـاس ويختالون، والاكتفاء بثياب بيضاء متواضعة، أقرب ما تكون إلى الثوب الذي يكفن فيها موتى المسلمين، يتجلى له حرص الإسلام على المساواة بين الناس، فالثياب واحدة والهتـاف واحـد، والشعائر واحدة، فلا يمتاز الغنى عن الفقير، ولا يعلو القادر على العـاجز، ولا الواجـد عـلى المعدوم، بل شعارهم لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لـك لبيـك، إن الحمـد والنعمـة لـك والملك.

ومن ثمرات الحج، أنه يشعر المسلم بالمساواة في أجل صوره وأزهاها، فالجميع قد خلعـوا ملابسهم وأزياءهم التي تتباين رخصا وغلاءً، نظرا لاختلاف أقطارهم وطبقـاتهم وقـدراتهم وأذواقهم، ولبس الجميع ملابس الإحرام التي يستوي فيهـا الأمـير والفقـير، وطـافوا جميعـا حول بيت لا تستطيع أن تفرق بين من يملك القناطير، وبين من يملك قوت يومه، ثم جـاءوا إلى عرفات كأنهم إلى ربهم ينسلون، ووقف الجميع على صعيد عرفـات، لـيس هنالـك مكـان مخصص للأغنياء يرتفعون به عن الفقراء، بل ربما صعد الفقـير فـوق الغنـى، فـلا تفـاخر ولا

---

(1) سورة التوبة الآية (٦٠).

نسب ولا حسب، وفوق هذا نرى الشعور بالإنسانية يملأ على المحرم أقطار نفسه، حيث يستشعر أنه في بيت الله الحرام، وفى بلد الله الآمن ليس وحده، بل إن الآمان يشمل الطير في الجو، والصيد في البحر، والنبات في الأرض.

إن هذه المعاني حين تستيقظ في حس الإنسان ونفسه، تشعره بإنسانيته، وبتكريم الله له، حيث تم في الحج إلغاء كل الفروق بين الغنى والفقير والأمير إلغاءً تاما، ثم يعود الحاج إلى بيته وشعاره الله أكبر، أكبر من المال، أكبر من الجاه، وأكبر من النسب، وأكبر من الحسب، وأكبر من كل شيء.

ومما سبق يتبين أن العبادات في الإسلام تهدف إلى الارتقاء بالإنسان، وإشعاره بتكريم الله له، وتذويب الفوارق بين الناس، فلا قيمة للمال ولا للنسب ولا للحسب، وإنما مدار التكريم على صلاح الإنسان وتقواه لله -عز جل- يتساوى الناس في ذلك من خلال عبادة الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها من صور العبادات التي افترضها الله ﷻ على المسلمين.

❁❁❁

المطلب الرابع إنسانية التشريع والأخلاق في الإسلام

(١) تقدير الإسلام لإنسانية المرأة:

لقد قرر الإسلام للمرأة أهليتها الاقتصادية، وأهليتها الاجتماعية، كما قرر أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية، وجعل لها دورا في إصلاح البيئة والمجتمع، حيث أمرها بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

والمرأة في هذا كله تشترك مع الرجال، فالنساء شقائق الرجال، ويمكن بيان رفعة الإسلام لإنسانية المرأة من زاويتين:-

الأولى- كونها أختا في النسب بالنسبة للرجل، وقد جاء تقرير ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2] وفى هذه الآية نداء بكلمة الناس، الذي يشمل الرجال والنساء، معلنا أنه خلقهم من أب واحد وأم واحدة، وأخوة النسب تقتضى المساواة فيه بلا زيادة أو نقصان، وهى فوق ذلك إنسان تساوى الرجل في الإنسانية، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

([1]) سورة التوبة الآيتان (٧١-٧٢).

([2]) سورة الحجرات الآية (١٣).

ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[1].

ويوضح الشيخ البهي الخ ولى تلك المساواة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ فهو إذا ينادى الجميع بكلمة الناس، يطلب إليهم أن يتقوا ربهم، وتقوى الله تتعلق بخصائص روحية في النفس، ولا صلة لها بتة بما بين الأفراد من روابط النسب، وعلائق اللحم والدم، فإذا نودى الناس أن يتقوا ربهم، فالنداء متوجه إليهم باعتبار خصوصية الإنسانية فيهم، تلك الخصوصية التي تجعلهم نوعا قائما بذاته بين أنواع كائنات هذه الأرض، وبما أن المرأة داخلة مع الرجل في كلمة الناس فهي مخاطبة معه في كلمة التقوى، أي أن الخطاب موجه إليها باعتبار خصوصية الإنسانية فيها فهي إنسان كما هو إنسان)[2].

وبهذا فالمرأة تساوى الرجل في أصل الخلق، وفى معنى الإنسانية، وعلى أساس هذا التقرير أكد الإسلام على أهلية المرأة الدينية والاقتصادية والاجتماعية.

أما أهليتها للتدين فقد نوديت في القرآن الكريم بخصوصية الإنسانية فيها كما سبق، كما وجه الله إليهما الخطاب معا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3] وأنكر عليهما مخالفة الأمر فقال: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[4].

---

(1) سورة النساء الآية (١).

(2) الإسلام وقضايا المرآة المعاصرة أ/ البهي الخ ولى صـ٢١ بتصرف دار التراث ط/ الرابعة ١٩٨٤م.

(3) سورة البقرة الآية (٣٥).

(4) سورة الأعراف الآية (٢٢)

كما أكد الإسلام مساواتها للرجل مساواة تامة، فجعل للنساء بيعة خاصة بهن غير بيعة الرجال فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

وهذه البيعة تدل على أن المرأة مسئولة عن نفسها مسؤولية خاصة، وبناءا على ذلك وقفت المرأة مع الرجل على درجة سواء في ميزان الثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[4].

أما أهليتها الاقتصادية فقد أعطاها الإسلام حق مباشرة عقود التصرفات بجميع أنواعها، وجعل لها السلطان المطلق في ملكيتها، ولم يجعل للرجل عليها من سبيل، كما أعطاها الحق في الميراث، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ

---

(1) سورة الممتحنة الآية (١٢).
(2) سورة النحل الآية (٩٧).
(3) سورة التوبة الآية (٧٢).
(4) سورة الأحزاب الآية (٣٥).

﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾[1] وأعطاها الحق في الملكية الخاصة، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾[2].

فإذا تزوجت البكر أو الثيب وجب عليها أن تتبع زوجها في السكن حيث يقيم؛ كما أعطاها الإسلام الحق في قبول أو رفض من جاء يطلب يدها، ولا حق لوليها أن يجبرها على قبول من لا تريد.

بل أجاز الإسلام للمرأة أن تباشر عقد زواجها بنفسها، يقول الشيخ محمود شلتوت: (إذا رجعنا إلى القرآن في هذه المسألة وجدناه يضيف هذا التصرف إلى المرأة نفسها، انظر قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾[3] وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾[5] وهذه الآيات ظاهرة في أن زواج المرأة ورجوعها إلى زوجها مضاف إليها، صادر عنها من غير أن يتوقف على مباشرة وليها لهذه التصرفات، وليس من المعقول ولا المعهود شرعا أن يستعير رضا إنسان في صحة تصرف، ثم يحكم ببطلانه إذا ما باشره بنفسه، ولاشك أن صحة التصرفات لا تستدعى أكثر من العقل والبلوغ، وما دامت البكر كالثيب

---

(1) سورة النساء الآية (٧).

(2) سورة النساء الآية (٤).

(3) سورة الأحزاب الآية (٥٠).

(4) سورة البقرة الآية (٢٣٠).

(5) سورة البقرة الآيات (٢٣٤).

عاقلة بالغة فإنا لا نكاد نفهم أنها إذا باشرت عقد الزواج يكون باطلا... ولا شك أيضا في أن مقاصد عقد الزواج يرجع معظمها إلى المرأة، ومن الأصول المقررة أن مثل هذا العقد يتولاه من يختص بمقاصده الأصلية)[1].

بل إن الإسلام أجاز للمرأة أن تجير على المسلمين، وهذا أمر من أخطر الأمور وأحوجها إلى الحذر والاحتياط، ومنحه للمرأة في الإسلام دليل على ثقة الإسلام بها، وقدرتها على حمل الأمانة والتبعات الثقال، لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، فقد جاء في فتح مكة أن أم هانئ بنت أبى طالب أخت على بن أبى طالب أجارت رجلا من المشركين، فأبى على إلا أن يقتله، فأسرعت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله زعم ابن أبى على ابن أبى طالب أنه قاتل رجلا قد أجرته، وسمَّت الرجل، فقال رسول الله ﷺ: **"قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"**[2] وفى الحديث عن النبي ﷺ **"يد المسلمين على من سواهم تتكافئ دماؤهم ويجير عليهم أدناهم"**[3].

فكل ما سبق يدل على تقدير الإسلام لإنسانية المرأة وأهليتها الدينية والاقتصادية والاجتماعية.

---

(1) رسالة القرآن والمرأة الشيخ محمود شلتوت صـ١٢-١٣ ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(2) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد ٣/٨٤-٨٥ (٢٧٦٣).

(3) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد ٣/٨١ (٢٧٥١). رواه ابن ماجة في كتاب الديات ٢/٨٩٥ (٢٦٨٥). ورواه أحمد في المسند ١/١١٩-١٢٢.

(٢) حسن أخلاق المجاهدين في الحرب:

إذا كانت رؤية الدم تثير الدم، والعداء يبعث على الحقد والغضب، ونشوة النصر تؤدى إلى التشفي والانتقام، فإن الإسلام له أخلاق في حربه تخالف ذلك، فلم يشرع الإسلام الحرب إلا لأمرين:-

١- الدفاع عن عقيدة الأمة وأخلاقها.

٢- الدفاع عن حرية الشعب واستقلاله وسلامته، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾[١].

بل إن الإسلام حمى أماكن العبادة لكل الديانات قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٢].

ودعت الشريعة الإسلامية الغراء إلى الدفاع عن الضعفاء المستذلين قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[٣].

وقد فرق الإسلام بين حربين، حرب في سبيل الله، وحرب في سبيل الشيطان والطغيان، فشرع الأولى، وحرم الثانية، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[٤] ومن أجل ذلك كانت الحرب في سبيل الله من مبادئها أن لا يُقاتَل إلا من يحمل السلاح قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ

---

(١) سورة البقرة الآية (١٩٣).
(٢) سورة الحج الآية (٤٠).
(٣) سورة النساء الآية (٧٥).
(٤) سورة النساء الآية (٧٦).

عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[1] هذه هي بعض المبادئ الإنسانية للحرب في الإسلام، وهى تدل على سمو التشريع الإسلامي وإنسانيته.

وهذه بعض النماذج التطبيقية لمبادئ الحرب في الإسلام:

لقد وقف الإسلام الحنيف موقفا إنسانيا مع الإنسان من حيث هو إنسان، فأضفى عليه من الحماية ما يضفيه على أتباعه في السلم والحرب، وشرع له أحكاما مفصلة، ودعاه إلى تنفيذها وتطبيقها عمليا، ومما يؤكد ذلك عمل النبي ﷺ في سيرته ومغازيه.

فهذا رسول الله ﷺ يجد في بعض مغازيه امرأة مقتولة، فأنكر رسول الله قتل النساء والصبيان[2] فعن رباح بن ربيع التميمي قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فرأى الناس مجتمعين فرأى امرأة مقتولة فقال: **"ما كانت هذه لتقاتل"**[3].

وقد استنبط الفقهاء من هذه الآثار أحكاما تخص الصغير ومن في حكمه، من النساء والشيوخ والرهبان والفلاحين والعجزة، ومن لا يشتركون في القتال، كالعميان بوجوب تجنيبهم ويلات الحروب، وعدم التعرض لهم.

وهكذا كان المسلمون يترسمون خطا نبيهم ﷺ ويتحرون تطبيق أحكام الإسلام بكل دقه وعناية.

وفى غزوة أحد قتل أسد الله حمزة، قتله وحشي بن حرب بتحريض من هند بنت عتبة، زوج أبى سفيان بن حرب، وأخذت تمضغ كبده، ثم أسلمت هند وأسلم وحشي، فما كان من الرسول إلا أن استغفر لهند وقبل إسلام وحشي وقال له: **"غيب عنى وجهك يا وحشي حتى**

---

(1) سورة البقرة الآية (١٩٤)

(2) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الجهاد ٦/ ١٤٨ (٣٠١٥) ورواه الإمام مسلم في كتاب الجهاد ٣/ ١٣٦٤ (١٧٤٤).

(3) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد ٣/٥٤ (٢٦٦٩).

لا أراك" وهم وحشي بالانصراف فعاد رسول الله ﷺ يقول له: **" يا وحشي- اخرج فقاتل في سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله"** ويا له من توجيه نبوي كريم، يصدر عن قلب كبير رحيم[1] هذا كل ما كان من رسول الله ﷺ مع قاتل عمه ومع ماضغة كبده هند.

ومن الصور الإنسانية السامية في الإسلام بعد الفتح والنصر- على الخصوم ما يحكيه التاريخ الإسلامي في فتح القسطنطينية أنه: (لما فتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية دخل إلى كنيسة أيا صوفيا، وكان قد لجأ إليها رجال الكنيسة، فأحسن استقبالهم وأكد حمايته لهم، وطلب من المسيحيين الفزعين أن يذهبوا إلى بيوتهم آمنين، ثم نظم شئونهم، وترك لهم حق اتباع كنائسهم وقوانينهم وتقاليدهم، وترك للقساوسة انتخاب بطريرك لهم، فانتخبوا جناديوس، واحتفل السلطان بانتخابه بنفس الأوبهة التي كانت متبعة في عهد البيزنطيين، وقال له: لتكن بطريركا في كل وقت وظرف، ولتتمتع بكل الحقوق والامتيازات التي كانت لمن سبقك، ثم أهداه فرسا جميلا، وجعل له حرسا خاصا من الإنكشارية، وصحبه باشوات الدولة إلى المكان الذي أعد له، ثم أعلن السلطان الفاتح اعترافه بقوانين الكنيسة الأرثوذوكسية ووضعها تحت رعايته)[2].

هكذا فعل السلطان محمد الفاتح مع النصارى في القسطنطينية، دون أن يكون عليه شروط يجب الوفاء بها، وإنما موقفه أملاه عليه إيمانه وإسلامه.

---

(1) انظر أبطال عقيدة وجهاد ضمن موسوعة الفداء في الإسلام، أحمد الشرباصى ٣٨/٢ وما بعدها ط/ دار الجيل ط/ الأولى سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(2) من روائع حضارتنا د/ مصطفى السباعي صـ١٠٥-١٠٦، مكتبه المكتب الإسلامي ط/ الخامسة ١٩٨٧م.

(٣) منهج الإسلام في تحرير الرقيق والتعامل معهم:

قبل الخوض في موقف الإسلام من الرق، تجدر الإشارة إلى تاريخ الرق؛ لكي يتضح منهج الإسلام وإنسانيته في معاملة الرقيق وتحريره.

عُرِفَ الرق منذ القدم أنه كان نتيجة الحروب الدائرة بين القبائل والشعوب، فهو موجود منذ بدء الخليقة، وذكر في العهد القديم[١] كما أقرته النصرانية بعد نشأتها وتطورها[٢].

وجاء الإسلام وأشرق نوره، فوجد الرق منتشرا في جزيرة العرب بنسبة كبيرة، فأبطل منه جميع الأنواع ما عدا الرق الناشئ عن المقاتلين في الحروب، فقد وضع من الضوابط التي تقيده وتركه لضرورة الوقت، ثم كان تشريعه الدقيق على سبيل التدرج، إذ كان إلغاؤه دفعة واحدة أمرا عسيرا بل مستحيلا، وذلك من ناحية السادة، ومن ناحية الرقيق أنفسهم.

منهج الإسلام في تحرير الرقيق: لقد جاء التشريع الإسلامي الحكيم فلم ير أن يلغى الرق دفعة واحدة، بعد أن أصبح جزءا من حياة الشعوب، وأصبح جزءا من نظامها الاجتماعي، لأن ذلك سوف يحدث هزة عنيفة قد تؤدى إلى تصدع بنيان الحياة في كثير من الأمم.

ولقد اعتمد التشريع الإسلامي في تحرير الرقيق؛ على ثلاثة أمور:-

١- سد جميع المنافذ التي يدخل منها الأحرار إلى الرق، وحصر مدخله في باب واحد.

٢- فتح عددا كبيرا من أبواب تحرير الرقيق ليجدوا طريقهم إلى الحرية.

٤-وصى الإسلام بحسن معاملة الرقيق والرفق بهم.

---

(١) انظر سفر العدد (٣١-٢:٧) وسفر التثنية (٢١-١٤) (٢٤-٧).

(٢) انظر رسالة بولس لأهل أفسس.

(١) الطريقة الأولى:

لقد منع الإسلام ما كان عليه الناس من استرقاق الأقوياء للضعفاء، فألغى الرق الناشئ عن القرصنة والاختطاف، والرق الناشئ عن تجريد الإنسان من حريته بسبب استغراق ذمته بدين، والرق الناشئ عن بيع الأولاد وما في معناه، والرق الجماعي الناشئ عن السيطرة والاستيلاء على البلاد، ولم يبق على شيء من ذلك، بل وحرم كل ذلك تحريما قاطعا، اللهم إلا استرقاق أسرى الحروب، فقد أبقى عليه مؤقتا معاملة للعدو بمثل معاملته، حتى يمكن تخفيف الوطأة على الأسرى الذين بيده، وإن كان الإسلام لم يوجبه بل جعل للإمام الخيار في أن يقبل الفداء، أو يمن ويطلق سراحهم بدون فداء، وهذا ما صرحت به الآية الكريمة في سورة القتال: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾[1].

يقول الشيخ رشيد رضا: (ولما كان في هذه الآية تخيير بين إطلاق الرقيق وتحريره بغير مقابل، والفداء بهم، جاز أن يعد ذلك أصلا شرعيا لإبطال استئناف الاسترقاق في الإسلام، فإن ظاهر التخيير بين هذين الأمرين أن الأمر الثالث الذي هو الاسترقاق غير جائز لو لم يعارضه أنه هو الأصل المتبع عند جميع الأمم، فمن أكبر المفاسد أن يسترقوا أسرانا ونطلق أسراهم، ولكن الآية ليست نصا في الحصر ولا صريحة في النهى عن الأصل، فكانت دلالتها على تحريم الاسترقاق مطلقا غير قطعية فبقى حكمه محل اجتهاد أولو الأمر، إذا وجدوا

---

(١) سورة محمد الآية (٤).

المصلحة في إبقائه أبقوه، وإذا وجدوا المصلحة في ترجيح المن عليهم بالحرية هو إبطال اختياري له، أو الفداء بهم عملوا به[١].

الطريقة الثانية: ما شرعه الإسلام لتحرير الرقيق وجوبا أو ندبا ومن ذلك:-

١- جعل الإسلام أن الأصل في الناس الحرية، وأن الرق طارئ، فقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إلى سيدنا عمرو بن العاص ﷺ واليه على مصر، يقول له يا عمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

٢- حرم الإسلام استرقاق الأحرار من غير أسر الحرب الشرعية، وجعل ذلك من أبشع الذنوب، فعن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله تعالى: (**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجرا**)[٢].

وفى حديث آخر عند ابن ماجة: **"ثلاث لا يقبل الله منهم صلاة... ورجل اعتبد محررا"**[٣].

٣- شرع الله ﷻ للمملوك أن يكاتب نفسه، وهذا تشريع عجيب، يخول للمملوك أن يشترى حريته من مالكه بثمن معين يدفعه له أقساطا ويحصله من عمله الحر، وهذا الباب من حق المملوك أن يفتحه متى شاء، ولا يصح للمالك أن يمتنع من ذلك.

---

(١) الوحي المحمدي محمد رشيد رضا صـ٣٤١ بتصرف، نشر مؤسسة عز الدين بيروت لبنان، ط/ الثالثة سنة ١٤٠٦هـ.

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب البيوع ٤٨٧/٤ (٢٢٢٧).

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٣١١/١ (٩٧٠).

قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ ﴾[1] فهذه الآية تحض المالكين على قبول الكتابة، بل وتطلب منهم مساعدتهم ماليا.

جاء في صحيح البخاري بعد ذكر هذه الآية قال روح عن ابن جرير قلت لعطاء أواجب علىَ إذا علمت أن له -أي لمملوكه- أن أكاتبه قال: ما أراه إلا واجبا[2].

وقال عمر بن دينار: قلت لعطاء أتأثره عن أحد؟ قال: لا، ثم أخبرني أن موسى بن أنس أخبره أن سيرين سأل أنسا المكاتبة وكان كثير المال فأبى، فانطلق سيرين إلي عمر، فدعاه عمر فقال له: كاتبه، فأبى، فضربه بالدرة وتلا قوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ فكاتبه[3].

٤- إذا خرج الأرقاء من دار الكفر ودخلوا دار الإسلام صاروا أحرارا، وعلى الحاكم المسلم تنفيذ ذلك.

٥- أن من أعتق حصة له من عبد، عتق كله عليه من ماله إن كان له مال، وإن كان لغيره حصة فيه فله أحكام أخرى، ففي الحديث عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: **"من أعتق نصيبا أو شقيصا في مملوك فخلاصه عليه من مال إن كان له مال، وإلا قوُمَ عليه، فاستسعى به غير مشقوق عليه"**[4].

---

(1) سورة النور الآية (٣٣).

(2) أخرجه البخاري معلقا في كتاب المكاتب ٢١٩/٥.

(3) أخرجه البخاري معلقا في كتاب المكاتب ٢١٩/٥.

(4) الحديث رواه البخاري في كتاب الشركة ١٨٦/٥ (٢٥٢٧) ورواه الإمام مسلم في كتاب العتق ١٢٨٧/٣ (١٥٠٣).

٦- من عذَب مملوكه، أو مثل به، أو خصاه عتق عليه، وقد روى الإمام أحمد أن زنباعا أبا روح وجد غلاما له مع جارية له فجدع أنفه، وجبه، فشكاه إلى النبي ﷺ فسأله فاعترف وذكر ذنبه، فقال النبي ﷺ للغلام: **"اذهب فأنت حر"**[١] وأخرج أبو داود وابن ماجة جاء رجل إلى النبي ﷺ صارخا **"فقال له النبي ﷺ: مالك؟ قال: سيدي رآني أقبل جارية فجب مذاكري، فقال الرسول ﷺ: علىَ بالرجل، فطلب فلم يقدر عليه، فقال الرسول ﷺ للغلام: اذهب فأنت حر"**[٢].

٧- إيذاء المملوك حرام ولا كفارة لذنبه إلا عتقه، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول **"من لطم مملوكا أو عذبه فكفارته أن يعتقه"**[٣] وعن سويد بن مقرن قال: كنا بنى مقرن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا إلا خادمة واحدة، فلطمها أحدنا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **"أعتقوها"**[٤].

وعن أبى مسعود البدري قال كنت أضرب غلاما بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي يقول: اعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود، فألقيت السوط من يدي، وفى رواية فسقط من يدي السوط

---

(١) الحديث رواه أحمد. في المسند ٢/٢١٧-٢٢٤.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الديات ٢/٨٩٢ (٢٦٨٠).

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣/١٢٧٨ (٢٩-١٦٥٧) ورواه أبو داود في كتاب الأدب ٤/٣٤٤ (٥١٦٨).

(٤) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣/١٢٨٠ (٣٣-١٦٥٨) ورواه أبو داود في كتاب الأدب ٤/٣٤٤ (٥١٦٦).

من هيبته، فقال: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر منك على هذا الغلام، وفى رواية "عليه" فقلت يا رسول الله: هو حر لوجه الله فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار[١].

٨- التدبير عتق لازم إذا قال السيد لعبده أنت مدبر، أو أنت حر عن دبر منى، أو أنت حر بعد موتى، وقصد السيد بذلك التدبير، فبعض العلماء يرجح أنه تدبير لا يجوز الرجوع فيه بخلاف الوصية، كما أن المدبر لا يجوز له بيع المدبَر.

٩- أمهات الأولاد يعتقن، بمعنى أن الجارية التي تلد لسيدها ولدا تصير حرة بعد موته، فلا يجوز له بيعها في حياته، ولا تدخل في التركة بعد وفاته، ففي حديث عمر **"أيّ وليدة ولدت من سيدها فإنه لا يبيعها ولا يهبها ولا يورثها، وهو يستمتع منها فإذا مات فهي حرة"**[٢].

١٠- أن من ملك أحدا من الأقارب المحارم عتق عليه، فعن سمرة بن جندب قال **"من ملك ذا رحم محرم فهو حر"**[٣].

النوع الثاني من وسائل تحرير الرقيق (الكفارات):

ويقصد بها القربات التي تمحو الذنوب، وأعظمها عتق الرقاب، وهى ثلاث أقسام:

أولا: واجب على القادر بملكها أو بملك ثمنها وذلك فيما يلي:-

أ- كفارة الظهار قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأدب ٣٤٢/٤-٣٤٣ (٥١٥٩).

(٢) الحديث رواه الإمام مالك في الموطأ كتاب العتق والولاء، باب عتق أمهات الأولاد ٥٩٤/٢ (٦).

(٣) الحديث رواه أبو داود في كتاب الفتن ٢٥/٤ (٣٩٥٠) ورواه الترمذي في كتاب الأحكام ٣٤٦/٣ (١٣٦٥) ورواه ابن ماجة في كتاب العتق ٨٤٣/٢ (٢٥٢٤) (٢٥٢٥).

يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[1].

ب- كفارة قتل النفس الخطأ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ ﴾[2].

جـ- كفارة إفساد الصيام بالجماع.

ثانيها: واجب مخير فيه وهو كفارة اليمين قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[3].

ثالثها: مندوب وهو العتق لتكفير الذنوب وقد ورد في السنة أن للعتق ثوابا عظيما، منها قوله ﷺ **"من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل إرب منها -أي عضو منها- إربا منه من النار"**[4].

([1]) سورة المجادلة الآيتان (٣-٤).

([2]) سورة النساء الآية (٩١).

([3]) سورة المائدة الآية (٨٩).

([4]) الحديث رواه الإمام مسلم في العتق باب فضل العتق ١١٤٧/٢ (٢١-١٠٥٩).

النوع الثالث: من مصارف الزكاة في الإسلام تحرير الرقاب:

وهذا الباب أرصده الإسلام لتحرير الرقاب مطلقا، سواء كان لمسلمين أو لغير مسلمين، وإذا أدركنا المقادير التي يمكن أن تبلغها أموال الزكاة، علمنا كم يبلغ عدد من يحررون من خلال هذا الباب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وهو شامل للعتق ولإعانة المكاتب، فلو أن زكاة المسلمين تجمعت وصرفت في مصارفها، لأمكن تحرير جميع الرقيق من دار الإسلام.

النوع الرابع: العتق الاختياري ابتغاء مرضاة الله:

فقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يرغب في العتق، حيث جعله القرآن الكريم من البر قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾[3] وورد في السنة قول النبي ﷺ: **"أيما رجل اعتق امرءا مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا من النار"**[4].

---

(1) سورة التوبة الآية (٦٠).

(2) سورة البقرة الآية (١٧٧).

(3) سورة البلد الآيات (١١-١٣).

(4) الحديث رواه البخاري في كتاب العتق ١٧٤/٥ (٢٥١٧) ورواه الإمام مسلم في كتاب العتق ١١٤٨/٢ (٢٤-١٥٠٩).

تلك هي الأبواب التي فتحها الإسلام الحنيف لتفضي بالأرقاء إلى ساحة الحرية، على أن الإسلام لم يهمل الأرقاء الذين ضرب عليهم الرق، ولم يسعدهم الحظ، بل حث على العناية بهم، والرفق معهم، وعدم جرح شعورهم، وعدم إرهاقهم فقد قال ﷺ: **"إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليؤكله مما يأكل، وليلبسه مما يلبس"**[١].

كما قرر القرآن الكريم الوصية بهم مع الوالدين والأقربين فقال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٢] بل إن النبي ﷺ **"نهى عن أن يقول الرجل: عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي"**[٣].

بل بلغ اهتمام الرسول ﷺ بأمر الرقيق أنه وصى بهم في مرض موته، ولهذا كان المسلمون في فجر الإسلام يعاملون الرقيق معامله في غاية التكريم، احتراما لإنسانيتهم.

(٤) إنسانية الإسلام في تعامله مع أهل الكتاب:[٤]

تتجلى إنسانية الإسلام في تعامله مع أهل الكتاب في صورة عظيمة، حيث يدعوهم بأسلوب أسمى لا يمكن أن يتصوره إنسان في طريق الحوار، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب العتق ٢٠٦/٥ (٢٥٤٥) ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١٢٨٢/٣-١٢٨٣ (٤٠-١٦٦١).

(٢) سورة النساء الآية (٣٦).

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في كتب العتق ٢١٠/٥ (٢٥٥٢) ورواه الإمام مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ١٧٦٤/٤ (١٣-٢٢٤٩).

(٤) انظر تفصيلات هذا الموضوع في كتاب (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي) د/ يوسف القرضاوى ط/ مكتبة.

تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

فالإسلام يوصى أتباعه بأن يكون جدالهم مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وأن يذكروهم بأنهم يؤمنون بالوحي الذي نزل على أنبيائهم، مع إيمانهم بالوحي الذي جاء به محمد ﷺ كما يذكروهم بأن إلهنا وإلههم واحد، وفى هذا من اللطف والتعبير عن المودة الباقية، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2]

بل إن القرآن الكريم يفرض على المسلمين أن يبروا أهل الكتاب، ويقسطوا إليهم؛ ما داموا لم يناصبوهم العداء، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[3].

ولقد جاءت الأحكام الإسلامية تقرر حقوقا لأهل الكتاب وترعى إنسانيتهم من هذه الحقوق: حق الحماية وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الحماية من الاعتداء الخارجي.

القسم الثاني: الحماية من الاعتداء الداخلي.

وقد تكاثرت في ذلك الأحاديث منها، قالوا له ﷺ: **"ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة"**[4].

([1]) سورة آل عمران الآية (٦٤).

([2]) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

([3]) سورة الممتحنة الآية (٨).

([4]) الحديث رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء ٣/ ١٧٠-١٧١(٣٠٥٢).

ويتضمن حق الحماية حماية الدماء والأنفس والأبدان والأموال والأعراض، ويستدل على ذلك بأحاديث منها قوله ﷺ: **"من قتل معاهدا لم يُرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما"**[١].

وتتجلى إنسانية الإسلام أروع ما تكون في تأمينه لغير المسلمين، وإعالتهم وكفالتهم إذا كانوا ضمن رعايا الدولة الإسلامية.

ومن أجلّ ما أوجبه الإسلام على المسلمين، أن يدعوا لأهل الكتاب حرية الاعتقاد والتعبد، فلا يجبروهم على ترك أديانهم، ولا يقسروهم على التحول عنها، وأساس ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ ﴾[٣].

ولعل إيراد سبب نزول آية البقرة يبرز معناها، فقد ذكر المفسرون عن ابن عباس قال: (كانت المرأة مقلاة -قليلة النسل- فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده -كان يفعل ذلك نساء الأنصار في الجاهلية- فلما أجلى بنى النضير من المدينة كان فيهم من أبناء الأنصار، فقال آباؤهم: لا ندع أبنائنا يعانون، لا ندعهم يعتنقون اليهودية، فأنزل الله ﷻ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[٤] فكما صان الإسلام لهم حرية التدين، صان لهم أيضا حرية التعبد، وممارسة الشعائر.

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في الجزية والموادعة ٣١١/٦ (٣١٦٦).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٦).
(٣) سورة يونس الآية (٩٩).
(٤) تفسير ابن كثير ٣١٠/١ والآية من سورة البقرة (٢٥٦).

هذه بعض الحقوق التي منحها الإسلام لأهل الكتاب، وهى تبرز جانبا هاما من إنسانية الإسلام في تعامله مع المخالفين في الدين، وليس ذلك فقط، بل أباح الإسلام لهم حرية العمل والكسب ومنحهم الحق في تولى وظائف الدولة الإسلامية في غير الوظائف الدينية يشهد بذلك التاريخ والواقع.

(٥) الرفق بالحيوان:

لقد شملت إنسانية الإسلام الحيوان، وجعلت له نصيبا من الرفق، وحظا من الرحمة، فقرر الإسلام أن عالم الحيوان كعالم الإنسان، له خصائصه وطبائعه قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[1].

ولقد جعل الإسلام الرحمة بالحيوان سبيلا إلى الجنة، ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **"بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له"** قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟ فقال: **"في كل كبد رطبة أجر"**[2].

كما جعل القسوة على الحيوان سبيلا إلى النار فقال ﷺ: **"دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"**[3].

---

(1) سورة الأنعام الآية (٣٨).

(2) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب المساقاة ٥/٥٠ (٢٣٦٣) ورواه الإمام مسلم في كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها ٤/ ١٧٦١ (١٥٣-٢٢٤٤).

(3) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب التوبة ٤/٢٠٢٣ (١٣٥-٢٦١٩).

ومضت الشريعة الإسلامية تفصل الأحكام في الرفق بالحيوان، فحرمت المكث الطويل على ظهره وهو واقف، قال ﷺ: **"لا تتخذوا ظهور دوابكم كراس"**[١].

كما حرم إجاعته وتعريضه للضعف ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: **"اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة"**[٢].

كما حرم الإسلام إرهاق الحيوان بتحميله فوق طاقته، فقد دخل رسول الله ﷺ بستانا لرجل من الأنصار فيه جمل فلما رأى النبي ﷺ حنَ وذرفت عيناه، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح دموعه، ثم قال: **من صاحب هذا الجمل؟** فقال: أنا يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: **أفلا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتتعبه من كثرة استعماله"**[٣].

كما حرم الإسلام التلهي بالصيد قال ﷺ **"من قتل عصفورا عبثا، عج إلى الله يوم القيامة يقول: يارب إن فلانا قتلني عبثا، ولم يقتلني منفعة"**[٤] وقد لعن رسول الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا[٥] ونهى الرسول ﷺ عن التحرش بين الحيوانات، ووسمها في وجوهها بالنار، فقد مر الرسول ﷺ على حمار قد وسم في وجهه فقال لعن الله الذي وسمه[٦].

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسد ٤٣٩/٣-٤٤١، ٢٣٤/٤ ورواه الدارمي في كتاب الاستئذان ٣٧١/٢-٣٧٢ (٢٦٦٨).

(٢) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الجهاد ٢٣/٣ (٢٥٤٨).

(٣) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الجهاد ٢٣/٣ (٢٥٤٩).

(٤) الحديث رواه الإمام النسائي في كتاب الصيد ٢٣٩/٧، ورواه الدارمي في كتاب الأضاحي ١١٥/٢(١٩٧٨) عن ابن عمر ورواه أحمد في المسند ١٦٦/٢-١٩٧-٢١٠، ٢٨٩/٤.

(٥) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الصيد ١٥٤٩/٣ (٥٨-١٩٥٦) ورواه الإمام أحمد في المسند ٢١٦/١-٢٧٣.

(٦) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الجهاد ٢٦/٣ (٢٥٦٢).

ودعا الإسلام إلى الرحمة والشفقة بالحيوان عند الذبح فقال ﷺ: **"إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته"**[1].

بل نهى رسول الله ﷺ عن فجيعة الطير في أولاده، فعن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حمرة معها فرخان لها، فأخذناهما فجاءت الحمرة تعرش -أي ترفرف بجناحيها- فلما جاء رسول الله ﷺ قال: **"من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها"** ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال: **من أحرق هذه؟** قلنا نحن، قال: **"لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار"**[2].

هذه هي بعض مظاهر الإسلام الإنسانية في الرفق بالحيوان فكيف كان المسلمون يطبقونها؟ لقد طبق المسلمون هذه المبادئ الإنسانية على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الحكومات، أما على مستوى الأفراد فقد قال بعض المسلمين: (إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف. وقد مر عمر بن الخطاب برجل يسحب شاة برجلها، قال: ويلك! قدها إلى الموت قودا جميلا. أما عن عناية الدولة فقد كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى ولاته يأمرهم أن ينهوا الناس عن ركض الفرس بغير حق، وأن لا يسمحوا لأحد أن يلجم دابته بلجام ثقيل، أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديد. بل كان هناك أوقاف خاصة؛ لتطبيب الحيوانات المريضة، ورعى الحيوانات العاجزة، التي يأبى

---

(1) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الصيد ١٥٤٨/٣ (٥٧-١٩٥٥) ورواه الإمام أبو داود في كتاب الأضاحي ١٠٠/٣ (٢٨١٥) ورواه الإمام الترمذي في كتاب الديات ١٦/٤ (١٤٠٩) ورواه النسائي في كتاب الضحايا ٢٢٧/٧ ورواه أحمد في المسند ١٢٣/٤-١٢٤-١٢٥.

(2) الحديث رواه الإمام أبو داود في كتاب الجهاد ٥٥/٣ (٢٦٧٥).

أصحابها النفقة عليها لعدم انتفاعهم بها. ومن صور الإنسانية في رفق الأفراد بالحيوان، أن أبا الدرداء كان له بعير فكان يقول له: أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك، وكان عدى بن حاتم يفت الخبز للنمل ويقول أنهن جارات لنا)[1].

هذه هي بعض النماذج والصور الدالة على رفق المسلمين في تعاملهم مع الحيوان الأعجم، ومدى إنسانيتهم في العطف عليه والرحمة به.

ومما سبق يتجلى بوضوح إنسانية الإسلام في تعامله مع الرقيق، تلك الطائفة الضعيفة التي لا تمتلك حريتها فقد عاملها الإسلام معاملة في غاية العطف والإشفاق، ورفع منزلتهم إلى درجة الإخاء مع إخوانهم السادة، وقد أوجب لهم حقوقا يجب أن تؤدى وفتح الأبواب أمام حريتهم حتى يتحرروا من قيد العبودية بل ورغب الملاك في ذلك ووعدهم بالثواب الجزيل الذي يرتقى إلى عتقهم من النار.

ليس هذا فقط بل امتدت إنسانية الإسلام لتشمل من نختلف معهم في الدين حيث قرر حقوقا لأهل الذمة صان بها دمائهم وأموالهم وأعراضهم، بل منحهم الإسلام من المال ما به يعيشون في الدولة الإسلامية دون امتهان لآدميتهم.

ومن أروع الصور الدالة على إنسانية الإسلام ما تمتلئ به صفحاته من الدعوة إلى الرفق بالحيوان والرحمة به والحنو عليه، وإطعامه وتغذيته، والتخفيف عنه، والنهى عن اللهو به، واتخاذه غرضا دون فائدة تعود على الإنسان.

وهذه الصور السابقة لا نظير لها في غير الإسلام، والواقع المشاهد خير دليل على ذلك.

❁❁❁

(١) انظر كتاب من روائع حضارتنا د/ مصطفى السباعي صـ١١٣ وما بعدها. ط/ المكتب الإسلامي.

خاتمة البحث وأهم التوصيات

لا ريب أن الباحث عن الحق والحقيقة إذا تجرد من مظاهر الهوى والتعصب، وأخذ نفسه بالموضوعية والدقة والإنصاف، فإنه حتما سينتهي إلى أن الدعوة الإسلامية انفردت بخصائص متميزة ليست لغيرها من الرسالات السابقة، أو المناهج البشرية، ويمكن بيان أهم نتائج البحث فيما يلي:

أولا: فيما يتعلق بالربانية: أن القرآن الكريم هو الكتاب الرباني الوحيد الذي بقى محفوظا من التحريف والتغيير والتبديل، وأدلة كونه ربانيا لا تخفى على أحد؛ لأن الله ﷻ تكفل بحفظه؛ لذلك سلم من تدخل يد البشر فيه.

ثانيا: فيما يتعلق بالتوحيد: الوحدانية في الإسلام هي أول ما يجب لله ﷻ من صفات بعد صفة الوجود، والواجب على المسلم أن يؤمن بها، وأن يعتقد بأن الله ﷻ ليس له شبيه ولا نظير ولا مثيل، ولا جهة ولا صاحبه ولا والد ولا مولود ولا يعتريه تغير وهو بخلاف ما يعتقد اليهود والنصارى في كل ذلك فالله ﷻ بعيد عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

ثالثا: فيما يتعلق بالعالمية: أن الإسلام دين عالمي يتجاوز بتوجيهاته حدود البيئة التي نزل فيها كما أنه لا يختص بجنس من الأجناس البشرية، فرسالته صالحة لكل جنس، وكل جيل، وكل زمان ومكان.

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

رابعا: فيما يتعلق بالشمولية: ثبت تميز الإسلام وتفوقه بشمولية تعاليمه لكل أمور الحياة الدينية والدنيوية، وثبت عجز العهدين القديم والحديد عن تنظيم حياة البشر وإسعادهم.

خامسا: فيما يتعلق بالوسطية: أن القرآن الكريم فجاءت تعاليمه وسطا بين هذا وذاك ترعى حقوق الجسد ومتطلبات الروح من غير تضييع لأحدهما دون إفراط أو تفريط.

سادسا: فيما يتعلق بالواقعية: كشفت هذه الدراسة عن واقعية الإسلام في العقيدة والشريعة والأخلاق، فعقيدته تقوم على الحجة والبرهان والإقناع، وتشريعاته تراعى واقع الإنسان والحياة، وأخلاقه عادلة وفى

وسع كل إنسان أن يطبقها.

سابعا فيما يتعلق بالإنسانية: راعى الإسلام إنسانية الإنسان وكرمه وحافظ على شعوره رجلا أو امرأة بل راعى اللقطاء والرقيق والحيوانات.

والإنسانية تشتاق إلى محراب واسع تلتقي فيها ألوان البشر- وصنوف الخلق أمام رب واحد تسبح بحمده، وتهتف بمجده، وتركع وتسجد في ساحته، وتستمد الهدى منه وحده ﷻ ويعلم كل إنسان أنا لله هو الذي يدين الناس جميعا يوم القيامة.

❁❁❁

وبعد...

فهذه هي خصائص الدين الإسلامي الحنيف، وهى تؤكد على أن الإسلام هو الرسالة التي أنزلها الله ﷻ على جميع الأنبياء والمرسلين، من لدن آدم حتى خاتمهم محمد ﷺ.

وأن القرآن الكريم هو وحى الله الخالد، وكتابه الراشد، الذي حفظه الله من التحريف والتبديل والتغيير، وأن ما يحتوى عليه من خصائص في العقيدة والشريعة والأخلاق يتلاءم مع واقع البشر، ويراعى ظروفهم، ومن ثم فهو الكتاب الوحيد الذي يصلح لهداية العالم،

وقيادة البشرية، وعلاج مشكلاتها في كل زمان ومكان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[1].

❁❁❁

أهم التوصيات:

١- أرى أن تقدم مادة مقارنة الأديان لطلاب المراحل العلمية الشرعية المختلفة في الجامعات، ليتضح لهم عظمة الإسلام في عقيدته وشريعته وأخلاقه، حيث نشط في دراسته أتباع الأديان الأخرى بينما قصر المسلمون في ذلك.

٢- أفضل دراسة لهذا العلم هي أن يفرد كل دين بكتاب يفصل عقيدته وشريعته وأخلاقه لأن محاولة المقارنة بين جميع الجزئيات في الأديان غير ممكنة في أغلب الأحوال، وذلك لخلو بعض الأديان عن مثيلاتها في الديانات الأخرى.

٣- العمل على نشر الكتب والبحوث التي تتعلق بمقارنة الأديان، وترجمتها إلى جميع اللغات الحية، ونشرها في كل دولة بلغتها، حتى يتسنى لغير المسلمين معرفة الإسلام من خلال أتباعه، فإن ذلك سوف يؤتى ثمارا طيبة -إن شاء الله ﷻ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❁❁❁

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٥٥).

المراجـــع

القرآن الكريم.

كتب التفسير.

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ للشيخ/ الشنقيطي/ ط/ دار عالم الكتب/ بدون تاريخ.

٢. التبيان في أقسام القرآن/ لابن القيم الجوزية/ ط/ المكتبة العلمية بيروت سنة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٣. تفسير آيات الأحكام/ لابن العربي ط/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

٤. تفسير أبى السعود/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد العمادي المعروف بأبي السعود/ نشر دار المصحف/ القاهرة.

٥. تفسير ابن باديس/ لابن باديس/ ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٦. تفسير القرآن العظيم / لابن كثير/ ط دار المنار / بدون تاريخ.

٧. التفسير القيم / للإمام ابن القيم/ دار إحياء الكتب العلمية.

٨. التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب/ للفخر الرازي (ت. ٦٠٦هـ) / ط إحياء دار التراث العربي/ وط/ دار الفكر العربي ط/ الأولى سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٩. تفسير المراغي/ للمراغي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ بدون تاريخ.

١٠. تفسير المنار(تفسير القرآن الحكيم) / الشيخ محمد رشيد رضا / نشر الهيئة العامة للكتاب / ١٩٧٢م.

١١. تفسير روح البيان/ للشيخ/ إسماعيل حقي/ ط/ دار إحياء التراث العربي ط/ السابعة سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٢. جامع البيان في تأويل القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري/ م (ت٣١٠هـ) ط/ الحلبي الثانية بدون تاريخ، ط/ دار المعرفة بيروت/ ط/ الثالثة ١٣٩٨هـ ١٩٨٧م.

١٣. الجامع لأحكام القرآن الكريم / للقرطبي (المتوفى سنة ٦٧١هـ، ١٢٧٣م ط/ مكتبة الغزالي دمشق ومؤسسة مناهل العرفان/ بيروت.

١٤. روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن/ الشيخ/ محمد على الصابوني/ ط/ دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة/ ط/ الأولى سنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ط/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت لبنان/ بدون تاريخ ط/ دار الفكر بيروت لبنان سنة ١٤١٤هـ، ١٩٨٩م.

١٦. في ظلال القرآن/ سيد قطب / ط دار الشروق/ ط/ الثالثة عشر سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٧. محاسن التأويل/ للعلامة محمد جمال الدين القاسمي/ مطبعة الحلبي ط/ الأولى سنة ١٩٥٧م/ ط/ مؤسسة التاريخ العربي ط/ الأولى ١٩٩٢م.

١٨. المنتخب في تفسير القرآن الكريم ط/ مجمع البحوث الإسلامية ط/ الحادية عشرة سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

كتب الحديث.

١٩. الجامع الصحيح/ سنن الترمذي/ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي/ (ت: ٢٧٩) ط/ الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٧٨م تحقيق/ أحمد محمد شاكر دار الحديث/ القاهرة.

٢٠. الجامع الصغير/ للسيوطي ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٢١. سنن أبى داود / سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ط/ المكتبة العصرية / صيدا بيروت/ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد.

٢٢. سنن ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ) ط/ دار الحديث/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٣. سنن البيهقي/ أبو بكر أجمد بن الحسن على البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ط/ دار المعرفة.

٢٤. سنن الدارمي/ للدارمي / ط/ دار الكتب العملية/ بيروت.

٢٥. سنن النسائي / أبوعبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣ هـ) ط/ دار الكتب العلمية.

٢٦. شرح صحيح مسلم / محيى الدين أبو زكريا محمد بن شرف الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) ط/ مؤسسة مناهل العرفان/ بيروت.

٢٧. صحيح مسلم (متن) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١) تحقيق محمد فؤاد عبد

الباقي دار إحياء الكتب العلمية ط/ الأولى.

٢٨. الطبراني في الأوسط ط/ مكتبة المعارف بالرياض ط/ الأولى سنة ١٩٨٥م.

٢٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن حجر العسقلاني/ ط / المكتبة السلفية / دار الفكر.

٣٠. مسند أحمد الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) ط/ المكتب الإسلامي بيروت. ط/ العالمية.

٣١. المعجم الكبير للطبراني/ مكتبة التوعية ط/ الثانية.

كتب اللغة والمعاجم.

٣٢. جمهرة اللغة / أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري/ دار صادر الأولى سنة ١٣٤٥هـ.

٣٣. القاموس المحيط/ للفيروز آبادي ط/ مصطفى البابي الحلبي ط/ الثانية سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م

٣٤. لسان العرب / لابن منظور / ط/ بيروت لبنان / بدون تاريخ/ وط/ دار صادر بيروت بدون تاريخ.

٣٥. مختار الصحاح / للرازي/ عنى بترتيبه/ محمود خاطر/ دار الحديث/ بدون تاريخ.

٣٦. المصباح المنير/ للفيومي ط/ المكتبة العلمية بيروت لبنان.

٣٧. المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية / ط/ اللغة العربية الثالثة سنة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م

٣٨. معجم مقاييس اللغة/ لأبى الحسن أحمد بن فارس/ ط/ عيسى الحلبي/ القاهرة ط/ الثانية سنة١٣٩٠هـ.

٣٩. المفردات في غريب القرآن/ للراغب الأصفهاني/ ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده/ القاهرة سنة ١٣٨١هـ سنة ١٩٦١م. ط/ المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

الكتب العامة:

٤٠. آيات الجهاد في القرآن الكريم/ د/ كامل سلامة الدقس/ الناشر دار البيان ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٤١. الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة/ للإمام القرافي/ تحقيق د/ بكر زكى عوض/ ط/ الأولى سنة ١٩٨٦م.

٤٢. الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الأخرى/ للشيخ أبو الحسن الندوي/

دار القلم الكويت سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٤٣. أسلوب المحاورة في القرآن الكريم/ عبد الحليم حفني/ ط/ الهيئة العامة للكتاب/ ط/ الثانية/ ١٩٨٥م

٤٤. أصول العقيدة الإسلامية/ للإمام الطحاوي/ تحقيق عبد المنعم صالح العلى الأزدي/ ط/ مؤسسة الرسالة.

٤٥. الإتقان في علوم القرآن / للسيوطي/ ط/ دار عالم المعرفة/ بدون تاريخ

٤٦. إحياء علوم الدين/ أبو حامد الغزالي ط/ نشر المكتبة التجارية الكبرى/ بدون تاريخ.

٤٧. الإسلام دعوة عالمية/ عباس محمود العقاد / دار الكتاب اللبناني بيروت الأولى ١٩٩٤م.

٤٨. الإسلام عقيدة وشريعة/ للشيخ/ محمود شلتوت/ دار الشروق/ ط/ السادسة عشرة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٤٩. الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد/ ط/ الجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة.

٥٠. الإسلام في القرن العشرين/ عباس محمود العقاد/ دار الكتاب العربي بيروت ط / ١٩٧٠م.

٥١. الإسلام في قفص الاتهام/ د/ شوقي أبو خليل/ ط/ دار الفكر/ الخامسة سنة ١٤٠٢هـ.

٥٢. الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي د/ عبد العظيم المطعني/ ط/ دار الوفاء/ ط/ الأولى سنة ١٤٠٧ هـ،١٩٨٧م

٥٣. الإسلام والحضارة الغربية/ د/ محمد محمد حسين ط/ مؤسسة الرسالة.

٥٤. الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة/ أ/ البهي الخولي / دار التراث ط/ الرابعة ١٩٨٤م.

٥٥. إعجاز القرآن/ للرافعي ط/ دار الكتاب العربي / بيروت / الثانية سنة ١٩٨٣هـ، سنة ١٤٠٣م.

٥٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين / لابن القيم الجوزية ط/ الكليات الأزهرية/ تحقيق ط/ عبد الرؤوف سعد سنة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٥٧. الإنسان في القرآن/ عباس محمد العقاد/ ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٦م.

٥٨. الاستشراق دراسة تحليلية وتقويمية د/ محمد عبد الله الشرقاوي ط/ دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ.

٥٩. انهيار الشيوعية أمام الإسلام/ د/ سعد الدين السيد صالح/ دار الأرقم ط/ الأولى ١٩٨٩م.

٦٠. البداية والنهاية/ لابن كثير ط/ دار الحديث سنة ١٩٨٥هـ.

٦١. بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الإسلام، د/ على عبد الواحد وافى/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.

٦٢. بينات الحل الإسلامي/ د/ يوسف القرضاوي / مكتبة وهبة/ ط/ الأولى ١٩٨٨م.

٦٣. حقيقة التوحيد/ د/ يوسف القرضاوي/ ط/ مكتبة وهبه ط/ السابعة ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.

٦٤. خاتم النبيين/ الشيخ محمد أبو زهرة ط/ دار الفكر العربي مصر ط/ الأولى سنة ١٩٧٢م.

٦٥. خصائص التصور الإسلامي/ أ/ سيد قطب / ط/ دار الشروق الحادية عشرة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٦٦. خصائص الدعوة الإسلامية/ محمد أمين حسن ط/ مكتبة المنار بالأردن ط/ الأولى سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م.

٦٧. الخصائص العامة للإسلام/ د/ يوسف القرضاوي ط/ مكتبة وهبة ط/ الرابعة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٦٨. خطب الشيخ/ محمد الغزالي نشر وتوزيع دار الاعتصام ط/ الأولى سنة ١٩٩١م.

٦٩. الدر النظيم في علوم القرآن الكريم / د/ إبراهيم توفيق الديب/ لم تذكر دار النشر/ سنة ١٩٨٦م.

٧٠. دستور الأخلاق في القرآن/ د/ محمد عبد الله دراز/ مؤسسة الرسالة ط/ الثالثة ١٩٨٠م.

٧١. الدعوة إلى الإسلام/ د/ أبو بكر ذكرى، دار المعرفة مصر/ بدون تاريخ.

٧٢. الدعوة إلى الله خصائصها مقوماتها مناهجها/ د/ أبو المجد السيد نوفل/ بدون دار نشر/ وبدون تاريخ.

٧٣. الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها د/ أحمد غلوش دار الكتاب المصري واللبناني/ القاهرة بيروت سنة ١٩٧٩م.

٧٤. دعوة التوحيد/ د/ محمد خليل هراس/ ط/ مكتبة ابن تيمية سنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٧٥. الدين د/ محمد عبد الله دراز ط/ دار القلم بالكويت ط/ الثالثة سنة ١٣٩٠هـ.

٧٦. الرحيق المختوم/ صفى الرحمن المباركفورى ط/ دار الوفاء ط/ السادسة سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٧٧. رسالة القرآن والمرأة/ الشيخ محمود شلتوت/ ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٧٨. روضة المحبين ونزهة المشتاقين / لابن قيم الجوزية ط/ مكتبة دار التراث بدون تاريخ.

٧٩. زاد المعاد في هدى خير العباد/ لابن القيم / المطبعة الأميرية ومكتباتها/ بدون تاريخ.

٨٠. السلام العالمي في الإسلام/ سيد قطب ط/ دار الشروق.

٨١. السنة ومكانتها في التشريع/ د/ مصطفى السباعي/ ط/ المكتب الإسلامي ط/ الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٨٢. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية/ لابن قيم الجوزية ط/ تحقيق محمد حامد الفقى بدون ذكر الطبعة ١٩٥٣م.

٨٣. عالمية الدعوة الإسلامية/ د/ على عبد الحليم محمود/ دار عكاظ السعودية/ ط/ الثانية سنة

٨٤. العبادة في الإسلام، د/ يوسف القرضاوي/ مكتبة وهبة الطبعة الخامسة عشرة سنة ١٤٠٥هـ،

٨٥. العبودية/ لابن تيمية/ ط/ المكتب الإسلامي/ الثانية.

٨٦. العقوبة في الإسلام/ الشيخ محمد أبو زهرة/ دار الفكر العربي/ بدون تاريخ

٨٧. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية/ د/ سعد الدين السيد صالح/ دار الصفا ط/ الثانية ١٩٩٠م.

٨٨. العلاقة بين الفقه والدعوة أ/ مفيد خالد عيد / ط/ مكتبة دار البيان الكويت ط/ الأولى سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٨٩. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د/ يوسف القرضاوي ط/ مكتبة وهبه بالقاهرة.

٩٠. الفتاوى الكبرى/ لابن تيمية/ مطابع الريان/ ط/ الأولى

٩١. فقه الزكاة/ د/ يوسف القرضاوي/ مؤسسة الرسالة بيروت/ ط/ الثامنة سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٩٢. فقه السيرة/ الشيخ محمد الغزالي/ ط/ دار الكتب الحديثة ط/ السابعة سنة ١٩٧٦م.

٩٣. الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر/ د/ محمد البهي ط/ مكتبة وهبه

٩٤. قواعد الأحكام في مصالح الأنام/ للعز بن عبد السلام/ ط/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٩٥. كبرى اليقينات الكونية/ د/ محمد سعيد رمضان/ ط/ دار الفكر المعاصر بيروت ١٩٩٣م.

٩٦. مباحث من علوم القران / للشيخ/ مناع القطان / ط/ مؤسسة الرسالة الثانية عشر سنة ١٤٠٣هـ.

٩٧. المحاور الخمسة للقرآن الكريم/ الشيخ/ محمد الغزالي/ ط/ دار الصحوة، ودار الوفاء ط/ الثالثة سنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٩٨.المحلى/ لابن حزم/ تحقيق أحمد شاكر/ مكتبة التراث القاهرة

٩٩.المدخل إلى القرآن الكريم/ د/ محمد عبد الله دراز/ ط/ القلم الكويت سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٠٠.المدخل إلى الكتاب المقدس/ حبيب سعيد/ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

١٠١.المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني / د محمد سعيد رمضان البوطي/ دار الفكر المعاصر بيروت ط/ الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٠٢.المرأة في عصر الرسالة بين واقعية الإسلام وأوهام المرجفين/ د/ عبد العظيم المطعني/ دار الفتح للإعلام العربي ١٩٩١م ١٤١١هـ.

١٠٣.المصاحف لابن أبى داود/ ط/ قرطبة للنشر والتوزيع بالقاهرة / بدون تاريخ.

١٠٤.مع الله دراسات في الدعوة والدعاة/ محمد الغزالي/ ط/ دار التوفيق النموذجية نشر دار الكتب الإسلامية ط/ السادسة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٠٥.معالم المنهج الإسلامي/ د/ محمد عمارة/ سلسلة المنهجية الإسلامية رقم(٣) المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ دار الأمان الرباط المغرب/ ط/ الثالثة ١٤١٤هـ ١٩٩٣ م.

١٠٦.المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرٌ ط/ دار الفكر العربي

١٠٧.مفتاح دار السعادة/ لابن القيم/ ط/ صبيح.

مقومات التصور الإسلامي/ أ/ سيد قطب ط/ دار الشروق سنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٠٨.من القرآن إلى القرآن. الشيخ/ محمد محمد الصواف ط/ مؤسسة الرسالة بيروت ط/ الأولى سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

١٠٩.من روائع حضارتنا/ د/ مصطفى السباعي/ مكتبة المكتب الإسلامي ط/ الخامسة ١٩٨٧م.

١١٠.مناهل العرفان في علوم القرآن/ للزرقاني/ دار إحياء التراث العربي / بدون تاريخ.

١١١.منهج الدعوة إلى الله كما تصوره سورة الأنعام د/ محمود عبد السميع شعلان/ مطبعة الأمانة ط/ الأولى سنة ١٣٩٩هـ، سنة ١٩٩٧م.

١١٢.منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه د/ مصطفى الجويني ط/ دار المعارف ط/ الثالثة سنة ١٩٨٤م.

١١٣.موسوعة الفداء في الإسلام (أبطال عقيدة وجهاد)د/ أحمد الشرباصي ط/ دار الجيل ط/ الأولى سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٩٦م.

١١٤.الموافقات/ للإمام الشاطبي ط/ دار المعرفة/ بيروت الثانية سنة ١٤١٦هـ، سنة ١٩٩٦م.

١١٥.النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز/ دار القلم الكويت ط/ الرابعة ١٩٧٧م ١٣٩٧هـ.

١١٦.نحو أسرة بلا مشكلات/ د/ محمود محمد عمارة ط/ دار المنار الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١١٧.النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة/ د/ حسن عبد الحميد حسن ط/ الرياض ١٩٨١م.

١١٨.هداية المرشدين/ الشيخ على محفوظ/ دار الاعتصام/ ط/ التاسعة سنة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١١٩.هذا ديننا محمد الغزالي ط/ دار الكتب الإسلامية ط/ الثالثة سنة ١٣٩٥هـ ١٩٩٥م.

١٢٠.واقعية المنهج القرآني/ توفيق محمد سبع/ سلسلة مجمع البحوث الإسلامية العدد(٧٠) شوال ١٣٩٣هـ أكتوبر ١٩٧٣م.

١٢١.الوجيز في أصول الفقه د/ عبد الكريم زيدان ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية سنة ١٩٩٣م ١٤١٤هـ.

١٢٢.الوحي المحمدي/ الشيخ/ رشيد رضا/ نشر مؤسسة عز الدين/ ط/ الثالثة ١٤٠٦هـ.

❁❁❁

السيرة الذاتية الخاصة بالدكتور/ أحمد عبد الهادي شاهين.

المؤهلات:

(١) ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة سنة ١٩٨٩م قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بتقدير (جيد جدا مع مرتبة الشرف).

(٢) ماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٥م بعنوان (مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية وعلاج الإسلام لها) بتقدير (ممتاز).

(٣) الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان. من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٩م بعنوان (خصائص الدعوة في العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم دراسة مقارنة) بتقدير (مرتبة الشرف الثانية).

الوظائف السابقة:

١. عمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف المصرية من ١/ ٣/ ١٩٩٠م. حتى ٢٠/ ٢/ ١٩٩٣م.
٢. عمل معيدا بجامعة الأزهر في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢١/ ٢/ ١٩٩٣م. حتى ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٥م.
٣. عمل مدرسا مساعدا في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٥م. حتى ٤/ ٥/ ١٩٩٩م
٤. عمل مدرسا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من٥/ ٥/ ١٩٩٩م حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م.
٥. عمل أستاذا مساعدا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م حتى ١يوليو ٢٠٠٤.
٦. عمل أستاذا مشاركا في الجامعة الإسلامية بأمريكا متشجن دوترويد من ١ يوليو ٢٠٠٤م حتى ٣٠ يونيو ٢٠١١.
٧. عمل أستاذا للدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة طيبة. بالمدينة المنورة. المعهد العالي للأئمة والخطباء. من ١ يوليو ٢٠١١ م.

٨. الوظيفة الحالية: أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر.

التخصص الدقيق: (الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان).

المواد التي يقوم بتدريسها:/ الدعوة/ الخطابة/ الثقافة الإسلامية/ تاريخ الخلفاء/ إسلام في المشرق/ الفرق/ فقه السيرة النبوية/ الاستشراق/ التنصير/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ النصرانية/ مناهج الدعوة/ آيات الله الإنسانية/ آيات الله الكونية/ قضايا معاصرة/ خلق المسلم/ رسالة المسجد/ حقوق الإنسان في الإسلام.

أعمال أخرى:

(١) انتدب للتدريس في كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ومعهد الثقافة بوزارة الأوقاف، ومعاهد إعداد الدعاة.

(٢) يقوم بالخطابة والدروس والمحاضرات في مساجد الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ومساجد الجمعية الشرعية منذ عام ١٩٨٩م حتى الآن.

(٣) سافر إلى دول أوروبا وأمريكا لإلقاء خطب الجمعة والمحاضرات والدروس الرمضانية، وحضور المؤتمرات والندوات العلمية.

(٤) له العديد من المقالات في مجلة التبيان المصرية. وجريدة الأهرام القاهرية. وجريدة عقيدتي. والأحاديث الإذاعية بإذاعة القرآن الكريم ونداء الإسلام من مكة المكرمة.

يجيد الحديث باللغة الإنجليزية، واستخدام الحاسب الألى.

تاريخ الميلاد:٢٧/ ٢/ ١٩٦٧م.

الحالة الاجتماعية: متزوج وله أربعة من الأولاد.

عنوان السكن في مصر: محافظة الدقهلية – مدينة أجا – خلف الإدارة الزراعية.

عنوان العمل في مصر: كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ت/ ٠٤٨ ٢ ٣١٦٨٩١.

البريد الإلكتروني: drahmed1967@yahoo.com.

❁❁❁

المؤلفات الخاصة بالدكتور/أحمد عبد الهادي شاهين.

سلسلة كتب في الدعوة والخطابة:

١. الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول.
٢. وسائل الدعوة الإسلامية وأساليبها في ضوء القرآن والسنة.
٣. القواعد المنهجية للدعوة عند السلف.
٤. السيدة عائشة ﵂ وجهودها في الدعوة الإسلامية.
٥. الدعوة الإسلامية في أمريكا (رؤية من الداخل).
٦. الخطابة قواعد وأصول.
٧. المساجد بين الاتباع والابتداع.
٨. في ظلال خلق المسلم. الجزء الأول.
٩. في ظلال خلق المسلم. الجزء الثاني.
١٠. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الثالث.
١١. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الرابع.
١٢. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الخامس.
١٣. في ظلال خطب الجمعة. الجزء السادس.
١٤. واحة الإمام في إرشاد الأنام. ١٠٠ خطبة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
١٥. الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة.
١٦. قطوف من الأدب والحكمة.

❁❁❁

سلسلة كتب مشكلات الشباب:

١٧. مشكلة الانحراف الجنسي عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٨. مشكلة الإدمان والتدخين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٩. مشكلة الغلو في الدين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

٢٠. مشكلة القلق عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

❁❁❁

سلسلة كتب مقارنة الأديان.

٢١. اليهودية في ضوء العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها.

٢٢. النصرانية في ضوء العهد الجديد وموقف القرآن الكريم منها.

٢٣. خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة.

٢٤. المسيح عليه السلام بين النصرانية والإسلام (دراسة مقارنة).

٢٥. التنصير وخطره على العالم الإسلامي.

٢٦. دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية.

٢٧. الاستشراق في ميزان الإسلام.

٢٨. العلمانية وخطرها على المجتمعات المسلمة.

٢٩. الحوار بين الأديان. (تعايش لا ذوبان).

٣٠. تحقيق مخطوط (الأجوبة العقلية على أشرفية الشريعة المحمدية).

لإبراهيم بن محمد الراوي العراقي.

❁❁❁

الفهرس

المقدمة:	٣
التمهيد: التعريف بعنوان ومصطلحات البحث	٩
المدخل: التعريف بمصادر الديانة الإسلامية	١٨
المطلب الأول: القرآن الكريم	١٨
المطلب الثاني: المصدر الثاني السنة النبوية	٢٢
المبحث الأول: (ربانية القرآن الكريم)	٣٠
المطلب الأول: سند القرآن الكريم	٣١
المطلب الثاني: التناسق وعدم الاختلاف في القرآن الكريم	٤٦
المطلب الثالث: إعجاز القرآن الكريم دليل على ربانيته	٤٩
المطلب الرابع: ربانية المصدر والمنهج من خلال آيات القرآن الكريم	٥٦
المطلب الخامس: شبهة المستشرقين في نسبة القرآن إلى محمد ﷺ	٦٦
المطلب السادس: من ثمار الربانية في القرآن الكريم وأثرها على المدعوين	٧٢
المبحث الثاني (التوحيد في القرآن الكريم)	٧٥
المطلب الأول: تركيز القرآن الكريم على التوحيد	٧٨
المطلب الثاني: بيان القرآن الكريم للتوحيد	٩٤
المطلب الثالث: منهج القرآن في دعوة الناس إلى التوحيد	١٠٨
المطلب الرابع: آثار التوحيد على المدعوين	١١٤
المبحث الثالث: (العالمية في القرآن الكريم)	١١٩
المطلب الأول: أدلة العالمية من القرآن الكريم والسنة	١٢١
المطلب الثاني: شبهة حول عالمية الإسلام والرد عليها	١٣٩
المطلب الثالث: مظاهر العالمية في الإسلام	١٤٣
المبحث الرابع: (الشمولية في القرآن الكريم)	١٤٩
المطلب الأول: شمولية العقيدة في القرآن الكريم	١٥٠

المطلب الثاني: شمولية العبادة في القرآن الكريم	١٦٠
المطلب الثالث: شمولية التشريع في القرآن الكريم	١٦٦
المطلب الرابع: شمولية الأخلاق في القرآن الكريم	١٧٩
المبحث الخامس: (الوسطية في القرآن الكريم)	١٩٤
المطلب الأول: الوسطية في العقيدة	١٩٥
المطلب الثاني: الوسطية في التشريع	٢٠٢
المطلب الثالث: الوسطية في الأخلاق	٢٠٨
المطلب الرابع: مظاهر الوسطية في الإسلام	٢١٠
المطلب الخامس: مميزات الوسطية في الإسلام	٢٢١
المبحث السادس: (الواقعية في القرآن الكريم)	٢٢٥
المطلب الأول: واقعية العقيدة في القرآن الكريم	٢٢٦
المطلب الثاني: واقعية التشريع في القرآن الكريم	٢٢٩
المطلب الثالث: من دلائل الواقعية في التشريع الإسلامي	٢٥٨
المطلب الرابع: واقعية الأخلاق في القرآن الكريم	٢٧٠
المبحث السابع: (الإنسانية في القرآن الكريم)	٢٧٨
المطلب الأول: الإنسان في القرآن الكريم	٢٧٨
المطلب الثاني: إنسانية العقيدة الإسلامية	٢٨٨
المطلب الثالث: إنسانية العبادة في الإسلام	٢٩٤
المطلب الرابع: إنسانية التشريع والأخلاق	٣٠١
الخاتمة والتوصيات	٣٢٤
المراجع	٣٢٧
السيرة الذاتية والمؤلفات	٣٣٥
الفهرس	٣٤٠-٣٣٩